كان لبيتنا جدران ٢
كتيبة الجدران المفقودة

اسم الكتاب:	كان لبيتنا جدران ٢ – كتيبة الجدران المفقودة
اسم الكاتب:	محمد فـوزي
مراجعة لغوية:	ياسمين أحمـد
الإخراج الفنيّ:	جمال عبدالرحيم
الطبعة:	الأولى
رقم الإيداع:	0000 / 2022
الترقيم الدولي:	978-977-6985-00-0

Gmail	almaktaba79@gmail.com
facebook	Facebook.com/arabiclibrary2017
	01030365801 – 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

كان لبيتنا جدران ٢

كتيبة الجدران المفقودة

محمد فوزي الشربيني

(١)

"حان وقت عودتكما لمملكة لاميتا" ، كانت هذه كلمات والدي وأنا أروي له تدهور حالة والدتي الصحية وهو يطالبني بأن أصغي فقط للسيد (بركات). التقيت بـ(بركات) هذا لأجده رجلًا ينافس عقارب الساعة في دقتها ولأعرف كم كان والدي محقًا وهو يلخص الكثير بقوله "نفذ فقط ما يقوله (بركات)".

أجريت جراحة بأحد المراكز المتخصصة تغيرت معها ملامحي تمامًا لينتابني الذهول كلما التقيت بنفسي في المرآة : "أهذا أنا؟!" ، الأوراق الثبوتية التي أعدوها لي بالشكل الجديد حملت معها اسمًا جديدًا هو (صامد)، كل شيء سار بمنتهى الدقة لأجد نفسي أخيرًا بمملكة لاميتا من جديد.

أودعنا والدتي إحدى العنايات الخاصة ليتولى رعايتها والعناية بها فريق مختص بعد أن صارت لا تعرفني أنا ابنها، انتقلت بعدها للعيش برفقة والدي في مكان جديد يقال عنه القلعة المدفونة. أذهلني التطور الحادث في علاقتي بوالدي برحيل سطحية التعامل التي عشتها معه لسنوات ولأجد رأس المطرقة السابق والذي كان يفرض الرقابة ويضع الحراسات على أنفاس الشهيق والزفير قبل الكلمات يستمع لما أقول ويصغي له بإنصات شديد.

دخلت لوالدي بغرفته فوجدته مشغولًا بمتابعة كاميرات المراقبة، اختار أحد المشاهد لتتضاعف مساحة المشاهدة لتملأ

الشاشة أمامه ولتتوارى بقية المشاهد، المشهد كان لرجل ينظر في شرود للجدار ، رفع والدي عينيه نحوي وهو يشير لي بالجلوس قائلًا:

- كيف جرت زيارتك لوالدتك اليوم؟
- ما زالت على حالها لا تدرك أي شيء ممَّا حولها.
- حزنها على أخيك كان الضربة القاضية لها.
- الحمد لله أنه لم يكن الضربة القاضية لك أنت أيضًا.
- كنت الميّتَ الحي أنتظر الموت بيأس وأرجوه أن يأتي ولا يأتي، معرفتي بأن وفاة أخيك لم تكن بالوفاة الطبيعية في حادثٍ كما ظنّ الجميع، بل عملٌ خسيسٌ مدبرٌ بحنكةٍ وبراعةٍ للانتقام مني هي من أعادتني للحياة ونفضت عني الحزن والهموم لأنهض لتصفية الحساب مع من فعلها.
- وهل علمت بمن فعلها؟
- علمت.. وأشد ما يؤسفني أن لا عقاب أو ثأر مع الأموات!.. ولو كنت أستطيع الذهاب للجحيم لعقاب من فعلها لفعلت ، موت من فعلها كان جزءًا من براعةِ الخطة بإخفاء وطمس الدليل الوحيد، أمَّا من دبَّر تلك المؤامرة فلي حساب طويل عُدت خصيصًا لأجله ليدرك أن المباراة لم تنته، وأن خسارة جولة لا يعني خسارة المباراة.
- حرب انتقامٍ هي إذًا.
- سمِّها ما شئت فلم تعد الأسماء تعنيني كثيرًا، اعتبرها هكذا إن أردت.. انتقام لأخيك الذي وارياه التراب دون ذنب ولأمك التي جُنَّت وفقدت عقلها حزنًا عليه ولك بوحدتك بعد فقد أخيك وما حلّ بوالدتك، أمّا بالنسبة لي فلا كلمات يمكنها وصف شعوري واللهيب المستعر بداخلي.

عاد والدي بعينيه لشاشة التلفاز بعد أن التقط الرجل بالمشهد أمامه جهاز التحكم وفتح التلفاز ليتابع بتركيز هو الآخر مشهدًا لسيدة وأولاد يتناولون الطعام سويًا في سعادة، وضع والدي إصبعه على فمه مطالبًا إياي بالصمت وهو يضغط أحد الأزرار على مكتبه قائلًا:

- احضر لي حالًا يا (شلهوب).

التفت بعدها لي وهو يشير لشاشة التلفاز سائلًا:

- أتدري من هذا؟

هززت رأسي بالنفي فأردف مجيبًا:

- إنه (شلهوب) الذي حدثتك عنه بالأمس.

- الخائن الذي باع السيد (تقي)؟

- قسوةٌ أن تصفه بالخائن وقد أسدى صنيعًا كبيرًا لوالدك! رفض التعاون في البداية وقاوم قدر استطاعته لكن مقاومته الهزيلة لم تمكنه من الصمود طويلًا فاستسلم في النهاية.

أشار والدي لأحد أركان الغرفة طالبًا مني الذهاب والإنصات من هناك، جلست على أريكة وثيرة وجدتها هناك بعد أن أطفأت الضوء وشددت الباب الزجاجي العاكس والذي مكنني من رؤية كل شيء خلفه بوضوح دون أن يراني من بالجانب الأخر للباب.

دلف الرجل المسمى (شلهوب) للغرفة لينحني باحترام أمام والدي، فأشار له والدي بالجلوس قائلًا:

- إلى أين وصلت الأمور مع (راجي)؟ وكم جمع من أفراد الكتيبة؟ ولماذا لم أسمع منك بأي جديد بشأنه منذ أيام؟! أوجد الأقوياء الأذكياء أم ما زال يفكر في تقسيم الكتيبة لمجموعتين؟

أجابه (شلهوب) قائلًا:

- لا أعرف كيف هي الأوضاع لديه بعد انقطاع الاتصال معه.

صاح والدي بضيق قائلًا:

- كان ينبغي أن تفعل المستحيل لتجد طريقة للاتصال والتواصل معه بدلًا من متابعة زوجتك والاكتفاء بتكرار عباراتك الخرقاء وقول ماذا أفعل و(راجي) لم يتصل!

ارتسم الذعر الممزوج بالحرج على وجه (شلهوب) مع صياح والدي وانفعاله فتمتم بصوتٍ مرتعدٍ قائلًا:

- انقطاع الاتصال معه أصابني بالعجز، حاولت الاتصال مرَّات بلا مجيب ولو كنت أعرف ما يمكن فعله للتواصل معه لفعلته في الحال.

رمقه والدي بنظراتٍ محذرةٍ قبل أن يردف في حسم:

- منذ الآن.. لا اتصال بينك وبين أسرتك لأضمن تفرغك الكامل لمهمتنا، واخبرني حال اتصال (راجي) بك لأحضر المكالمة بينكما ولأعرف إلى أين وصلت الأمور وما الجديد ولماذا التأخير.

هزّ (شلهوب) رأسه في استسلام بوجهٍ امتلأ بالضيق لتمر ثوانٍ من الصمت قطعها والدي سائلًا:

- كم تظن لصمود (تقي الدين) أن يدوم؟

هزَّ (شلهوب) رأسه قائلًا:

- لم أفهم! ماذا قصدت بصموده؟ والصمود على ماذا؟

- يحاولون الضغط عليه بابنه وابنته وبدأت لعبة المساومات معه من جديد.

هتف (شلهوب) في ذعر:

- (رحيق)!! الطفلة الصغيرة!!

- لم تعد كذلك.. أصبحت شابة يافعة الآن.

- تسألني وأنت أكثر من يعلم بصموده وقد جرَّبت معه بنفسك كل شيء تقريبًا.. لن يصلوا لشيء معه.

- غيَّروا طريقة اللعب بإضافة طرقًا جديدة للضغط عليه، ابنه (مجيد) استطاع الفرار في اللحظات الأخيرة قبل الإمساك به وحاكوا للفتاة قضية صغيرة لتحل نزيلة بعنبر البغايا بالسجن الوردي.

- وهل تنوي إنقاذ الفتاة يا سيدي؟

- ليس من شأنك ما أنويه .. اهتم فقط بمتابعة (راجي) وأخبرني بما وصلت إليه الأمور.

انحنى (شلهوب) بالتحية في احترام قبل أن ينصرف مغادرًا الغرفة، ناداني بعدها والدي وهو ينظر لي سائلًا:

- ما رأيك؟

- قسوت عليه يا أبي .. فماذا يمكنه أن يفعل و(راجي) هذا لم يتصل أو يُجب الاتصال؟!

- ستعرف مع الأيام بأن القسوة مزلاج جيد لإغلاق أبواب التقاعس والتراخي.

- وهل ستنقذ الفتاة يا أبي؟

- ولماذا أنقذها؟ وما الداعي لذلك؟ أتحسبنا بإحدي قصص الأطفال السخيفة التي ينتصر فيها الحق دومًا!

- الفتاة المسكينة تسدد حسابًا ثقيلًا عن أبيها لا تعرف عنه شيئًا ولعل ذنبها الوحيد أنَّها ابنة السيد (تقي) كما حدث مع أخي تمامًا حين فاضت روحه وهو يسدد هو الآخر عنك حسابًا لم يعلم عنه أي شيء.. إنقاذها سيكون مفتاحاً جيداً لقلب السيد (تقي).

شعرت بأن كلماتي قد مسَّت قلب أبي وتركت داخله الأثر المطلوب حين ارتسم الذهول على وجهه قبل أن يردف بعد صمتٍ قائلًا:

- سأفكر بالأمر.

*****

فتحت (فاتن) عينيها شاعرة بدوارٍ رهيب يعصف برأسها، جالت بعينيها تحاول التعرف على المكان حولها، تحسست الأرض تحتها براحة يدها لتجد نفسها راقدة فوق أرضٍ عُشبية، رمقت الجدران المحيطة بها والتي سقط الكثير من أحجارها ، رفعت رأسها لأعلى فإذا بالسماء فوقها ، عادت لها ذاكرتها في الحال حين وقعت عيناها على الراقدين حولها فأطلقت صرخاتها العالية لتشق الصمت، تعرف هؤلاء جيدًا.. إنهم سكان شقة الطابق الأخير ، كانت بينهم لإصلاح حاسب اللعين (فهيم).

فتح (أوَّاب) عينيه مع صراخها، لم يستغرق الأمر معه ثوانٍ ليتذكر ما حدث، حاول إيقاظهم لكن صرخات (فاتن) تكفلت بذلك نيابةً عنه، فتح (همَّاس) عينيه هو الآخر على صوت الصرخات متسائلًا: "ماذا حدث؟ وأين نحن؟"، (ساجد) كان أول من نهض وتحرك ليتفقَّد المكان في ذهول ارتسم على وجهه ثم لحق به (كمال)، (زياد) كان آخر من فتح عينيه في دهشة متسائلًا:

- أين نحن؟ وما هذا المكان الغريب؟

أجابه (أوَّاب) في تردد قائلًا:

- الأمر يبدو وكأنه قد تم نقل شقتنا بكل ما فيها عدا الأرض والسقف للمكان الذي نحن به الآن ، ويبدو أن عملية النقل لم تتم

بنجاح فكما ترى .. تهدَّمت الجدران وتحطم الأثاث وتكسرت أشياء كثيرة أثناء النقل.

هبطت كلمات (أوَّاب) بالذهول على الجميع وهم يتلفتون حولهم في عدم فهم. غادروا الجدران ليجدوا خارجها أشجارًا شاهقة الارتفاع تحيط بهم، ساروا متجاورين يتلفتون في ذعرٍ يرمقون بحذر كل ما حولهم، حيوان غريب ركض أمامهم بسرعة شديدة قبل أن يختفي بنفس السرعة، سأل (ساجد) في ذهول:

- نحن في غابة أليس كذلك؟!

أومأ (أوَّاب) برأسه في صمتٍ مؤيدًا ، بدت الدهشةُ واضحة على وجه (كمال) وهو يسأل:

- هل رأى أحدكم من قبل ذلك الحيوان الغريب الذي ركض أمامنا الآن واختفى؟

تمتمت (فاتن) قائلة:

- لم أرَ شيئًا وإن كنت شعرت بالفعل بشيءٍ مرَّ بسرعة خاطفة من هنا.

طاف (همَّاس) بعينيه يرقب الدهشة على وجوههم فحاول طمأنتهم قائلًا:

- أنتم مذعورون والذعر يخلق الأوهام ، اطمئنوا فالغابات لدينا غابات شجرية لا تحوي سوي الطيور بلا وحوش أو حيوانات مفترسة فلا داعي للخوف.

غمغم (ساجد) في تهكم قائلًا:

- تتحدث وكأننا ما زلنا ببلدنا !

حدّقوا جميعًا بذهول في (ساجد) الذي أردف قائلًا:

- أظننا نعيش الآن ما حذّر منه (زياد) (أوَّاب) وهو يمنعه من تمزيق كتب السحر قائلًا: "لا تفعل .. فلكتب السِحر الملعونةِ هذه حراسها وحماتها من الجن" ، وأغلب الظنّ يا سادة أننا قد أغضبنا أحدهم فحملنا لهنا كعقاب لنا.

انفجرت (فاتن) في موجةٍ عارمةٍ من الصراخ والعويل بلا توقف وهي تلطم خديها في أسى صارخة:

- أين كان يختبئ لكِ كل هذا يا (فاتن)؟! وما هذه المصيبة التي هبطت عليكِ؟!

حاول (أوَّاب) تهدئتها قائلًا:

- ليس منا من لطم الخدود وشقَّ الجيوب ... تماسكي بالله عليكِ واهدئي ولا تجعلي ذعرك يدفعك لارتكاب المحرمات فنحن نتحرك في قدر الله أولاً وأخيراً ولن يصيبنا إلاَّ ما كتب الله لنا.

قاطعه (كمال) في ضيق قائلًا:

- أتراه الوقت المناسب للمواعظ الآن يا (أوَّاب)؟! تركت الغابة التي لا نعلم عنها شيئًا والحيوانات الغريبة التي تركض من حولنا وحيرتنا وجهلنا بأين نحن و ماذا سنفعل والفتاة المسكينة الباكية في انهيار أمامك وقد انفطر قلبها خوفًا وذعرًا .. تركت كل هذا واخترت أن تبدأ بالوعظ الآن!

حاول (ساجد) تهدئة (فاتن) والتخفيف من ذعرها فأردف:

- لا تخافي .. فكل هذا سينتهي بمغادرة الغابة ومعرفة أين نحن.

أوقفت كلمات (ساجد) (فاتن) عن البكاء لتبدأ بالسير معهم متجاورين للبحث عن طريقٍ لمغادرة الغابة والخروج منها ، تعبت

أقدامهم دون أن يتوقفوا عن السير بأملٍ ظلّ يداعبهم بالعثور على طريق تتحرك فيه السيارات أو الالتقاء بمن يجيب أسئلتهم ويُنهي هذا الغموض. شهقات ذهول قفزت من أفواههم وهم يحدقون في نهرٍ عظيمٍ شديد الاتساعِ يجري ماؤه متدفقًا بغزارة أمامهم، هتف بهم (زياد) وهو يبتعد صائحًا:

- لنغادر حالًا وبسرعة قبل أن نلتقي بأحد القطعان القادمة للشرب وكونوا على حذر في خطواتكم ومواضع أقدامكم حتى لا يخرج علينا من الماء فجأة أو من خلف أيٍ من هذه الأشجار أحد تماسيح النهر الجائعة.

تحركوا في سرعةٍ وهلعٍ ، تنهيدة طويلة أطلقها (ساجد) بعد سير طويل حين بدت الجدران أمامهم أخيرًا قائلًا:

- الحمد لله وصلنا سالمين لكن الليل على وشك الهبوط وسيدركنا الظلام وأرى الأفضل بأن نُقسِّم أنفسنا لمجموعتين تنام أحدها وتحرسها الأخرى حتى لا يأتي علينا وقت ونحن جميعًا نِيَام...

قاطعه (زياد) في حسمٍ قائلًا:

- بل الأهم هو التحرك بأقصى سرعة لجمع الحطب وإشعال النار أمامنا وحولنا فلا أمان لنا بليل هذا المكان بدون نار.

ساروا مسرعين في ثنائيات بعد كلمات (زياد) بأقدام أنهكها السير ليبدأوا في جمع الأخشاب الصغيرة الملقاة حولهم وكسر ما يستطيعون كسره بأيديهم من الأغصان، وضعوا ما جمعوه في كومة من حطب داخل الجدران بعد عودتهم لها، تركهم (كمال) ودخل لما كان غرفته سابقًا وهم يتبادلون نظرات حائرة متسائلة عما يفعله وهو يبدأ بالتفتيش بين أشيائه وهم يرمقونه في دهشة ، تنهيدة طويلة أطلقها

(كمال) وهو يخرج من بين أشيائه صندوقًا معدنيًا فتحه أمامهم ليجدوا بداخله مجموعة من العدد والأدوات ، تألقت عيونهم بنظرات الفرح والسعادة وهم يرمقون الصندوق الذي بدا كالكنز لهم في هذا التوقيت، انتزع (كمال) منشارًا كبيرًا ناوله لـ(همَّاس) وأخذ لنفسه مطرقة ضخمة، ثم مدَّ كلٌ منهم يده ليلتقط الأداة التي راها مناسبة له سواء لكسر وجمع الحطب أو للحماية، غادروا بعدها الجدران من جديد ليتابعوا جولات جمع الحطب والتي كانت مثمرة وأكثر نجاحًا من جولتهم الأولى.

لم يمهلهم سواد الليل كثيرًا ليهبط عليهم فقرروا أن تكون هذه جولتهم الأخيرة وأن يتحركوا فيها مجتمعين متجاورين بعد أن مكَّنتهم قوة (همَّاس) وأدوات (كمال) من جمع كمٍّ لابأس به من الحطب. تمتم (زياد) وهو ينظر لـ(ساجد) على ضوء كشاف هاتف (فاتن) الواهن قائلًا:

- أفكار سوداء لا حصر لها تدور بعقلي أخشى أن أثير ذعركم إن ذكرتها لكم.

تمتم (أوَّاب) راجيًا:

- لا تفعل بالله عليك .. فليقل خيرًا أو ليصمت.

لم يصمت (زياد) بل أكمل حديثه مردفًا:

- هذا الطقس الذي نحن فيه الآن ليس طقس أيٍ من البلاد الإفريقية التي يجري النيل بها فلم نرَ الشمس الحارقة ولا الحرارة الشديدة التي كان يجب أن نجدها لو أننا بأيٍ من تلك البلاد!

توقف (همَّاس) عن قطع فروع الشجرة العالق فوقها وهو ينظر لـ(زياد) بغرابة متسائلًا:

- وأين تظننا إذًا؟

أجابه (زياد) قائلًا:

- قد نكون بغابات الأمازون أو التايغا مثلًا ، وقد يكون هذا نهر الأمازون أو نهر آخر غير النيل...

أطلق (كمال) صوتًا نابيًا مقاطعًا:

- آخر ما كان ينقصنا أن تتقمص دور خبير للأرصاد والطقس الآن!!

تمتم (ساجد) في تهكم قائلًا:

- لا فارق بين الأمرين .. فإن لم تأكلنا الحيوانات المفترسة في غابات الأمازون أو التايغا فسيفعلها أكلة لحوم البشر في الغابات الإفريقية.

قطع حوارهم صوت ارتطام مع ظلام ساد المكان ، ما هذا الصوت؟ أسقط (همَّاس) من الشجرة التي كان فوقها؟ وأين (فاتن) وضوء هاتفها؟ نادوا على كلٍ من (همَّاس) و(فاتن) فأجاب (همَّاس) ولم تجب (فاتن)! تحركوا بحذر نحو المكان الذي كانت تقف به ليجدوها مُمدّدة على الأرض وقد سقطت مغشيًا عليها فوق هاتفها فاقدة الوعي.

*****

ودَّعت الأمن والأمان لأعيش حبيس الجدران باختياري أتوارى من ظلي ولا ألتقي سوى بأشخاص معدودين صاروا هم عالمي، تغيَّر حالي للنقيض بعد سنوات عشتها أنعم بالأمن والأمان وأتلقى العلم والرعاية والاهتمام والتشجيع من السيد (تقي) ، كان يتعامل معنا ليس فقط

كطلاب علم نتلقاه منه بل كأبناء له وعلماء للغد والمستقبل سيقفزون بمملكة لاميتا للأمام قفزات شاسعة على طريق الرقي والتقدم.

رسَّخ السيد (تقي) بعقولنا وغرس فينا أن العلم أمانة غالية يجب استخدامها لجلب التقدم والرخاء وليس الدمار والفناء وظلّ يحرص ولا يملّ من تذكيرنا بهذا لتكون تلك رسالتنا العظيمة التي لا ينبغي أن ننشغل بغيرها أو نغفل عنها أبدًا.

لم أغضب أو أعط الأمر أكبر من حجمه عندما اجتمع بنا السيد (تقي) يومًا ليخبرنا برغبته في تقسيمنا لفريقين لمضاعفة الاستفادة من وقت كلٍ منا، سأل بعدها (شاهين) عن الفريق الذي يرغب برئاسته فأجابه (شاهين) في الحال باختيار الفريق المختص بتطوير المسافر الأيوني وفاحص القدرات، تم تكليفي بعدها دون سؤالي برئاسة الفريق الآخر ذو المهام الأقل شأنًا والخاص بتطوير سترات الحماية ومعالجة المعادن ، علمت بعدها بأن الفصل التام بيني وبين (شاهين) وتكليفي بما يبقيني بعيدًا عنه كان الخطوة الأولى في خطة السيد (تقي)، الخطوة التالية كانت غريبة أيضًا ولم أفهمها بجعل الفقرة الأخيرة من يوم كلٍ منا هي دعوة أحدنا للعشاء بمنزل السيد (تقي) يومًا بعد يوم، يوم لي ويوم لـ(شاهين) ليقوم كلٌ منا بإطلاعه على آخر ما وصل إليه في أموره البحثية ، لم أفهم السرَّ في إصرار السيد (تقي) على اصطحاب صاحب الدعوة لإكمال الحديث برفقته سيرًا في الطريق خارج المنزل في الهواء الطلق بعد العشاء مؤكدًا بأن السير في الهواء بعد العشاء وقبل النوم عادةٌ صحيةٌ من شأنها المساعدة في هضم الطعام وجلب النوم العميق، ظهرت أولى المفاجآت لي والسيد (تقي) يخبرني يومًا أثناء سير مابعد العشاء بأن أستمع لما يقوله بهدوء وتركيز دون إبداء أي انفعال

مفاجئ يلفت الانتباه إلينا كرفع الصوت أو التوقف عن السير والإلتفات له فجأة بل عليَّ أن أستمر في الحديث أثناء السير بصورة طبيعية تمامًا يبدو معها حوارنا لمن يراه وكأننا نتحدث بأي حديث تقليدي غير ذي شأنٍ ، لم أعرف لماذا لم يخبرنِ السيد (تقي) بالأمر كله مرَّة واحدة.. أهو الخوف من اندفاع اللحظات الأولى؟ أم الخشية من إقدامي على حماقة قد لا يستطيع علاجها لاحقًا؟.. ولم أفهم تفضيله لأن يروي لي أمرًا بهذه الخطورة كأجزاء أثناء جولات سير ما بعد العشاء والتي عرفت فيما بعد بأنها لم تكن لهضم الطعام أو جلب النوم العميق كما زعم بل لهضم الخيانة وجلب النوم العميق لمن يراقبوننا لثقته التامة من تغلغلهم ووصولهم لعقر داره.

قطع الصورة المبعثرة بدأت تتجمع أمامي واحدة تلو الأخرى يومًا بعد يوم ليزداد وضوح الصورة أكثر فأكثر مع ظهور قطع جديدة من الصورة يوماً بعد يوم ولأعرف بطعنة (شاهين) الغادرة التي ذبحت بسكين الخيانة كل أحلام وطموحات السيد (تقي) في الغد ، استبد الذهول بي والسيد (تقي) يخبرني بكل هدوء يومًا أثناء سيرنا بأن أيامنا معًا باتت معدودة، وأن مرض والده الشديد قد وصل لمرحلةٍ متأخرةٍ لن يبقى الرجل بيننا معها كثيرًا ، طالبني يومها بالرحيل بأختي في الحال ودون تأخير حال علمي بوفاةِ والده ، وأعطاني يومها عنوانًا بإحدى القرى الصغيرة النائية وطلب مني الذهاب لهناك وأنه قد أعدَّ لي كل شيء ، دسَّ بيدي يومها خطابًا مغلقًا طلب مني عدم فتحه إلا بعد شهرين من وصولي لهناك... وهكذا مضت الأمور كما أعدها السيد (تقي) فاختفيت أنا وأختي وسط انشغال الجميع بالوفاة وابتعدنا عن الأنظار تمامًا بعد أن تركنا كل شيء حتى ملابسنا وأشيائنا فلم نأخذ منها

شيئًا كما طلب منا السيد (تقي) مبررًا ذلك بأن هذا من شأنه أن يضاعف حالة الارتباك والحيرة التي سيتركها اختفائنا.

أذهلتني المفاجأة وأنا أفتح الخطاب في الموعد المحدد بعد مرور الشهرين كما كان الاتفاق ، عرفت من الخطاب ما لم يروه السيد (تقي) لي في جولات ما بعد العشاء لتكتمل الصورة لديّ تمامًا ، مرور الشهرين كان يعني أن الأمور قد مرَّت بسلام ولم يلتفت لغيابنا أحد وأننا بأمان الآن.. الخطاب كشف لي السبب في كثرة انفعاله عليَّ وطريقة الحوار السيئة التي كان يتعمد محادثتي بها في الفترة الأخيرة على مرأى ومسمع من الجميع وأنَّ هذا كان مقصودًا متعمدًا وجزء أصيل من الخطة ليبدو اختفائي المفاجئ كفرار و هروب من سوء المعاملة.

لم يخطر ببالي أن يتم إعداد الأمور بكل تلك الدقة والتنظيم بدءًا من الملابس والطعام وشئون الحياة التقليدية وصولًا لتجهيز وإعداد معمل بكافة أجهزته ومعداته لاستكمال البحث العلمي .. أمَّا أكبر المفاجآت فكانت إخباري بالمكان الذي دفن به كل أوراقه البحثية لانطلق منها لاستئناف واستكمال الطريق وعدم التوقف وإهدار الوقت مهما كانت الظروف وعدم الخروج أو مغادرة المنزل لأي سببٍ كان.

المنزل المُعَدّ لنا كان غريبًا وبمكان هادئ معزول، أكبر مفاجآت هذا المنزل كانت في ما يحويه من سراديب خفية لا أحد يعلم عنها شيئًا أخبرني بها الجد (سعدون) بعد انقضاء الشهرين ولأعرف منه بأنها بوابتي وطريقي للذهاب للمعمل لإكمال وصية السيد (تقي) باستئناف البحث العلمي وعدم التوقف. وجدت كل شيء احتجته أنا وأختي هناك ولم ينقصني ما أحتاج الخروج لأجله فبقيت بالمنزل بلا مغادرة كما أراد السيد (تقي). الشيء الأصعب في كل ما طلب مني كان عدم

البحث أو السؤال عن السيد(تقي) أبدًا مهما كانت الأسباب حتى لو بلغني خبر وفاته!

دخلت أختي (وعد) لتسألني أتعد الطعام لنفطر سويًا أم تضعه في حافظة الطعام وسأفطر وحدي بالمعمل؟ أجبتها بأننا سنفطر معًا، تركتني وذهبت لإعداد الإفطار ، سمعت طرقات على الباب بالنمط والطريقة المتفق عليها، فتحت الباب فدخل الجَدُّ (سعدون) وبرفقته رجل لا أعرفه ولم أره من قبل ، صافحني الجدُّ بحفاوةٍ فدعوته والرجل للإفطار معي فأجاب بابتسامة صغيرة قائلًا:

- أفطرنا باكرًا.

نظراتُ الرجل المرافق كانت غريبة مريبة قبل أن يتمتم أخيرًا قائلًا:

- الوقت يا جَدّي!

أثار ما قاله اهتمامي فنظرت للجَدِّ قائلًا:

- ثمة أمر ما لا أعلمه وهذه الزيارة ليست إلاَّ لإخباري به فما الأمر؟

خفض الجَدُّ (سعدون) صوته وهو يقترب من أذني هامسًا:

- الأخبار القادمة ليست جيدة يا (باسل) ، كثافة السؤال عنك زادت في الفترة الأخيرة بصورة مقلقة ولا أعرف ما الذي حدث أو جدَّ ليتذكروك بعد كل الأعوام التي مضت!

ثم أشار للرجل المرافق له وهو يكمل حديثه قائلًا:

- هذا (فطين) حضر من هناك خصيصًا بعد شعوره بالخطر ليخبرنا بضرورة توخي الحذر.

تمتم (فطين) بحماسة مقاطعًا:

- من الضروري أن تخبره بأنه قد تم نشر صور له بعدة مواقع كمفقود جاري البحث عنه مع الإعلان عن مكافأة كبيرة لمن يُدلي بمعلومات عنه ، من الأفضل أن يعلم بالحقيقة كاملة حتى يأخذ حذره ويحتاط جيدًا.

انقبض قلبي لسماع الكلمات والمصيبة التي حملها لي هذا المدعو (فطين) فسألت الجَدّ في حيرة:

- وماذا عليَّ أن أفعل الآن من وجهة نظرك؟

- ليس من وجهة نظري أنا لأن هناك خطة بديلة وضعها لنا السيد (تقي) لو ساءت الأمور وتسربت رائحة وجودك لدينا.

- وما هي هذه الخطة البديلة؟

أمسك الجَدُّ (سعدون) بيدي وسحبني بعيدًا طالبًا من (فطين) أن يسعل أو يفعل ما يحذرنا به عند قدوم أختي (وعد) التي فضل عدم الحديث بالأمر أمامها حتى لا تضطرب أعصابها، خفض صوته لحد قارب الهمس وبدأ يخبرني بهدوء بخطة السيد (تقي) البديلة..

*****

أطفأ (شلهوب) الضوء ورقد بفراشه يفكر بعد أن بات التفكير هو الشيء الوحيد الغير مراقب ، تأكّدَت شكوكه اليوم بعد قطع الاتصال بأسرته بأن (جسَّار) يراقبه .. لماذا تذكرتني وعدت لحياتي ثانيةً يا(جسَّار) بعد كل الأعوام التي مضت؟

أغلق عينيه لتتعاقب بعقله قطوف ذكرياته مع (جسَّار) ، اختاره (جسَّار) من بين كل المحيطين بالسيد (تقي) ليكون رَجُلَهُ دون أن يعرف السبب وما المميز به لتختاره عين (جسَّار) دون غيره؟ غضب يومها بشدة وثار رافضًا لكن التهديد بسلامة والدته أخمد ثورته

وسحق رفضه وغضبه في ثوانٍ ليدرك أن (جسَّار) قد أنهى المباراة معه بلمس الأكتاف في الجولة الأولى ، كثيرًا ما تساءل لماذا لم يختر (باسل عدنان) معه أو بدلًا منه؟ لكنه ظلّ سؤالًا لم يعرف إجابته حتى الآن.

الإحساس بالذنب ظلّ كابوسًا يؤرق مضجعه ولم يفارقه طوال الأعوام التي مضت بمرّها دون حلوها الذي لم يذق له طعمًا من يومها، ماتت والدته التي فعل لأجلها كل هذا ، وغادر (جسَّار) هو الآخر السهم القرمزي التي فعل هو أيضًا كل هذا لأجله ، والسيد (تقي الدين) وحده من بقيَ في الأسر إلى الآن ، لم تنجح حياته الجديدة كـ(شلهوب) أن تنسه شؤم الخيانة وعارها أو تخلصه من الضيق المطبق على صدره من يومها للآن.

قفز من فراشه بسرعة مع سماع صوت الأزيز ورؤية الوميض الخافت، أوقد ضوء الحجرة والتقط جهاز الاتصال.. أخيرًا (راجي).. هذا غريب! الآن وبهذا التوقيت المتأخر! فكَّر بأن يذهب ويحضر (جسَّار) ليستمع بنفسه لكل ما سيقال لكن خشيته من ضياع أو إنقطاع الاتصال حالت دون ذلك ، حسم أمره بعد تردد وفتح الاتصال ليأتي صوت (راجي) قائلًا:

- أتسمعني يا (شلهوب)؟

- أسمعك يا (راجي).. ارفع صوتك وأخبرني أين ولماذا اختفيت كل تلك الفترة؟

- مرضٌ شديد سحقني وأسقطني طريح الفراش طوال الأيام الماضية فلم يترك لي شيئًا يمكن فعله سوى الأنين والتأوه ولم يكن بإمكاني بالطبع الذهاب لطبيب للكشف أو العلاج وهذا أحد أكبر الممنوعات.

أردف (شلهوب) سائلًا:

- جيد أن تعافيت.. والآن اخبرني هل أنهيت جمع الكتيبة لتُنهي مهمتك وتعود إلينا؟

- لم تسر الأمور كما خططنا ، تلف ساعتي جعلني لا أعرف أي شيء عن الوقت لديكم مع اختلاف عدد ساعات اليوم وطول الساعة ذاتها فصرت بهذا لا أعرف كم مرَّ عليَّ من الوقت بهذا الكوكب اللعين، وكم انقضى من عمر المهمة!

- دعنا من تلف ساعتك وأخبرني كم جمعت من أفراد الكتيبة؟

- الحقيقة أنني لا أعرف كيف أخبرك أنت والسيد (جسَّار) بالمصيبة التي حدثت لي!

- أي عودة لعينة هذه يا (راجي)!! ... أغبت كل هذا الوقت لتخبرني بأن لديك مصيبة؟! هيا تحدث بسرعة واخبرني بما حدث؟ وما المصيبة التي تخفيها؟

- فقدت المسافر الأيوني.

قفز (شلهوب) من فراشه في غضب صارخًا:

- ماذا؟!! فقدت ماذا؟!!

- المسافر الأيوني.

- لعنة الله عليك يا (راجي)..أتدرك جيدًا ما تقول أيها الغبي أم أنك ثمل وتعاطيت من المسكرات هناك ما غيَّب عقلك ؟!

- بل بوعيي تمامًا وأدرك كل كلمة أقولها وفقدت المسافر الأيوني.

- لو أن ما تقوله الآن صحيحًا فأنت تتحدث عن نهايتنا أنا وأنت!

- بحثت بكل مكان وأعدت البحث مرَّات ومرَّات بكل الأماكن ولم أجده.

- أتدري أنك ستقضي بهذا ما تبقى لك من عمر حتى الموت هناك على كوكب الارض؟ وبالنسبة لي فإن رقَّ قلب السيد (جسَّار) وكان حنونًا معي فقد يترك لي اختيار الطريقة المناسبة لموتي! وإن كنت أظنه سيشعل النار بي لتكون نهايتي الموت حرقًا بالخيانة العظمى.

- لم يغادر التفكير بكل هذا رأسي لحظة منذ ضياع المسافر الأيوني لكنني في الوقت نفسه لا أجد ما أفعله .. وإن كنت تعرف ما يمكن فعله فأخبرني وسأفعله في الحال.

- اصغ لي جيدًا.. افتح مجموعات الأدوية التي معك وتناول الدواء الملصق عليه الرقم ٦٥٢.

- وماذا سيفعل هذا الدواء الذي تطلب مني تناوله الآن بي ؟ ولم تذكره لي أو تحدثني عنه من قبل ضمن الخطة المتفق عليها؟ أتريد التخلص مني يا (شلهوب)؟

- لا تثرثر كثيرًا أيها الغبي فالدواء ليس بأكثر من حافز لمناعتك ، خذه فهو ضروري لتحسين ورفع مناعتك، أمَّا موضوع أنني أريد التخلص منك فلا حاجة لي بذلك ، فأمرك قد انتهى بالفعل وستموت وتدفن على كوكب الأرض ، هذا إن دُفنت ولم يتم تركك على جانب الطريق كالحيوانات النافقة لذا حاول قدر استطاعتك أن تبحث بلا توقف حتى تجد المسافر الأيوني لتتمكن من العودة به إلينا ثانيةً.

- حسنًا سآخذ الدواء .. لكن اخبرني ماذا يمكنني أن أفعل الآن بعد أن بحثت بكل الأماكن التي تواجدت فيها أو ذهبت إليها أو مررت بها ولم أجد المسافر الأيوني؟ أشعر بأن كل الأبواب قد أوصدت بوجهي ، فهل هناك ما يمكن فعله؟

- لا تيأس وأعد البحث بلا كلل أو ملل ، سأخبر السيد (جسَّار) بأن التأخير وغيابك الفترة الماضية كان بسبب مرضك وسأخبره بالشيء الأكثر أهمية بأن المسافر الأيوني بدأ يظهر بعض رسائل خطأ لاتفهمها ولم تستطيع التعامل معها تمهيدًا لأن نخبره لاحقاً بأن الجهاز قد تلف تمامًا ولا يعمل ، وأظن هذا سيكون أخف وطأة على نفسه من إخباره بكارثة فقدك للجهاز وإن كانت النتيجة بكلتا الحالتين واحدة لكن هذا على الأقل سيجنبنا أنا وأنت مصيبة الاتهام بالإهمال الجسيم، ولكي تسير الأمور بدقة أكثر فأنت من ستتصل لتخبره بهذا بنفسك تقريبًا بعد عشر ساعات من الآن ، سأكون بجواره ساعتها لأندهش معه وأعيش دور المذهول المصدوم بسماع ما تقول وكأني أسمعه للمرة الأولى.

- لن أستطيع تقدير أو حساب الوقت المناظر للعشر ساعات لديكم بالتوقيت الأرضي بعد تلف ساعتي وعدم تماثل عدد وطول ساعات اليوم لديهم معنا.

- لم أرك بهذا الغباء من قبل يا (راجي)! .. قدِّر الأمور بشكل تقريبي بالاعتماد على ذاكرتك ومعرفتك بالوقت لدينا ، الدِّقة الشديدة ليست مطلوبة لهذه الدرجة وكل ما يلزم هو أن تتصل بوقت يكون السيد (جسَّار) موجودًا ويقظًا لا أكثر وإن خانك تقدير العشر ساعات واتصلت قبلها أو بعدها فالأمور لن تختلف كثيرًا طالما أدركته.

- فهمتك يا (شلهوب).

- لا تنس أن تذهب وتتناول الدواء الآن حالًا وبلا تأخير.

أغلق (شلهوب) المكالمة مع (راجي) وهو يفكر في الكارثة التي حلت بهم وكيف ستجري الأمور مع (جسَّار) عند علمه بتلك المصيبة. (راجي) شاب صغير لا يعرف السيد (جسَّار) جيدًا ولا كيف هي غضبته ، أما هو فيعلم جيدًا كارثة ووبال أن تصبح موضع غضب من كان يوماً رأس مطرقة السهم القرمزي.

* * * *

(٢)

دلف (غيَّاث) لغرفة السيد (برهان) فأشار له بيده للجلوس متابعًا حديثه عبر الهاتف حتى أنهى المكالمة، التفت بعدها لـ(غيَّاث) قائلًا:

- وجهك يشي بأن لديك ما تريد أن تخبرني به.
- أمسكت بطرف الخيط لـ(باسل عدنان).

ابتسم السيد (برهان) قائلًا بسعادة:

- رائع.. أحب كثيرًا من يحملون لي الأخبار الجيدة.
- الإعلان عن مكافأةٍ لمن يُدلي بمعلومات عنه مع نشر صور له جعلنا نستقبل كل يوم العشرات ممن تفوح رائحة الجشع من أفواههم ليخبرونا بسخافات تستحق أن نركلهم معها للخارج لا أن نستمع ونصغي إليهم، بنهاية الأسبوع الأول أدركت حماقة وسخف ما فعلناه بأنفسنا فأحجمت عن الاستماع مكتفيًا بتكليف بعض شبابنا للقيام بذلك ونسيت الأمر حتى جائني بالأمس أحد شبابنا ممن كلفتهم بالأمر وبصحبته رجل متوسط العمر يمتلك ذاكرة أقل ما توصف به أنها جبَّارة، أخبرني الشاب بأن ما يقوله هذا الرجل جدير بالاستماع، استمعت للرجل فوجدت ما قاله يختلف عن كل الهراء الذي سمعناه سابقًا فالرجل لم ينطق بكلمة في غير محلها أو يذكر شيئًا غير صحيح في كل ما قال بل جاءت المفاجأة بامتلاك الرجل لذاكرة خرافية دعمت كل ما ذكره بالتاريخ الدقيق لكل حدث.

بدا العجب على وجه السيد (برهان) وهو يردف في دهشة قائلًا:

- اكمل يا (غيَّاث).. أثرت فضولي.

- وكر الضِبَاع قرية صغيرة نائية لا يعرفها الكثير ، الرجل الذي أحدثك عنه عاش بتلك القرية منذ ولادته وحتى رحيله عنها لذا فهو يعرف القرية ويعرف أهلها وسكانها جيدًا ، بعد رؤية الصور المنشورة لـ(باسل عدنان) تذكر الرجل حضور فتاة وشاب ليسوا من سكان القرية التي يعرف سكانها بعضهم البعض لدرجةٍ يبدو معها أي وجه جديد ملحوظ للجميع ولا تخطئه عين أحد من أهل القرية ، الرجل قال أنه يشبه لحد كبير الصور المنشورة لـ(باسل عدنان) هذا إن لم يكن هو بالفعل ، برزت أولى المفاجآت لنا بعد البحث لنجد أن التاريخ الذي ذكره الرجل لحضور الفتى والفتاة للقرية هو نفس يوم وفاة والد السيد (تقي الدين).

رفع السيد (برهان) حاجبيه في عجبٍ وهو يصغي بتركيز شديد لما يقول (غيَّاث) والذي أردف:

- المفاجأة الأكبر ظهرت ببحث بيانات من كانوا في استقبال الفتى والفتاة عند وصولهم لنجد أنهم أقرباء السيد (تقي) بالفعل ، قرابة بعيدة من ناحية جدَّته.

- كيف يا (غيَّاث)؟! ألم تخبرني بأن تمادي السيد (تقي) في إساءة معاملة (باسل عدنان) هو ما دفعه للهرب فرارًا من سوء المعاملة!

- أعدت التفكير في الأمر والنظر له من زاوية أخرى فوجدت الأمر لا يخلو من دهاء يليق بذكاء السيد (تقي) ، وأن هذا قد يكون ما أراد أن يقودنا إليه تفكيرنا لنصل إليه، كيف بمن لم يُعرف عنه يومًا سلاطة اللسان أو سوء الأدب في الحديث أن يصل بعدم السيطرة على انفعاله لحد الإهانة لـ(باسل) كما كان يحدث في الفترات الأخيرة بشكل ملحوظ أمام الجميع وليس لمرَّة عابرة أو اثنتين لنقول بأنه انفعال عابر خرج فيه

الغضب عن السيطرة ، بتكرّار الأمر بصورة ملحوظة ضللنا السيد (تقي) بذكائه وأسقطنا في الفخ الذي نصبه لنا لنظن بـ(باسل) ما أراد لنا أن نظنه بأنه اختفى هربًا وفرارًا منه وليس أدل على ذلك من أن الانفعال وسوء التعامل كان من نصيب (باسل عدنان) فقط ولم يحدث مع (شاهين) التابع الخائن رغم أنه الأولى بهذا لأنه هو من خانه بالفعل وباعه لـ(جسَّار) وليس (باسل).

- أعجبني تحليلك للموقف يا (غيَّاث)، والأمر يبدو هكذا بالفعل منطقيًا.

- الخطأ الذي وقعوا به أن اللقاء الأول لـ(باسل) كان مع أقارب السيد (تقي) أنفسهم وليس أحدًا غيرهم لنكتشف بهذا حيلتهم المحبوكة لاختفاء أشبه بالذوبان.

- وماذا تنوي الآن ؟

- مداهمة ليلية مفزعة ليفيقوا من نومهم فيجدوننا أمامهم كالكابوس المفزع مما يربكهم ولا يترك لهم أي فرصة لفعل أي شيء سوى العثور على (باسل) و معرفة أين هو الآن.

- أتدري يا (غيَّاث).. لو أحضرت لي (باسل عدنان) هذا فسنكون قد وجهنا ضربة قوية سندك بها حصون صمود السيد (تقي) ونُنهي مقاومته تمامًا لنبدأ بتشييد مجد لنا كالذي بناه (جسَّار).

- خطر ببالي ما قد يكون الأهم من إنهاء مقاومة السيد (تقي).

- وما الأهم من إنهاء مقاومة السيد (تقي)؟

- استبداله.

- ماذا؟!

- كما سمعت سيدي بالضبط فسنوات الحبس التي قضاها السيد (تقي) بين الجدران بالكهوف الرمادية معزولًا بعيداً عن العلم والأبحاث والكتب ليست بالقليلة ولا شك أنها قد أصابت عقله بالصدأ، إذا أضفنا لهذا تقدمه في العمر بمقدار تلك السنون وما سيتركه هذا من انخفاض في قدرات التحصيل لديه ، قفز هذا بفكرة جديدة لرأسي وهي استخدام (باسل عدنان) ذاته كبديل للسيد (تقي) وليس لمجرد الضغط عليه أو كسر مقاومته ، وكما استغنى (جسَّار) عن السيد (تقي) بـ(شاهين) فيمكننا فعلها نحن أيضًا والاستغناء عن السيد (تقي) بـ(باسل عدنان) التلميذ النجيب له وظله الذي كان لا يفارقه.

ضرب السيد (برهان) مكتبه بقبضته وهو يهتف بنشوة وقد انفرجت أساريره قائلًا:

- رائع يا (غيَّاث).. آه لو يمتلأ عالمي والسهم القرمزي برجال مثلك وبذكائك.

- سنقوم بالمداهمة الليلة إن أذنت لنا سيدي.

- قم بها وخذ معك من يلزمك من الرجال ، تعرف القواعد.. لا نريد مشاكل مع سلطات لاميتا ، وسأنتظرك هنا غدًا صباحًا وبين يديك (باسل عدنان) هذا.

*****

لم تصدق (ماوية) نفسها حين رأت (رحيق) أمامها ، كانت ترغب في الحديث إليها لكنها أحجمت عن ذلك حين رأتها تقف وسط حفنة من حُثالَةِ السجينات ، تحركت (رحيق) نحوها بسرعة ما أن رأتها وهي تناديها بفرح طفولي وتَهِم بالركض نحوها ، جذبة شديدة من شعرها

بيد (رغيدة) السجينة القوية المكلفة برقابتها أوقفتها وهي ترفع إصبعها في حزم محذرةً:

- كوني عاقلة يا (رحيق) ولا تفعلي ما يغضب سيدتك فالسيدة (كوثر) على وشك الاستيقاظ ، سأصمت هذه المرَّة ولن أخبرها بما فعلتِ لكني لا أضمن تكرار صمتي إن حدث هذا ثانيةً.

أومأت لها (رحيق) بالموافقة، ثم مالت لتقبِّل رأسها في امتنان قائلة:

- لن أفعلها ثانيةً.. أعدك بذلك.

لم تعرف (رحيق) ماذا عليها أن تفعل وهي ترى الحظ السيء يتربص بها في كل خطوة تخطوها ، اختارتها السيدة (كوثر) من بين كل سجينات العنبر لتكون خادمتها رغم صغر سنها وقلة خبرتها وعدم تمتعها بأي مهارات تُذكر تاركة حولها من السجينات من يستطيع القيام لها بأي شيء قد تفكر فيه أو يخطر ببالها بأعلى كفاءة ممكنة، أدركت مع الوقت بخروج الأمور عن السيطرة فلم يعد بيدها فعل شيء سوى الطاعة وتنفيد ما يُطلب منها مهما بدا غريبًا أو مهينًا أو شاذًا ، كانت تطلب منها أحيانًا تدليك قدميها أو الرقص أمامها لتسليتها لشعورها بالملل فتفعل مايطلب منها مع إظهار السعادة بإسعاد سيدتها ، عودت نفسها تجاهل الشعور بالخزي والمهانة وعدم التفكير فيه كثيراً لتستطيع قضاء أيامها بالسجن الوردي والتي لا تعلم كم ستطول وإلى متى ستمتد؟!

بدأت تدرك مع الوقت بأن كونها خادمة السيدة (كوثر) جعلها بمكانة يتمناها ويحسدها عليها الجميع ولا يستطيع أحد أن يمسَّها أو يضايقها حتى لا يصبح هدفًا لقصف مدافع غضب السيدة (كوثر)،

الكل كان يعلم هذا بدءًا من السجينات وصولًا للسجَّانات أنفسهن! المفهوم الجديد غيَّر من نظرة (رحيق) للأمور وخفَّف كثيرًا من ظلام وقتامة المشهد برأسها فاستطاعت التعايش مع واقعها بصورة أفضل.

نظرتها لـ(كوثر) المجرمة العتيدة الإجرام التي قضت غالب عمرها في السجون تغيَّرت وهي ترى كيف استطاعت بنفوذها وسطوتها شراء أفراد من طاقم الحراسة والسجَّانات فصاروا يدينون لها بالولاء أكثر مما يدينون به لوظيفتهم ورؤسائهم ، وأنها تملك تحت يدها داخل السجن وخارجه من يستطيع القيام لها بأي شيءٍ تريده وهكذا فمن الخطأ النظر لـ(كوثر) كمجرمة شرسة خطيرة عتيدة الإجرام بل الأصح النظر إليها كأميرة متوجة على العرش ولتصبح هي أهم وصيفات الأميرة.

استيقظت السيدة ، ركضت (رحيق) بسرعة لفراش سيدتها لتقف أمامها بعد أن سمعت الهمهمات بين السجينات ، نظرت لها (كوثر) ثم جذبتها من شعرها إليها في غير قوة لتجلب وجهها أمام عينيها وتطبع قُبلةً على خدها قائلة :

- أين كنتِ يا صغيرتي؟ ألم أخبرك من قبل بأني أحب أن أفتح عيني فأجدك بجواري!

أجابتها (رحيق) بابتسامة وهي تحني رأسها في احترام قائلة:

- عذرًا مولاتي.. فلو أنك تأخرتِ في فتح عينيكِ لدقيقة واحدة لوجدتني أمامك كما تحبين.

سألتها (كوثر) وهي تتثاءب في كسلٍ قائلة:

- أين قهوتي؟

وثبت (رحيق) في رشاقة مسرعةً للسجينة المختصة بإعداد القهوة لتأمرها بإعداد القهوة لسيدتها ووقفت بجوارها لتحملها إليها حال الانتهاء من إعدادها ، كانت تعلم جيدًا ما تحمله نفوس الكثير من السجينات من حقدٍ وضغينةٍ لها بكونها خادمة (كوثر) المقرَّبة ، استمعت لثرثرتهن في الخفاء ذات مرة لتعرف كيف ينتظرن بشغفٍ أن تأتي اللحظة التي تزهدها فيها (كوثر) وتستبدلها بأخرى كما اعتادت أن تفعل دومًا.

حملت (رحيق) القهوة وتحركت في رشاقة لتضعها أمام سيدتها ، علا صوت إحدى الحارسات بالنداء على (كوثر) للقدوم في الحال لعنبر الزيارات فلديها زيارة خاصة، توقفت النظرات كلها على (كوثر) التي أردفت في دهشة:

- غريب! ليس هذا موعد زيارتي ولا أنتظر زيارة من أحد.

أجابتها الحارسة في جدية قائلة:

- زيارة استثنائية .. هيا اسرعي فالزائر يبدو وجهًا جديدًا وليس أحد الوجوه التي اعتادت زيارتك.

*****

صمتٌ فرض نفسه على كل من (زياد) و(همَّاس) وهم يرمقون (أوَّاب) المنشغل بشواء ما اصطاده وذات السؤال يدور بعقل كل منهم دون أن يُخبر أيٌ منهم به الآخر بعد أن فقدوا الرغبة في الحديث، ما ومن التالي؟.. سؤال كان كالكابوس يطاردهم في كل الأوقات يقظةً ونومًا ولا يغيب عن بالهم لحظة.

مهارات (كمال) في ابتكار الحلول وعلاج المشاكل أذهلتهم وحسَّنت من أوضاعهم داخل الغابة وهم يجدون لدى (كمال) الحل الأفضل لكل مشكلة تظهر أمامهم ببساطة وسهولة أدهشتهم وجعلت من وجوده بينهم أروع المفاجآت .

بدأ بحفر ودقّ ما يشبه درجات السلالم على جذوع الأشجار السميكة المحيطة بهم ليصبح ارتقاء وتسلق الأشجار عاليًا أمرًا سهلًا يلوذون به عند الخوف والخطر، علَّمهم طرقًا سهلة للصيد وإسقاط الثمار من فوق الأشجار فوفر لهم بهذا مصادر للطعام لكن المصائب وكأنها أبت أن تتركهم وشأنهم فجاء اختفاء (ساجد) و(فاتن) كصفعة ثقيلة هوت على وجوههم جميعًا ليجدوا أنفسهم في جهلٍ تام وحيرةٍ ما بعدها حيرة من اختفائهما وماذا حدث لهما؟ هل تاها في الغابة المترامية الأطراف أم سقطا وجبة شهية لحيوان مفترس وسيجدون هنا أو هناك بعد أيام عظام بشرية مع بقايا ثيابهم؟!

ظلام وضبابية فرضت نفسها على المشهد بعد مرور أيام كاملة قضوها في البحث عنهما دون أن يعثروا عليهما أو ما يقود إليهما. أكان الخطأ خطأ (كمال) حين طلب من (فاتن) غسل ثيابهم بالنهر بعد أن اتسخت وفاحت رائحتها ، (ساجد) لم يتركها تذهب وحيدة وأصرَّ على الذهاب معها لحمايتها من أي خطر !

زادت حالة الاختناق وضيق الصدر التي تركها اختفاء (ساجد) و(فاتن) بينهم وازدادت الصورة ظلامًا بالتفكير فيما أصابهما وما ومن التالي؟.. اتهم (زياد) (كمال) بأنه السبب وقفزت عبارات جارحة للحوار فصاح به هاتفًا:

- ارحل عنا يا وجه الشؤم فأنت من أوقعنا بتلك المصيبة وجلب الكتب الملعونة ومعها مردة الشياطين والجان ليسكنوا بيننا.

حاول (كمال) الدفاع عن نفسه فأخبره بأن الكتب بغرفته منذ شهور ولم يفكر بقراءتها أو الاستفادة منها لأنه يمقت القراءة ولم يحب الدراسة أو يهتم بها يومًا، وأن أحد أصدقائه أهداه تلك الكتب واصفًا إياها بأنها مصباح علاء الدين الذي سيعرف قيمته حين يبدأ بحك المصباح وقراءة الكتب لكنه ما أن انتقى أصغرها حجمًا وبدأ بقراءته حتى وجد لغته عسيرة صعبة الفهم فأعاد الكتاب لموضعه ليرقد بين أخوته بالحقيبة ونسي الأمر وهكذا فالحقيبة بموضعها منذ شهور دون أن يحدث لهم شيء ، وأن الشؤم الحقيقي لم يكن في وجود الحقيبة أو الكتب بغرفته بل في فضول (زياد) ودسّه لأنفه فيما لايعنيه بدخوله الغرفة كاللص لتفتيشها والعبث بأشيائه ، وإن كان سادة الجن قد غضبوا حقًا عليهم وعاقبوهم بإلقائهم في هذه الغابة فـ(زياد) هو من أغضبهم بفعلته وليس وجود الكتب بغرفته.

بدأت المشاجرة بتراشق الاتهامات لتزداد سخونة الحوار ويشتعل ليصل لتبادل السِّباب والإهانات ثم التقاذف بالأشياء بعد أن فقد كلٌ منهم أعصابه، (همَّاس) كان في حيرة شديدة بين قناعته بخطأ (كمال) وبين صداقته الوطيدة له منذ أعوام ، (أوَّاب) فاختار الصمت دون الانحياز لطرف على حساب الآخر لعلّ الأمور تهدأ وحدها حتي فجَّر (كمال) المفاجأة المذهلة باتخاذه القرار بتركهم والرحيل عنهم!

حمل (كمال) ما يلزمه من أشيائه ورحل دون كلمة أو نقاش مع أحد ، خابت كل محاولات (همَّاس) لاستبقائه وإثنائه عن الرحيل. أين رحل (كمال)؟.. سؤال لا تختلف إجابته كثيرًا عن أين اختفى كلٌ من

(ساجد) و(فاتن)؟.. لم تهدأ أعصاب (زياد) بعد رحيل (كمال) وغرِق في الشعور بالذنب وتأنيب الضمير لائمًا نفسه لفتح هذا الموضوع الشائك. بحثوا عن (كمال) في كل مكان فلم يجدوه أو يجدوا ما يدلهم على مكان اختفائه وأين ذهب ، عادوا للجدران وقد استبد بهم الهم واليأس، (همَّاس) كان أكثرهم حزنًا بعد إخفاق كل محاولاته لاستبقاء صديقه الحميم وإثنائه عن الرحيل بعد أن أطلق قطار الغضب صافرة التحرك ولم يعد بالإمكان إيقافه أو اللحاق به.

ناداهم (أوَّاب) لتناول الطعام، هزَّ (زياد) رأسه بالنفي قائلًا:

- فقدت الشهية للطعام.

تمتم (همَّاس) هو الآخر دون أن ينظر إليهم مردفًا:

- كُل أنت ولا تعطل نفسك بانتظارنا.

نهض (أوَّاب) من أمام النار صائحًا:

- نحن بغابة وهذا أمر لا يمكن نسيانه! ولأننا بغابة فلا بد من تناول الطعام وترك سخف الحديث عن فقد الشهية أو عدم الرغبة في الطعام لأن رأس مالنا الحقيقي بهذه الغابة وإلى أن يأذن الله لنا بمغادرتها هو صحتنا ولا شيء سواها ، ولو خرج علينا الآن وحش أو حيون مفترس فستلزمنا الصحة والقوة للركض أو التسلق للفرار والابتعاد ، أتمنى أن تكونوا قد أدركتم ما أعنيه جيدًا.

أجابه (زياد) بضيق قائلًا:

- لم نقل بأننا مضربون عن الطعام ولن نأكل ، ما قلناه فقط هو ليس الآن.

نظر (أوَّاب) لـ(همَّاس) سائلًا:

- وأنت يا (همَّاس).. ألا تريد تناول الطعام أيضًا؟

أطفأ (أوَّاب) نار الشواء مع صمت (همَّاس) وهو يردف قائلًا:

- كما تريدون يا سادة.. إن لم تأكلوا هذا الطعام الآن ساخنًا فستأكله الحشرات والجرذان المحيطة مع شكر وإمتنان لكرمكم وسماحكم لها بمشاركتكم الطعام والفوز بهذه الوجبة.

أذابت كلمات (أوَّاب) رفضهم فنهض كلٌ من (زياد) و(همَّاس) ليجلسا بجواره أمام الطعام في صمت وليبدأوا بتناول الطعام الساخن معه، نظر لهم (أوَّاب) في لومٍ قائلًا:

- لا تدعوا اليأس يتسلل لقلوبكم وكونوا على ثقة بأن رحمة الله أكبر وأوسع من كل ما نحن فيه الآن، ومن يدري فقد نجد (ساجد) و(فاتن) بأي لحظة أمامنا ، وقد يعود إلينا (كمال) بنفسه هو الآخر بعد أن تهدأ أعصابه ويزول غضبه ويشعر بالشوق لنا والإفتقاد لصديقه (همَّاس).

توقف (همَّاس) عن المضغ وهو ينظر لـ(أوَّاب) سائلًا:

- أتظن هذا قد يحدث حقًا يا (أوَّاب)؟

- بالطبع يا صديقي تفاءلوا بالخير تجدوه...

أردف (زياد) مقاطعاً:

- كم هو خبيث ولعين من أهدى لـ(كمال) هذه الكتب ، كان يعلم بخطورتها فلم يخاطر بحرقها أو تمزيقها خوفًا على نفسه، وحاك أكذوبة مصباح علاء الدين هذه ليتخلص منها بإهدائها له ، ولو فكَّر (كمال) لدقيقة واحدة وسأل نفسه كيف لمن يملك مصباح علاء الدين أن يفرط فيه بهذه السهولة دون مقابل.

أجابه (همَّاس) في عتابٍ:

- (كمال) رحَّب بالأمر لأنه مجاني لن يدفع فيه شيئًا، ولم يخطر بباله لحظة بأن في الأمر شرٌ أو خطر، لكنك أخطأت أنت أيضًا يا (زياد) فلم يكن الوقت بالملائم أبدًا لفتح هذا الموضوع وقول تلك الكلمات.

ارتسم الحرج على وجه (زياد) وهو يومأ لـ(همَّاس) برأسه في حرجٍ قائلًا:

- الشعور بالخطأ والذنب تجاه (كمال) يكاد يقتلني ولا أعرف كيف لي أن أُصلِحه.

صمتٌ ساد لدقائق انشغلوا فيها بتناول الطعام قبل أن يردف (زياد) سائلًا:

- ألم يأن الأوان لتخبرنا عن صداقتك الوطيدة بـ(كمال) كيف بدأت وكيف تعرفت به؟ فقد رأيت بحياتي صداقات كثيرة لكن صداقتكما تحمل عمقًا راسخًا ونادرًا لم أره من قبل.

ابتلع (همَّاس) الطعام الذي بفمه وهو يجيب قائلًا:

- إنها قصة طويلة قد لا يمكنني روايتها لكم ، يمكنني القول فقط أن صداقتي بـ(كمال) لم تبدأ بالسكن معه كما تظنون، وإنما بدأت حين عرّض نفسه وحياته للخطر لينقذني من القتل دون أن يعرفني أو يعرف أي شيء عني.

*****

أشار (جسَّار) لـ(صامد) بإصبعه نحو ركن المتابعة مع سماع الطرقات على باب مكتبه، توارى (صامد) خلف الباب الزجاجي كما اعتاد، فتح (شلهوب) الباب ودلف للغرفة بعد سماع الإذن بالدخول لينحني في احترام أمام السيد (جسَّار) قائلًا:

- (راجي) على اتصال معنا فشرفنا بالحضور الآن من فضلك.

- حسنًا يا (شلهوب).. اذهب إليه أنت الآن وسألحق بك.

غادر (شلهوب) عائدًا لغرفته، فتح (جسَّار) كاميرات مراقبة غرفة (شلهوب) وطلب من (صامد) المتابعة عبر الكاميرا لما سيدور بينهم ثم غادر متجهًا لغرفة (شلهوب). أزيز جهاز الاتصال كان أول ما سمعه (جسَّار) عند دخوله الغرفة فالتفت لـ(شلهوب) سائلًا:

- لماذا لم تفتح الاتصال معه إلى الآن؟ ألم تخشي انقطاع الاتصال والعودة للانتظار من جديد؟!

أجابه (شلهوب) وهو يضغط زر فتح الاتصال قائلًا:

- فضلت أن تحضر الحوار كاملًا من أوله بعد أن أخبرتني بأنك ستحضر خلفي.

ارتفع صوت (راجي) عبر الجهاز قائلًا:

- مرحبًا (شلهوب).. كيف حالك؟

- أنا بخير (راجي).. كيف حالك أنت؟ السيد (جسَّار) معي وأراد الاطمئنان عليك بنفسه ومعرفة آخر ما وصلت إليه.

غمغم السيد (جسَّار) قائلًا:

- أين كنت؟ ولماذا تأخرت عنا كل هذا الوقت ؟

- مرض شديد أسقطني طريح الفراش لم أقوَ معه على الاتصال أو الإجابة وعندما استطعت الحركة كان أول ما فعلته هو محاولة الاتصال بكم لمرات عديدة بلا مجيب ، أظن تلف ساعتي وعدم معرفتي بالوقت لديكم جعل إتصالي بكم بأوقات غير ملائمة إلى أن حالفني الحظ أخيرًا اليوم والتقيت بكم.

- كم جمعت من أفراد الكتيبة حتى الآن؟

- ليس الكثير فتوافر الذكاء والقوة معًا بنفس الشخص ليس بالأمر الهين، لم أجد حتى الآن سوى عدد قليل للغاية من الأذكياء الأقوياء.

- أنا حزين للغاية على الأيام التي أُهدِرت وفقدناها بمرضك يا(راجي) ، طمعي في الفوز بمقاتل إضافي منعني من إرسال من يعاونك ، وها أنا ذا أدفع الثمن !

- معذرةً سيدي، لكن هناك أمر هام أرغب بسؤال السيد (شلهوب) عنه؟

- هيا اسأل.. فـ(شلهوب) بجواري ويسمعك.

- المسافر الأيوني بدأ يُظهر رسائل خطأ لا أفهمها وضوء أحمر يومض من آن لآخر ، الجهاز توقف تقريبًا عن القيام بالترجمة فماذا عليَّ أن أفعل الآن؟

سأله (شلهوب) في جدِّية:

- هل تأكدت من معدلات شحن الطاقة للجهاز؟

- بالطبع وهذا أول ما خطر ببالي.

نظرات قلق حملتها عيون (جسَّار) وهو يرقب (شلهوب) الذي أردف بجدِّية قائلًا:

- ما قلته الآن ليس جيدًا على الإطلاق وينذر بخطرٍ شديد يا (راجي)، حاول جمع الكتيبة وإنهاء مهمتك بأسرع ما يمكن قبل تلف الجهاز وفقدنا لك وللجهاز معًا.. تذكّر جيدًا يا (راجي).. بأسرع ما يمكن.

التفت (جسَّار) لـ(شلهوب) بعد انتهاء الاتصال سائلًا:

- أكان تحذيرك له حقيقيًا أم أردت ضخّ بعض الحماسة في نفسه ونفض الكسل عنه؟

- حقيقي تمامًا فالجهاز لم تُجرى له أي صيانة منذ سرقتنا له وإحضار المقاتلين المرتزقة به من كوكب مينامون.

- وما الحلول لديك إن تأزَّم موقف الجهاز أكثر يا (شلهوب)؟

- يؤسفني أن أخبرك بأن لا حلول لديّ فأنت أول من يعلم بسرقتي للجهاز قبل انتهاء العمل به ، تشجعنا وجرَّبناه في مخاطرةٍ مجنونة وغير محسوبة نجحت فأعدناها مرات ومرات تمت كلها بنجاح فتمكنا من إحضار كتائب كاملة من المقاتلين المرتزقة دون حدوث أعطال إلى أن توقفنا عن استخدامه.

- لكنه لم يتلف في فترة التوقف يا (شلهوب) بدليل أنه حمل (راجي) لكوكب الأرض واستطاع فهم لغتهم والحديث معهم.

- كلامك صحيح سيدي .. لكن ماذا عن المناخ هناك؟ ألم يخبرنا (راجي) بتلف ساعته.. من الممكن أن تكون الأمور قد بدأت بساعته وأن يكون معامل التفكك والتآكل بكوكب الأرض خارج المعدَّلات الآمنة الموجودة لدينا لذا فالخوف الآن على الأجهزة كلها هناك أن تكون في طريقها للتلف هي الأخرى كساعته.

- وما العمل الآن؟

- علينا الاستعداد لعودتهم خلال أيام قليلة قبل تلف الجهاز.

- وأين ستكون نقطة العودة يا (شلهوب)؟

- لم أتمكن من تحديد إحداثيات نقطة العودة بدقة لكنها لن تخرج غالبًا عن الغابة المَشْؤومة.

- تشعرني وكأنك تتحدث عن حديقة أو بستان وليس غابة شاسعة الاتساع مترامية الأطراف!

- أخبرتك بهذا أيضًا قبل انطلاق الرحلة، وأن بإمكاني تحديد مكان وإحداثيات العودة بدقة إن أمهلتني المزيد من الوقت فأجبتني ساعتها بأن هذا غير مهم الآن وأن الأهم لديك هو الانطلاق والعودة بسلام، أمَّا مكان العودة فيمكننا إيجاد الحلول له لاحقًا.

- حسنًا يا (شلهوب).. ابق على اتصالٍ دائم بـ(راجي) لتعرف الجديد لديه وتخبرني.

غادر السيد (جسَّار) الغرفة بوجهٍ اكتسى بالجدِّية الشديدة، دلف بعدها لمكتبه ليجد (صامد) في انتظاره فأشار له قائلًا:

- لن يقتصر دورك منذ الآن على مجرد المشاهدة، سترافق السيد (بركات) لتتعلم منه كيف تدار الأمور، سيقوم باستئجار عين فضائية لمسح الغابة ومعرفة موقع الوافدين حال وصولهم، ولا بد من استئجار عدد من الرجال للتحرك بهم داخل الغابة المَشْؤومة للأماكن والمواقع التي سترشحها العين الفضائية للبحث عن (راجي) وكتيبته من الأرضيين القادمين حال وصولهم دون إثارة الشكوك بالطبع.

*****

طرق (فطين) باب الشقة بالطريقة المتفق عليها، أتاه الصوت من خلف الباب سائلًا:

- من أنت؟ وماذا تريد؟

أعاد (فطين) النظر للرقم المكتوب على الباب ليتأكد بأنه لم يخطئ العنوان ، لكن الباب فُتِح بسرعة لتجذبه يد قوية للداخل وتغلق الباب في ثوانٍ، تمتم (فطين) بعد دخوله قائلًا:

- كنت على وشك المغادرة لو تأخرت في فتح الباب.

حضرت (وعد) حاملة الشاي وجلست برفقتهم لتعرف إلى أين وصلت الأمور، نزع (باسل) شريحة تعديل الصوت من فوق ضروسه ثم بدأ يرشف من الشاي الذي أحضرته لهم (وعد) سائلًا:

- هيا يا (فطين) تحدث واخبرني كيف سارت الأمور؟ فكلي شوق لمعرفة ما حدث.

- حدث ما توقعناه تمامًا.. مداهمات ليلية لبيوتنا جميعًا من رجال السهم القرمزي الملثمين بدأت ببيت الجدِّ (سعدون) وصولًا للبيت الذي كنت تقطُن فيه بالفعل.

- وهل سكت الجيران؟

- ومن سيكون بحماقة أن يفتح على نفسه أبواب وبال قد لا تغلق؟!

- ولم يجدوا شيئًا بالطبع.

- الجدُّ (سعدون) قام ببناء حوائط سدَّ بها أبواب السراديب تمامًا ، قام بعدها بطلاء البيت بالكامل من الداخل وليس أماكن الحوائط التي بناها فقط وكأنه أجرى تجديدًا شاملًا للبيت.

- ورحلوا بالحسرة والإحباط بعد أن خاب سعيهم.

- بل رحلوا بالجدِّ (سعدون) معهم ليقتلنا الرعب والفزع ونحن لا نعرف ماذا علينا أن نفعل إلى أن عاد إلينا بعد يومين ليخبرنا بأنهم لم يسيئوا معاملته، سألوه عنك فأجابهم بهدوء وثقة بالإجابات المتفق عليها بأنك قد حضرت له بتوصية من السيد (تقي) ومكثت لديه لفترة قصيرة ولم يعجبك المكان فغادرت لمكان لا يعلمه.

- رائع يا (فطين).. كل شيء سار كما توقع السيد (تقي) تمامًا وطبقًا لخطته ، أتأكد كل يوم بأن هذا الرجل كان سابقًا لعصره بالفعل. والآن اخبرني متى سنهدم الجدران وأعود لمعملي؟

- ليس قبل شهرين أو ثلاثة من الآن حتى تستقر الأمور تمامًا.

- حسناً ... أحتاج لسلاح معي هنا.. أيمكنك أن تحضره لي؟

- ماذا؟؟

- كما سمعت.. أنا بحاجة لسلاح.

- وماذا ستفعل به؟

- احضره لي فقط ، أشعر بخوف ووجوده معي سيشعرني بالأمان.

- أنت تطلب سلاح يا (باسل) وليس بعض الطعام من المتجر! ولا بد أن أعرف لماذا تريده وماذا ستفعل به؟

- أخبرتك بأن وجوده معي سيمنحني الشعور بالأمان.

- الأمر ليس بيدي كما تعلم لكني سأخبر الجدّ (سعدون) وليقرر هو ما يشاء.

- حسنًا يا (فطين) ليكن، لكن أعطِ هذا الخطاب أيضًا للجدّ (سعدون) ففيه بعض الاحتياجات الأخرى الهامة التي أريدها من هناك.

*****

(٣)

رفع (شلهوب) رأسه عن القراءة ليرشف رشفةً من قدح القهوة أمامه وشعورٌ بالضيق يثقل صدره وقد صار التركيز ضيفًا عزيزًا بعد أن كان توأمه الذي لا يفارقه ، لماذا نام ذهنه في فراش الخمول؟ أضغوط (جسَّار) هي السبب؟ أم تقدِّم العمر وتوقفه عن التحصيل لفترة طويلة؟.. لا يدري ، زفرة ضيق أطلقها وهو يضع قدح القهوة أمامه بعد أن فرغ منه ، كانت أيامًا ذهبية لا تُنسى تلك التي عاشها مع السيد (تقي) بعقلٍ لا يمل التفكير ولا يزهد التحصيل وكأنه قد صُقِل بموانع الخمول والكسل، لم يكن مطلوبًا منه سوى التحصيل والدراسة فلا تمضي عليه ساعةٌ من يقظته لا يضيف لنفسه فيها جديدًا ، أخرجه رنين الهاتف من ذكرياته على صوت السيد (جسَّار) سائلًا:

- هل اتصل (راجي) يا (شلهوب)؟

- أنا قابع بجوار جهاز الاتصال لم أغادر مكاني بانتظار اتصاله سيدي.

- وماذا عن صيانة المسافر الأيوني.. ما الجديد بشأنها؟

- أحاول تذكّر واسترجاع معلوماتي عن الجهاز بالرجوع لبعض المراجع والأوراق القديمة لعلي أتذكر، لكن الأمور لا تسير بطريقةٍ مُبشِّرة.

- إن استطعت إحضار جهاز آخر لك فهل يمكنك الاستفادة منه؟

- كيف والسيد (تقي) قد غَيَّر برمجة الجهاز سرًا ليجعل الجهاز يدمر ذاته أثناء الرحلة؟! الناجي الوحيد من هذا التعديل الانتقامي كان الجهاز الذي سرقناه ومع (راجي) الآن.

- (تقي الدين) كان داهية بحق، أخفى عنا علمه بالسرقة ولم يقم بأي حماقة تلفت انتباهنا حتى دمَّر كل أوراقه البحثية وغيَّر برمجة المسافر الأيوني ليردَّ لنا الصفعة بأخرى أقوى من طراز لست الأحمق الذي تظنون! لكن لا تتوقف عن المحاولة واستمر فلديّ ثقة كبيرة في قدرتك على فعلها يا (شلهوب) وإعادة الجهاز لوضعه الأصلي.

- أنا بعيد للغاية سيدي عن الصورة التي تظنني عليها، ولم أظن يومًا أن الفجوة ستصل أبدًا لهذا الاتساع بين (شاهين) ذراع السيد (تقي) و(شلهوب) ذراع السيد (جسَّار).

- هذا ظنك أنت لكني أعرفك جيدًا وثقتي في قدرتك على فعلها بلا حدود فأنت رجل علم أولًا وأخيرًا .. ابتعادك عن العلم لبعض الوقت لن يغير من هذه الحقيقة.

- أتمنى أن أكون عند حسن ظنك وسأحاول قدر استطاعتي وإن كنت لن أعدك بشيء.

- لا أريد أكثر من هذا .. حاول فقط ولا تدع الخوف من عدم النجاح يشتت تركيزك.

- أرحتني بكلماتك سيدي وأزحت عن عاتقي عبئًا ثقيلًا.

- بالتوفيق يا (شلهوب).

أغلق (شلهوب) المكالمة وأراح رأسه على المكتب يطالع الأوراق أمامه باسترخاء وابتسامة على وجهه تركتها كلمات (جسَّار) المفعمة بالثقة فيه والتي حملت له طمأنينة جعلته يروح في غفوة دون أن

يشعر ، أيقظه صوت جهاز الاتصال من غفوته، حمل الجهاز وتوجه لركن لا تدركه فيه كاميرات المراقبة ، فتح الاتصال ليأتيه صوت (راجي) قائلًا:

- كيف حالك يا (شلهوب)؟
- بخير.. هل وجدت الجهاز يا (راجي)؟
- للأسف لا.. فما زال الجهاز مفقودًا ولم أجده.
- أريدك أن تروي لي كل ما حدث لك يوم فقده لعلي أجد بين كلماتك ما قد يفتح لي بابًا جديدًا للتفكير أو أرى شيئًا غفلت أنت عنه ولم تره.
- كنت قد قسَّمت وقتي بين إجراء المقابلات مع المتقدِّمين للوظيفة والتجوال بالأسواق لزيادة حصيلة اللغة ومراقبة السائرين بفاحص القدرات لعلّي أعثر على أحد الأذكياء الأقوياء بينهم وأجد الطريقةً المناسبة لضمه.
- أخبرتني بأنك بحثت بالشقة مرات ومرات دون أن تجد الجهاز.
- بالضبط.
- أكنت تحمله معك في جولاتك بالأسواق؟
- كان لا يفارقني بكل الأوقات والأماكن التي ذهبت إليها فلم أكن أتركه قط.
- لماذا يا (راجي) وما كان يكفيك هو فاحص القدرات فقط؟!
- والترجمة.. ألست أنت من أخبرني باصطحابه لكل الأماكن وخاصةً المزدحمة لزيادة حصيلة مفردات اللغة بما يضاعف من قدرات الجهاز في نقل اللغة لي وللأرضيين القادمين لاحقًا.

- معك حق لقد قلت هذا فعلًا... هناك أمر هام تذكرته وأريد الاتفاق معك عليه.

- تفضل.

- إن بدأت حديثي معك بـ"مرحباً يا (راجي)" فاعلم أني بمفردي والحديث بيننا آمن ، أمّا لو بدأت حديثي بـ"كيف حالك (راجي)" فاعلم بأن السيد (جسَّار) بجواري ويصغي لحوارنا فينبغي عليك أن تحذر وتفكر في كلماتك جيدًا ، تذكر هذا جيدًا من فضلك ولا تنسى أبدًا الفارق الكبير بين "كيف حالك" كلمتان وتعني أننا إثنان و"مرحباً" كلمة واحدة وتعني أني بمفردي.

- لا تقلق.. سأتذكر هذا جيدًا ولن أنساه، والآن اخبرني هل أفادك ما رويته لك بشيء؟

- للأسف لا ... فالجهاز مفقود وبصرف النظر عن سبب اختفائه أكان السرقة أم الضياع فمن بحوزته الجهاز ستأتي عليه لحظة ما - لا نعلم متى هي - سيدفعه فيها الفضول للتلاعب والعبث بالجهاز ، وهنا سيحدث الانفجار ليقوم الجهاز بنقل من تلاعب به من عالمه لعالمنا ليجد نفسه بالغابة المَشْؤومة كعقاب له على خطئه وليسدد ثمن حماقته وتلاعبه بالجهاز باهظًا...

قاطعه (راجي) في دهشة قائلًا:

- أقلت انفجار؟

- وما المشكلة لديك في هذا؟

- أيحدث المسافر الأيوني انفجارًا عند بدء الانتقال؟

- طبعًا.. أتظن عملًا بهذا الحجم سيرافقه صوت صغير كفتح نافذة أو إغلاق باب مثلًا! بالطبع سيرافقه صوت دويّ انفجار يصم الآذان.

- لكنك لم تخبرني بأي شيء عن موضوع الانفجار هذا!

- ولماذا أخبرك وأنت لن تسمعه أو تشعر به أو تعلم عنه فالانفجار سيسمعه المحيطون بالجهاز عند بدء عملية النقل، أمّا من ينقلهم الجهاز فيغيبون عن الوعي تمامًا أثناء قيام الجهاز بعمله.

- أيكون الإنفجار الذي حدث منذ أيام له علاقة بالمسافر الأيوني؟!

- ماذا؟؟

- حدث أمر غريب ولا أعرف إن كان له علاقة بقصتنا والمسافر الأيوني أم لا ، حديثك عن الانفجار الآن ذكرني به.

- تحدث حالًا وأروي لي كل شيء عن هذا الانفجار لأنك أثرت اهتمامي لأقصى حد وأريد أن أعرف منك كل شيء بدقة وتفصيل عن الانفجار الذي تحدثت عنه الآن.

- سمعت حديثًا بالشارع عن انفجار غريب بشقة بالطابق الأخير أثناء بحثي عن الجهاز بسوق الصاغة بعد أن قتلني الملل من كثرة التجوال بالشوارع للبحث عنه بلا فائدة ، ولمَّا لم يكن المكان الذي يتحدثون عنه بعيدًا قرَّرت الذهاب لهناك ورؤية ما حدث على سبيل التغيير وكسر الملل مع عدم وصولي لأي جديد في البحث.

- اكمل.. وماذا وجدت هناك؟

- المكان هناك كان مزدحمًا للغاية وقد تحول لما يشبه المزار السياحي لمعاينة الشقة التي اختفى كل ما بداخلها من أشياء وأشخاص، صعدت بنفسي للشقة فوجدتها خاوية من كل شيء حتى الجدران!!

- ولماذا لم تروي لي هذا من البداية أيها الغبي ؟

- وما أهمية أمر كهذا لك؟ ثم أنني خشيت اتهامي بإهدار الوقت في النزهة والتجوال وعدم الاهتمام بالمهمة المكلف بها.

- وهل عرفت كم عدد من كان بالشقة ساعتها؟

- لا.

- ما رويته الآن يُنهي القصة تمامًا يا عزيزي فأغلب الظن بأن سكان هذه الشقة الأغبياء هم من وقع بأيديهم المسافر الأيوني ولم يتأخروا كثيرًا في العبث والتلاعب به فحملهم لعالمنا محدثًا صوت الانفجار الذي سمعه الجميع، وأظنهم بالغابة المَشْؤومة الآن.

- ماذا؟!

- كما سمعت يا صديقي.. ألا تذكر حين أخبرتك بأن الجهاز سيحمل ما يقارب من ٢٥ إلى ٣٠ فردًا طبقًا لأوزانهم وعليك اختيار مكان خالي من أي شيء عدا أفراد الكتيبة المختارة ، مكان خالي كصحراء أو طريق مهجور خالٍ من السيارات أو سطح فارغ لإحدى البنايات، وأن خلو المكان أمر هام للغاية حتى لا يعود الجهاز إلينا بأشياء لا نريدها بدلًا من الأشخاص.. أتذكر هذا؟

- نعم أذكره تمامًا، وهو ما كنت أخطط لفعله بعد اكتمال العدد.

- لا داعي لذلك يا صديقي فالجهاز قد استكمل الأوزان الناقصة طبقًا لطاقته بحمل وإحضار الجدران أيضًا وهذا هو السر في المشهد المربك الحادث لديكم.

- وماذا يعني هذا بالنسبة لي؟
- يعني بأنك قد صرت مواطنًا أرضيًا ويمكنك البدء في التعايش مع ظروفك وواقعك الجديد كمواطن أرضي صالح يا عزيزي.
- ماذا؟!
- كما سمعت يا صديقي وأظنك تفهم ما قلته جيدًا ولست بحاجة للمزيد من الشرح.
- والسيد (جسَّار)؟!
- جيد أن ذكرتني فيجب أن نتفق سويًا على ماذا سنخبره.
- ماذا؟! ألا تنوي إخباره بالحقيقة؟
- بالطبع لا.. أصغ إليَّ جيدًا لأخبرك بما أنوي إخباره به.

*****

تواجدي بمدينة الضباب الداكن لم يكن مصدر سعادة لي بقدر ما كانت العودة للحياة ورؤية الوجوه من حولي هي السعادة ذاتها بعد سنوات قضيتها بالمعمل لا أرى فيها غير أختي والجدّ (سعدون) والقائمين على خدمتي، تنكري البسيط أنا وأختي بالأقنعة وشرائح تغيير الصوت سهَّل الأمور علينا كثيرًا ومنحنا الثقة الكافية للتحرك بأمان وسط المدينة.

الذهاب لمدينة الضباب الداكن لم يكن أبدًا بالسوء الذي ظننته رغم أنه كان كابوسًا ثقيلًا على قلبي في البداية حتى اكتشفت ما حمله لي من حرية وتجديد وكسر لسنوات كاملة من السأم والوحدة ، السير على أقدامي بشوارع المدينة ورؤية الوجوه من حولي أمر أسعدني كثيرًا ، لكن المفاجأة التي لم أتوقعها أو تخطر ببالي كانت في شعوري بالشوق

واللهفة للعودة لمعملي من جديد لاستئناف الدراسة والبحث وهو ما كنت أظنه لن يحدث قبل شهور على الأقل إن لم يكن أعوام ، تيقنت عندها أن رسالة السيد (تقي) التي غرسها فينا بحب العلم واعتباره منهج حياة قد نجحت تمامًا.

وصلنا لبيتنا المستأجر، شقة صغيرة تحوي بعض الأثاث الرخيص لكنها كانت مناسبة لغرض إقامتنا المؤقتة أنا وأختي تمامًا، وجدنا الجدّ (سعدون) و(فطين) جلوس بالردهة بانتظارنا عند الدخول، عانقت الجدّ (سعدون) بحفاوة وحملت (وعد) مشترياتنا للمطبخ لتعود لنا بعدها ببعض المشروبات المنعشة، أخرج الجدّ (سعدون) حاوية جلدية ناولني إياها وهو يضغط حروف كلماته قائلًا:

- لم أفعلها من قبل لكن ثقتي بمن وثق به السيد (تقي) حسمت الأمر.. تفضل هذا هو السلاح الذي طلبته.

فتحت الحاوية الجلدية أتفحص السلاح سائلًا:

- وماذا عن باقي الطلبات الأخرى؟

- جعلتني أهدم الجدران للدخول للمعمل لإحضارها لك ثم أعدت بناءها وطلاءها ثانيةً، الأمر كان شاقًا حقًا حتى أنني فكرت في الاكتفاء بإحضار السلاح فقط لكن وصية السيد (تقي) لي بشأنك هي من جعلتني أُنهي الأمر دون النظر أو التفكير في مشقته وتعبه.

- لا أعرف كيف أوفيك حقَّك من الشكر.

- دع الشكر والامتنان الآن جانبًا واخبرني لماذا طلبت السلاح؟ وما الذي تفكر فيه؟ وما تلك الأشياء الأخرى التي طلبت مني إحضارها من المعمل؟

- أشعر بخوف دائم وأفتقد الشعور بالأمان وطلبت السلاح لحمايتي أنا وأختي عند حدوث أي خطر ، أما الأشياء الأخرى فهي خاصة بمواصلة البحث والدراسة لقتل وقت وحدتنا هنا ، وحتى لا أبتعد كثيرًا عمَّا كنت أعمل به قبل انتقالي لهنا.

- أقدِّر شعورك وخوفك على نفسك وأختك ، محنة عارضة ستأخذ وقتها وترحل لتعود لنا وبيننا من جديد.

*****

ماذا وجدت (رحيق) في (ماوية) كي تحبها كل هذا الحب وتتعلق بها بهذا القدر؟ لا تدري ... لعلّه الحنان والخوف عليها وكأنها أختها التي لم تلدها أمها، تعاطف (ماوية) معها ومحاولة دفع الظلم عنها دون سابق معرفة بها وما جلبه لها هذا لاحقًا من أذى وتكدير ترك أثره العميق في نفس (رحيق).

لكل باب مفتاحه الذي لا يفتح إلا به لكن المهارة تكمن دومًا في العثور على المفتاح الصحيح للباب الذي أمامك ، درس هام تعلمته (رحيق) ، كثرة الإطراء والمدح كانت المفتاح المناسب للدخول لشخصية (كوثر) والاستكانة ولين الجانب كانت المفتاح الأنسب للتعامل مع (رغيدة) ، خبراتٌ بدأت (رحيق) باكتسابها يومًا بعد يوم إلى أن جاء اليوم الذي كشفتها فيه (رغيدة) السجينة القوية المكلفة بمراقبتها ومرافقتها كظلها وعين (كوثر) عليها التي لا تغمض ، رأتها (رغيدة) واقفة بأحد الأركان الخفية تتحدث لـ(ماوية) فثارت ثورتها وانقضت بلا تردُّد على (ماوية) لتوسعها ضربًا بتوحش دون أن تترك لها فرصة للخلاص من بين يديها، لم تترك أذى يمكن أن تلحقه بها ولم

تفعله، ركل وصفع وتمزيق ثياب، بل أنها انتزعت بيدها بعض خصلات شعر (ماوية)، الصراخ الهستيري الرهيب الذي أطلقته (رحيق) بأعلى صوتها استغاثةً بمن يأتي وينقذ (ماوية) نجح في إنقاذها بالفعل بعد أن جمع السجناء والحراس حولها.

حضرت كبيرة الحراس لتتقمص دور القاضي وتستمع لهم وهم يروون لها ما حدث لتحيل من تراه مخطئًا للتأديب، أجابت (رغيدة) كبيرة الحراس بجرأة شديدة بأنها لم تفعل شيء عندما سألتها عما حدث! تحولت كبيرة الحراس بنظرها لـ(رحيق) طالبة منها أن تروي لها ما حدث فصمتت في تردد وهي ترى النظرات من حولها تمطرها كالسهام التي لا تخطئ هدفها، نظرات تحمل الكثير من المعاني ما بين رجاء ووعيد وخوف وتهديد، حسمت أمرها أخيرًا فقالت بأنه لم يحدث شيء وأن (رغيدة) لم تضرب (ماوية) والأمر ليس بأكثر من عتاب علا فيه الصوت ، وأنها هي من انتابتها نوبة هستيرية بعد أن أساءت الفهم ، أطلقت كبيرة الحراس صوتًا نابيًا وهي تعيد ما قالته (رحيق) باستهجان "عتاب علا فيه الصوت!!"، التفتت بعدها إلى (ماوية) قائلة:

- والآن اخبريني أنتِ يا (ماوية) بما حدث؟ ولماذا ضربتك؟ وما موضوع العتاب الذي علا فيه الصوت هذا؟!

صمتت (ماوية) والجميع ينظر لها بعد أن طلبت منها كبيرة الحراس الحديث بلا خوف ووعدتها بإدخال (رغيدة) للتأديب كعقاب لها ، أجابت (ماوية) وهي تضم الأجزاء الممزقة من ثوبها إلى بعضها لتستر جسدها قائلة:

- هي لم تضربني بالفعل والأمر كما قالت (رحيق) تمامًا.. عتاب علا فيه الصوت.

اِسْتَشَاطَت كبيرة الحراس غضبًا مع انطلاق بعض الضحكات الساخرة من حولها، فكَّرت بأن تزج بثلاثتهم في عنبر التأديب كعقاب جيد لهم لكن اقتراب إحدى السجَّانات لتهمس لها بأن (كوثر) ترغب في الحديث إليها منعها من فعل ذلك بعد أن خمَّنت ما تريد (كوثر) الحديث فيه.

ما حدث لـ(رحيق) حمل الكثير من المفاجآت، أولها أن (ماوية) لم تغضب منها بل أكدَّت لها بأنها لم تفعل سوى الصواب وأنها كانت ستغضب منها حقًا لو أنها فعلت غير ذلك فهناك أحيان يكون احتمال الضرر والصبر عليه هو جسر العبور الوحيد للأمان ، المفاجأة الأخرى كانت في (رغيدة) التي اختزنت الموقف داخلها كبرهان على أصالة (رحيق) ونفاسة معدنها ، وأنها ممّن يقدرون الصداقة الحقَّة، وأن شهادتها في صفها كانت نتيجة لحبها لها وخشيتها والخوف عليها من أن يمسها ضرر، أمّا المفاجأة الأخيرة فكانت (كوثر) ذاتها والتي رأت وعرفت بعيونها المتناثرة في كل مكان تفاصيل ما حدث و فضلت الصمت دون أي لوم لـ(رغيدة) أو عتاب لـ(رحيق).

تحسنت الأمور كثيرًا مع (رحيق) بعد ما حدث فأصبح لها لقاء معتاد مع (ماوية) بأحد الحمامات في أوقات زيارات (كوثر) لتثرثر فيه بكل ما بنفسها من ألم وفرح وخواطر ، (ماوية) كانت تصغي لها كأخت كبيرة تضحك لفرحها وتربّت على كتفها لحزنها وتنصحها إن اقتضى الأمر النصيحة، أمّا (رغيدة) عين (كوثر) الثاقبة على (رحيق) وصاحبة واقعة ضرب (ماوية) الشهيرة فكانت تعرف بما يحدث وتغضّ الطرف

عن اللقاء وكأنها لا تعلم لكنها كانت في الوقت ذاته حين ترى الأمور متوتِّرة تنظر لـ(رحيق) قائلة بحسمٍ "اجلسي الآن فالجو مُغبر ومزاج السيدة عكر " ، تفهم (رحيق) في الحال بأن الأمور ليست على ما يرام ، وأن لا لقاء لها بـ(ماوية) اليوم فتجلس في صمت بجوار (رغيدة) معلنة بجلوسها وصمتها بأنها قد فهمت الرسالة جيدًا.

أحضرت (رحيق) القهوة لمولاتها الأميرة وجلست بجوارها وهي ترشف قهوتها في استمتاع كالأميرات بانتظار اللحظة التي تدخل فيها إحدى السجَّانات لتخبرها بحضور زيارتها المنتظرة ولتنطلق هي لموعدها المرتقب بالحمام في لقائها الأسبوعي بـ(ماوية) بعد أن زاد التصاقها وقربها منها فعرفت سبب إيداعها السجن وروت لها قصتها هي أيضًا، جاءت السجَّانة لتهتف من على الباب بصوتٍ واضح : "هيا يا (كوثر) .. زيارة لك".

ارتسم الفرح على وجه (رحيق) بعد مغادرة (كوثر)، رفعت عينيها لـ(رغيدة) بنظرة استئذان في الذهاب، أشارت لها (رغيدة) بيدها إشارةً أن " تريثي قليلًا.. ليس الآن " ، غابت (رغيدة) لفترةٍ حاولت (رحيق) خلالها الانشغال بأي شيء لحين عودتها بانتظار الإذن بالسماح ، أومأت لها (رغيدة) بالموافقة عقب عودتها فأسرعت (رحيق) لمكان لقائهما المعتاد بالحمام لكنها لم تجد (ماوية) هناك! فتحت الأبواب ونادت فلم تظهر (ماوية) ، وقفت أمام أحد الأحواض تعبث بالماء بانتظار ظهورها ، يدٌ وُضِعت على فمها لتكتم صوتها فجأة مع جذبةٍ شديدةٍ لها لتجد نفسها داخل أحد الحمامات ، حملقت في ذهول وهي تجد اليد التي كتمت فمها وسحبتها هي يد (رغيدة) ذاتها ، ولتجد

المفاجأة الأكبر بانتظارها وجود (كوثر) بالحمام جالسة تدخن وتنفث الدخان بهدوء وهي تنظر لها.

هزّت (رحيق) رأسها متسائلة في عجب:

- ما هذا؟ ولماذا؟!

أشارت (كوثر) برأسها وعينيها لـ(رغيدة) إشارة فهمتها جيدًا فخرجت وأغلقت الباب خلفها لتقف أمام أحد الأحواض بالخارج تعبث بالماء وتراقب المكان لتخبر سيدتها حال ظهور أي خطر قادم ، تمتمت (رحيق) في فزع قائلة:

- ما هذا؟ وما الأمر؟

- صه.. كفي عن الثرثرة .. فأنتِ أصغر من أن تفهمي.

صمتت (رحيق) وهي ترقب بعجب الحدَّة البادية على وجه (كوثر) والتي همست قائلة:

- سنهرب الليلة.

هتفت (رحيق) في ذهول:

- ماذا؟؟!!

وضعت (كوثر) يدها على فمها لتكتم صوتها قائلة:

- لم أظنك بهذا الغباء!

ثم أزالت يدها عن فم (رحيق) وهي تردف قائلة:

- أخبرك بهذا هنا والآن لأن السجن والعنبر والزنزانة وجميع الأماكن حولنا تمتلأ بالأوباش ممن تجري الخيانة بدل الدماء بعروقهم ، هنا أكثر الأماكن أمنًا للحديث ، أعلم أن إدارة السجن الوردي تراقبنا وتعلم بخلوتنا هنا أنا وأنتِ الآن ، لكنهم سيفكرون بأمور أخرى أعرفها جيدًا ليس من بينها أني أُلقِّنك خطة الهرب ، فانصتي لي جيدًا.

- لكن لديّ ما أرغب بقوله لكِ.

- تحدثي بسرعة فالوقت ضيق ولن أستطيع الحديث معكِ بأمر كهذا في الزنزانة.

- لن أهرب بدون (ماوية).

- ماذاااااااااا؟!

- لن أتحرك خطوة واحدة دون (ماوية).

صفعتها (كوثر) على وجهها صفعة قوية وهي تقول:

- أي غباء وعبث هذا؟! لو عرفتي كيف ستزيدين الأمر تعقيدًا بما قلتيه الآن لما تفوهتِ بهذا السخف أبدًا.

- قولي عني طفلة ، غبية، حمقاء .. قولي ما تريدينه لكنني لن أخطو خطوة واحدة دونها.

- إنها بزنزانة أخرى أيتها الغبية! أتفهمين ما الذي يعنيه هذا؟ لو كانت معنا لفكرت في الأمر، لكنها بمكان آخر بعيد عنا والأمر مستحيل.

- ما أعرفه أن لا مستحيلات مع السيدة (كوثر).

*****

اندفع (شلهوب) ليدخل مكتب (جسَّار) في عجلة ودون طرق للباب بذعرٍ شديد ارتسم على وجهه صائحًا:

- مصيبة سيدي.. أدركنا حالًا فنحن في مصيبة كبرى!!

صرخ فيه (جسَّار) بغضبٍ شديد:

- أجننت يا (شلهوب)؟! كيف تجرؤ لتدخل مكتبي بتلك الطريقة دون استئذان أو طرق للباب؟!

- المصيبة التي هوت فوق رؤوسنا أنستني كل شيء.

التفت (جسَّار) مخاطبًا الجالس أمامه:

- أشكرك يا سيد (صامد) يمكنك الانصراف الآن وسأعاود الاتصال بك لاحقًا.

أدرك (صامد) أن والده لا يريد لأحد بخلاف السيد (بركات) أن يعلم بأنه ابنه فنهض وانحنى في احترام أمام أبيه كما يفعل الجميع، غادر المكتب ليتحرك بسرعة عائدًا من الباب الخلفي الذي لا يعلم عنه أحد ، دخل بخفة اللصوص والفضول يأكله ليعرف ما المصيبة التي يتحدث عنها (شلهوب) ، اقترب من الباب الفاصل ليقف خلفه مباشرةً مستمعًا.

- كما أخبرتك سيدي.. في الوقت الذي كان (راجي) يحدثني فيه عن استمرار ظهور رسائل الخطأ والوميض الأحمر الذي لم يتوقف دوى صوت رهيب يشبه الانفجار ، وكان هذا آخر ما سمعته قبل أن ينقطع الصوت بعدها تمامًا.

- وما الذي يعنيه هذا؟

- صوت الانفجار يعني بنسبة كبيرة أن الجهاز قد قام بعملية الإرسال بالفعل.

- ماذا؟!

- كما سمعت سيدي.

- و(راجي)؟!!

- بين احتمالين ، أولهما أنه كان يُجري الاتصال بالقرب من الجهاز وهكذا سنجده في الغابة وسط الأرضيين القادمين.

- هذا جيد.

- الإحتمال الآخر هو عودة الجهاز بالأرضيين وحدهم دون (راجي) لأنه كان بعيدًا عن الجهاز وقتها، أو ...

- أو ماذا؟ هيا تحدث بسرعة ولا تثر سخطي أكثر من هذا.

- أو الأخيرة هذه هي الأسوأ على الإطلاق.

- هيا تحدث بسرعة واخبرني.. ماذا تعني "أو" الأخيرة هذه؟

- أن يكون الجهاز عمل بمفرده لخطأ ما بإحدى الغرف الفارغة ، لنجد الجهاز في الغابة بمفرده مع أشياء أخرى بلا قيمة لنا.

- ماذا؟!!

- كما سمعت سيدي ورغم سخافة هذا الاحتمال لكنه يظل بالفعل أحد الاحتمالات القائمة.

- وماذا عن (راجي) إن بقيَ هناك؟

- لن يبقى كثيرًا.

- ماذا؟

- سيودع عالم الأحياء بعد أيام .. أنسيت مانع القيء والدوار ، دواء النهايات النظيفة.

قطَّب السيد (جسَّار) حاجبيه بأسى قائلًا:

- كان شابًا رائعًا خدمني بإخلاص طوال عمره.

- وهل تنوي أي شيء تجاه أسرته سيدي؟

- كيف تسأل هذا السؤال يا (شلهوب).. أنسيت ما فعلته معك؟! الأمر منتهي تمامًا وأسرته قد صارت تحت رعايتي من الآن ، (جسَّار) لاينسى رجاله أبدًا ولا تفريط بتلك القواعد في عالمنا ، فلو لم يكن الرجال على ثقة تامة من هذا فقل وداعًا للإخلاص.

- لكن يظل هناك احتمال ولو بقدر ضئيل بأن يكون (راجي) وكتيبته من الأرضيين في الغابة الآن ، سأحاول الاتصال به من جديد، وأتمنى ألاَّ يكون جهاز الاتصال بيننا قد أصابه التلف هو الآخر.

- أجل لا تتوقف عن المحاولة يا (شلهوب)، واخبرني بأي جديد.

انحنى (شلهوب) في احترام قبل أن ينصرف مغادرًا الغرفة. أزاح (صامد) الباب الزجاجي مع انصراف (شلهوب) ليدلف للغرفة قائلًا:

- مصيبة لم تكن بالحسبان!

- ليس وقت هذا الآن ... اخبرني ماذا فعلت فيما كلفتك به؟

- جَنَّدْنَا كمًّا لا بأس به من الرجال للبحث داخل الغابة.

- هذا جيد ... اذهب الآن للسيد (بركات) لتبدأ معه المسح الحراري الشامل للغابة المَشْؤومة بالعين الفضائية ، ولتنطلقوا بالرجال لتلك النقاط بحثًا عن كتيبة الأرضيين.

*****

(٤)

هل ثمن الغباء بهذه الفداحة؟! واصل (كمال) سيره بالغابة بعد أن زال عنه الغضب وأدرك فداحة ما فعل بنفسه ، أيام قضاها سائرًا على أقدامه في تيهٍ بلا نهاية داخل الغابة محاولًا العثور على طريقٍ للخروج، لماذا ترك الغضب ليتملكه هكذا فيتخذ أغبى قرارات حياته؟! أعماه الغضب مع قول (زياد) له "ارحل عنا يا وجه الشؤم" ، لم يستطع نسيان الكلمة أو اعتبارها زلَّة لسان و مزحة ثقيلة قيلت بلحظة غضب لا ينبغي التوقف أمامها كثيرًا ، لم يترك الفرصة لنفسه لتهدأ ولا لكلمات الاعتذار والعتاب بإنهاء الأمر ، جمع أشياءه ورحل في عنادٍ يدفع ثمنه الآن.

تعبت أقدامه من السير وشعر بجسده على وشك الانهيار من إنهاك السير المتواصل على أقدامه لأيام ، كان يسير طوال النهار في الضوء وينتقي شجرة عالية ذات جذع غليظ قبل أن يسدل الليل أستاره ليتسلقها ويمكث طوال الليل إلى أن ينام فوقها ويربط نفسه بالشجرة بحبل وجده بين أشيائه بطريقة تمنعه من السقوط أثناء النوم، آخر ما كان يخطر بباله أن يأتي عليه اليوم الذي يصبح التمدد والنوم على الأرض نعمة غالية حُرِمها وأدرك قيمتها وهو يتذوق مرارة النوم فوق الأشجار كالقرود ، النظر للأشياء من فوق الأشجار جعله يتأكد بأن ما قاله (زياد) حقيقي تمامًا وليس دربًا من الخيال كما ظنوا، وأنهم إن لم يكونوا بغابات الأمازون أو التايغا فهم بغابةٍ لعينةٍ أخرى لم يذكرها (زياد) لهم ، حيوانات غريبة الشكل لم يرَ لها مثيلًا من قبل

كانت تتحرك أسفل الأشجار وهي ترمقه بخوف وحذر وهو يراقبها بذهول مفكرًا في الشر الذي قد تحمله ، الشيء الوحيد الجيد في كل هذا وأكثر ما أسعده أنه لم يقابل قرودًا بهذه الغابة حتى الآن حتى لاتحيل نومه فوق الأشجار لجحيم لا يطاق. قرَّر العودة لرفاقه بعد الهدوء وزوال الغضب لكنه كان القرار الصحيح في الوقت الخاطئ أو بعد فوات الأوان كما يقال.

الندم كان يعتصره كلَّما تذكّر محاولات (همَّاس) لمنعه وإثنائه عن الرحيل وكيف أحبط كل هذا بعناده وإصراره على المضي قدمًا فيما أراد، تقبيل الرأس مع بعض كلماتٍ للاعتذار والعتاب كانت كفيلة بإنهاء الأمر.. لكن لن يُجدي الندم بعد فوات الأوان.

كل الأشجار بدت متشابهة بلا وجود لما يميز أحدها عن الآخر أو ما يمكن اتخاذه كعلامة للاستدلال بها أو العودة إليها! لا يجد الآن من يحادثه، ولا يستطيع النوم بلا أربطة وقيود تمنع سقوطه أو توقف كوابيسه المفزعة بالسقوط أثناء النوم.. هل يمكن أن تحدث المفاجأة ويلتقي بـ(ساجد) و(فاتن)؟!

قاربت الشمس المغيب لكن الوقت ما زال باكرًا على تسلق إحدى الأشجار ، يمكنه البقاء أكثر بالأسفل قبل التسلق فالليل صار أكثر طولًا وسأمًا بوحدته في الظلام فوق الأشجار ، لعن مردة الجن منزوعي الرحمة فلو أنهم أحضروا له دراجته البخارية بدلًا من الجدران عديمة الفائدة لاستطاع أن يجوب الغابة كلها بسرعة ويكتشف طريق الخروج منها.

بدأ بجمع بعض ثمار الفاكهة لتكون طعامه فوق الشجرة ، تجاهل الثمار التي لا يعرفها ولم يترك لفضوله الفرصةً لتذوقها مخافةً أن تكون سامة ، وضع ما جمعه من ثمار بسترته التي كان يرتديها أثناء النوم، الإجهاد والتعب الشديد أقنعاه بأن ليس هناك أفضل من النوم الآن ليريح جسده ويجدد نشاطه ، اختار الشجرة السميكة التي ستكون مهده وفراشه الليلة وتسلقها، ثم أرخى جسده فوقها وتثاءب بعمقٍ وهو يربط نفسه بها قبل أن يروح في سباتٍ عميق.

أفاق من نومه بعد فترة لا يدري كم مرَّ عليه من الوقت وهو نائم، ثواني قليلة مرَّت عليه بعد فتح عينيه وهو يتساءل عن سبب ذلك الألم الشديد بساقه ، فك الأربطة ونظر لموضع الألم وهو يفكر فيما عساه أن يكون قد حلّ بها، أهي لدغة أفعى؟ أم عضة أحد القوارض؟ سيتعامل معها على أنها لدغة أفعى فهذا هو الأسوأ ، حاول تذكر شيئًا تعلمه في الصغر عن كيفية التعامل مع لدغات الأفاعي، تمنى أن تكون ذاكرته جيدة، ربط المكان المحيط باللدغة، أخرج مُدْيَتَهُ من جيبه في الحال وجرح بنصلها موضع اللدغة ثم بدأ باعتصاره لإخراج الدم الفاسد أو السم إن وُجِد وهو يدعو الله أن يكون ما فعله كافيًا وألاَّ يزيد الألم أو تسوء حالته أكثر.

*****

لم تفلح (وعد) في السيطرة على مشاعرها والتزام الهدوء وكتم الغضب الذي يغلي داخلها بطريقة بدت واضحة للسائرين بالشارع ، حاولت منع نفسها من الصراخ في وجه (باسل) وهي لا تجد وصفًا مهذبًا لما تراه مقدم على فعله ، ماذا دهاه؟ وأي خبل أصابه ليفكر هكذا؟! تمتمت بغضب:

- أخدعتنا جميعًا أنا والجدّ (سعدون) و(فطين) وجعلتنا نشعر بالهدوء والسكينة وأنت تخطط لفعل شيء آخر بعيد كل البعد عما رويته لنا؟!

- اخفضي صوتك.. وتذكري أننا بالشارع لا البيت يا (وعد).

- أين عقلك لتفعل بنا هذا؟

- كان بإمكانك البقاء بالبيت إن أردتِ، لماذا أصررتِ على القدوم معي ومرافقتي إن كان الأمر لا يعجبك؟

- ما تقوله الآن جنان آخر لا يقل عمَّا تنوي فعله! كيف أتركك تذهب وحيدًا لما قد لا تعود منه؟! أنسيت أنك أخي الوحيد ولم يبق لي بهذه الحياة سواك!

- اخفضي صوتك حتي لا نصبح موضعاً للأنظار.

- كيف طاوعتك نفسك أن تخدع الجدّ (سعدون) و(فطين) بدم بارد بعد كل ما قاما به لأجلك؟

- حبي لهم وخوفي عليهم هو ما دفعني لذلك ، فالجهل نعمة لا يدرك الكثير قيمتها.. كم تظنين لصمود الجدّ (سعدون) أن يطول لو خطفه رجال السهم القرمزي وتعرض لأي نوع من الضغوط؟ ستخونه شجاعته وتنهار مقاومته مع أول حفنة صفعات يتلقاها وسيخبرهم بالحقيقة كاملة بأدق تفاصيلها ، أما الآن فسيقسم لهم بكل حزمٍ وثقة بأنه لا يعلم شيئًا وأنه لم يقل غير الحقيقة وسيمتلأ ثقةً واعتزازًا بنفسه بصموده وعدم إفشائه الحقيقة التي لا يعرف عنها شيئًا ، وسيروي بكل فخر عقب عودته عن كيف كانت شجاعته وصموده.

- كان يمكنك على الأقل تأجيل ما تنويه لوقت لاحق ، لماذا لم تفكر في الاسترخاء بعد سنوات طويلة مكثتها وحيدًا بالمعمل لا تفعل بها أيّ شيء سوى الدراسة والبحث؟

- لو كان الخوف يشكل فارقًا معي ما اخترت العزلة لهذه السنوات التي عشتها منفردًا داخل معملي ولبعت السيد (تقي) أنا الآخر كما باعه (شاهين)، الحنين الذي راودني لأبحاثي هنا في مدينة الضباب الداكن أكدّ بأنني قد صرت صاحب رسالة بحق كما أراد وخطط لي السيد (تقي) من البداية.

- أنا لم أطلب منك أن تنسى رسالتك أو تغير أهدافك ، كل ما قلته هو ليس الآن بهذه الفترة الحرجة التي نعيشها وحدنا بهذه المدينة البعيدة الغريبة التي لا يعرفنا بها أحد ، فلتؤجل هذا لوقت آخر.

- إعجابي بهذه المدينة البعيدة الغريبة التي لا يعرفنا بها أحد هو أكثر ما دفعني للتفكير والإقدام على تلك الخطوة.

- لو فكرت جيدًا وراجعت نفسك لوجدتها مخاطرة مُفزِعةٌ وغير محسوبة لا أدري كيف امتلكت الشجاعة والجرأة للتفكير في القيام بشيءٍ كهذا ؟!

- الفكرة لم تخطر ببالي إلاَّ حين علمت بأن مدينة الضباب الداكن التي نحن بها الآن هي أقرب المدن للغابة المَشْؤومة.

- ستلتهمنا الحيوانات المفترسة جرَّاء حماقة وجنون فكرتك.

- ولماذا أحضرت السلاح معي إذًا؟! بوجود السلاح سأفجر رأس أي وحش أو حيوان يفكر في الاقتراب منا.

- أي هراء هذا! تتحدث عن الوحوش حديثك عن طفل يقترب منك! الأمر لن يستغرق سوى ثوانٍ لوثبةٍ من أحدهم لن تجد معها

الوقت الكافي لتدرك خطأ حساباتك ودمك يسيل بأنياب مغروسة في عنقك.

- تلزمني ثواني لتفجير رأس من يقترب.

- وماذا لو لم تخرج الطلقات بالسرعة المطلوبة أو طاشت ولم تصب هدفها بدقة؟ هل سيتسع الوقت لتصحح خطأ كهذا؟ هذا إن بقيت حيًّا لتفعل!

- كفي عن بث اليأس بنفسي يا (وعد) من فضلك.

- بل حاول أنت النظر للأمور من الزاوية الصحيحة فأنت آخر من تبقى لي بالحياة ولا أريد خسارتك من أجل شغفك وهوسك المجنون بأبحاثك.

- لن أجد فرصة أفضل من هذه بعد الأعوام الطويلة التي قضيتها في تطوير "ذاهل ٣" و"السلاح الشبكي"، فمن أين لي بمتطوعين يقبلون بالتجربة عليهم لذا كان الذهاب للغابة والتجربة على الحيوانات أولًا هو الحل الوحيد المتبقي أمامي.

- وماذا إن فشِلت التجربة أو شابها القصور أو اكتشفت أنها ما زالت بحاجة لمزيد من التطوير؟ أتكون حياتك أو حياتي هي الثمن؟!

- لو فكَّر الكل بطريقتك هذه لما تقدمنا قيد أنملة، لا تنظري للنصف الفارغ من الكأس فقط.

- كان يمكنك التجربة على صغار الحيوانات المستأنسة وليس وحوش الغابة.

- ومن قال لكِ بأنني لم أفعل ذلك.. فعلت ونجحت التجربة، وأحتاج الآن للتجربة مع حيوانات بأحجام أكبر وأسرع.

- أتدري ماذا ستكون الخسائر لو فشلت التجربة؟

- لهذا أحضرت السلاح التقليدي ، وستكونين أنتِ بجواري - إن قبلتِ - ومعكِ السلاح التقليدي لإنهاء الأمر ، فلو لم أنجح أنا بإنهاء الأمر بـ"ذاهل ٣" أو "السلاح الشبكي" فستنهين أنتِ الأمر بنفسك بالسلاح التقليدي.

تشبَّثت به (وعد) والدموع تنساب من عينيها في رجاء بعد أن بدأت أشجار الغابة المَشْؤومة في الظهور أمامهم قائلة:

- عد لعقلك ولا تفعلها يا (باسل).. أتوسل إليك بألاَّ تفعلها.

- قُضِي الأمر يا (وعد) ولن أتراجع ، أحتاج الآن لتجربة ما قضيت أعوامًا في دراسته وصولًا لصنعه وتطويره ، وأظن الأوان قد آن أخيرًا.

- أستحلفك بكل غالٍ ونفيس ألاَّ تفعلها، وعُد بِنا للبيت أرجوك.

- الغابة أمامنا وأنا ذاهب لهناك وما زلتِ تملكين حق الاختيار بين القدوم معي ومرافقتي أو العودة وحيدة إن أردتِ.

*****

التقط (زياد) النظَّارة المقربة وبدأ ينظر بملل وفتور دون أن يرى أو يجد ما يثير انتباهه ، ترك النظارة لتتدلى حول عنقه كالقلادة وشرد بعقله يفكر في أسرته وكيف هم الآن وما الذي ظنوه حول غيابه ، لا شك أن القلق قتلهم، وأن والده قد ذهب لمقر عمله للسؤال عنه بعد طول غياب ، وأنهم أخبروه بأنه منقطع عن العمل منذ فترة وفي طريقه للفصل إن لم يكن قد فصل بالفعل ، تذكّر مسابقة "العقول الذهبية" التي قفزت به لسماء الشهرة وبات الكل يعرفه بسببها.. هل انتهت المسابقة وانتهى كل ذلك الآن وضاع كل ما حققه من مجد وشهرة؟! شعر بحنين وشوق بالغ حين قفزت لخياله صورة (إنجي) التي لا تغيب عن عقله و قلبه ، كيف أنتِ الآن يا (إنجي)؟ آهٍ لو تعرفين كم أحبك

وأشتاق إليكِ ، هل تفتقدينني كما أفتقدك؟.. ابتسم وهو يتذكر تلك الشجاعة المفاجأة التي واتته والتي لم يعرف من أين له بها ولا كيف هبطت عليه فجعلته يتصل بها ليطلب لقاءها بشجاعة وبلا تردد، أخبرها يومها بكل ما أراد قوله مطوحًا بالتردد والخوف خلف ظهره، صارحها بأنه يحبها ويهيم بها عشقًا وأنها أميرة قلبه التي لا يطلب من دنياه سواها ، أجابته بابتسامتها الساحرة بأنها كانت تشعر بهذا منذ اللحظات الأولى لهما معًا ، وأن نظراته لها دومًا كانت تهمس لها بحبه، وأنها تحبه هي الأخرى لكن أمرها ليس بيدها بل بيد والدها فهو الوحيد الذي بيده أن يقرر لها كل شيء، كلماتها أثارت ضيقه وخوفه فكيف لوالدها أن يكون من بيده مقاليد الأمور؟! وماذا لو رفضه لأي سبب كالطمع لابنته بمن هو أفضل أو رأى أن سعادة ابنته في الزواج بثري ؟! أستترك لوالدها ساعتها أن يهدم ويدمر كل شيء؟! لم يسمع منها الكلمات الحاسمة التي انتظر سماعها في الدفاع عن حبهما كأن تقسم بأنها ستخبر والدها بأنها تريده هو ولا أحد غيره وأنه من اختاره قلبها وأنها وإن كانت لن تكسر إرادة والدها لكنها لن تتزوج أبدًا إلا بمن اختاره قلبها وتستطيع أن تأتمنه على القادم من عمرها ، لم تقل شيئًا مما انتظر سماعه ليعود يومها للمنزل يجرجر أذيال الخيبة بمشاعر دهسها قطار الإحباط ، تذكّر كلمات (فادية) التي لم يفهمها في وقتها وأدرك لماذا كانت ترى الطريق غير ممهد أمامه ، المكالمة التي أجراها مع (هاني) يومها كانت اليد التي أحاطت بشمعة الأمل لتمنع انطفاء ضوئها ، أخبره (هاني) يومها بكلمات مفعمة بالثقة والفخر:

- أنت لا تدرك قيمة نفسك يا عزيزي ، لم تعد (زياد) الموظف المطحون الذي لا يعرفه سوى الجيران والزملاء ، الصورة تغيرت كثيرًا

ياعزيزي بعد أن صرت شخصاً تعشقه الفتيات وتتلهف عليه الأمهات ويتمناه الآباء لبناتهن ، (زياد) الذي اقتحم البيوت من شاشة التلفاز ويعرفه الصغير قبل الكبير ، ركّز فقط في إكمال نجاحك وتألقك والفوز في المسابقة وسترى كيف أن والد (إنجي) نفسه سيكون أكثر من يزهو فخرًا بمصاهرتك.

بدأ ضوء الفجر يظهر.. ألم تنتهِ وردية المراقبة الخاصة به؟ نظر لساعته في سخط لكنه تذكر أنها تلفت منذ أيام هي الأخرى كباقي ساعات رفاقه ، ما الذي أتلف ساعاتهم جميعًا بهذه الغابة؟!

هبط الشجرة بتؤدة ليوقظ (أوَّاب) وهو يخلع النظَّارة المقربة عن عنقه ويضعها جانبًا ، ثم مدَّ يده لإيقاظ (همَّاس) الذي نهض من رقدته وكأنه لم يكن نائمًا ليجلس قائلًا:

- هناك أمر هام علينا عدم التأخر في فعله أو السهو عنه.

نظر له (زياد) في دهشة متسائلًا:

- وما هذا الأمر الهام الذي كنت تحلم به أثناء نومك؟

أجاب (همَّاس) قائلًا:

- ينبغي علينا تغليف حاسب (ساجد) جيدًا ودفنه لحين عودته.

تمتم (زياد) وهو يهز رأسه مؤيدًا:

- معك حق.. وحاسبي أنا أيضًا فهو يحوي كنوزًا من المعلومات التي قضيت سنوات في جمعها، وكان ينبغي علينا فعل ذلك منذ وصولنا حتى لا يتعرض أي منهما للتلف أو الكسر هنا في الغابة.

تمتم (أوَّاب) مضيفًا:

- دعونا لا نبقي الأمر مقتصرًا على أجهزة الحاسب فقط، وليقم كلٌ منا بدفن ما يراه هامًا من أشيائه.

*****

حاولت (فاتن) أن تحرك جسدها الملتصق تمامًا بجسد (ساجد) لكنها لم تستطع، قتلها الشعور بالحياء والخجل من التصاق جسدها بجسد (ساجد) بتلك الطريقة في البداية لكن مشاعر الحياء والخجل ذابت تمامًا ليحل محلها الإجهاد والتعب الشديد وهي تشعر بجسدها يوشك على الانهيار لو بقيت بهذا الوضع لأكثر من ذلك، تمتمت في ضعفٍ قائلة:

- العطش والجوع يقتلني يا (ساجد) بعد مرور اليوم الثاني علينا بلا ماء أو طعام ، أتظننا سنموت جوعًا وستلتهمنا الحيوانات المفترسة؟

أجابها (ساجد):

- لنتذكر كل ما تعلمناه أو قرأناه أو سمعنا به يومًا عن الصبر.

أردفت سائلة:

- حاول بأسنانك قطع الأحبال القريبة من فمك يا (ساجد).

أجابها بيأس قائلًا:

- قطع ماذا؟! أتظنينها أحْبال نشر الملابس التي تعرفينها! إنها أحبال شديدة السُمكِ والغِلظة كادت أسناني تتكسر دون أن تخدشها، وأظنها من الأنواع السميكة المستخدمة في القطارات أو السفن.

- لعنةُ الله على (فهيم) وحاسبه اللعين الذي فعل بي كل هذا.

- ولماذا لم يأتِ (فهيم) هذا لإصلاح حاسبه بنفسه بدلًا منكِ؟

- إنه المحامي وصاحب المكتب الذي كنت أعمل به بأول الشارع، وأنا من حضرت لإصلاح الحاسب لأنني من أفسدته حين كنت أحاول إنقاذك أثناء تلك المشاجرة الليلية.

- إنقاذي أنا!!

- رأيتهم بتلك الليلة وهم يحيطون بك كدائرة ، وخفت أن يمزقوك فحملت كوبًا من على المائدة بسرعة وطوحت به في دكان العم (حسَّان) لعلّه يستيقظ من غفوته ويخرج لإنقاذك.

- أأنتِ من فعل هذا؟

- كدت أموت رعبًا أن تمزَّقك طعنة غادرة من أحدهم فيضيع شبابك ومستقبلك ، حاولت إيقاظ أخي لنجدتك فقذفني بوسادة وتابع نومه، ففعلت هذا لعلّ العم (حسَّان) يهب لنجدتك ، ولو لم تنتهِ المشاجرة بنجاتك بنزول أصدقائك كنت سألجأ لآخر الحلول أمامي فأملأ الدنيا صراخًا لأوقظ الحارة بأكملها لنجدتك.

- أحقًا فعلتِ كل هذا من أجلي ولنجدتي يا (فاتن)؟

أغمضت عينيها في حياء مع سؤاله فسألت لتغير دفة الحديث :

- لماذا لم يأتِ أحد من أقاربك لزيارتك رغم سكنك وحيدًا؟

صمت (ساجد) مفكرًا فما تقوله هذه الفتاة التي تتابعه وحاولت إنقاذه وكانت ستملأ الدنيا صراخًا وتعرض نفسها للقيل والقال لأجله وهو من لا يدري أي شيء عنها!

- آسفة لسؤالي إن رأيته فضولًا زائدًا.

- أشكرك أولاً لمحاولة إنقاذي ، صمتي هذا ليس لعدم رغبتي في الإجابة بل لأن سؤالك ذكَّرني بكل ما تركته خلفي من هموم ومصائب ، والدتي والجراحة الخطيرة التي كانت ستجريها ، والمنحة التي كنت أدرس بها وتم فصلي منها غالباً وفرص العمل التي كنت أنتظرها وضاعت بضياع المنحة ، والمعلّم (صبحي) وطمعه، وديني لـ(أوَّاب).. وكما ترين تركت كل هذا لأكون معلقًا بجوارك في هذا الفخ اللعين!

شعرت (فاتن) بالضيق من سؤالها الذي ذكَّره بوالدته فسألته:

- وكيف تظن النهاية لما نحن فيه الآن؟

زفرةٌ طويلةٌ أطلقها (ساجد) وهو يجيبها قائلًا:

- ما سقطنا به هو فخ لاصطياد أحد الحيوانات المفترسة غالبًا، وإن كنت لا أعلم بالطبع ما الحيوان الذي سقطنا في الفخ بدلًا منه لكن لا بد أنه حيوان ضخم كبير لتستخدم معه أحبال كهذه ، لديّ أملٌ بأن من وضع ونصب تلك الفِخَاخ سيأتي بلا شك لتفقدها ومعرفة غنائمه وما اصطادته فِخَاخه، ندعو الله ألاَّ يتأخر علينا وأن يكون الأسبق بالحضور قبل أن تأتي الحيوانات التي نصب الفخ لاصطيادها فتكتشف كم كان كريمًا معها بتقديم وجبة شهية لها بدلًا من اصطيادها.

*****

(٥)

أرخى (زياد) ظهره على إحدى الأشجار وهو ينظر لـ(همَّاس) و(أوَّاب) ليرى أهم متعبون بذات القدر أم أن بقاءه الليل بأكمله ساهرًا فوق شجرةٍ للمراقبة والحراسة هو ما ضاعف من إحساسه بالتعب.

تمتم (همَّاس) في اعتذار قائلًا:

- سامحوني إن أتعبتكم باقتراحي.

أجابه (زياد) وهو يهز رأسه بالنفي قائلًا:

- لا عليك يا صديقي.. اقتراح جيد تأخرنا في القيام به.

حضر (أوَّاب) إليهم حاملًا بين يديه جهازًا غريباً يقارب حجم الهاتف ليرفعه أمامهم سائلًا:

- ما هذا ؟ أيعرف أحدكم ما هذا؟

أمسك (زياد) بالجهاز وتفحصه في لامبالاة قبل أن يعيده إليه بغير إهتمامٍ قائلًا:

- رأيته بغرفة (كمال) أثناء المشاجرة وكنت أظنه هاتف، لكني لم أفهم حرفًا من المكتوب عليه.

تمتم (همَّاس) بلا اكتراث قائلًا:

- أَرِح نفسك وادفنه في الحفرة الخاصة بأشياء (كمال).

غادرهم (أوَّاب) ليضع الجهاز في حفرة (كمال) وهو يهيل التراب فوقها مُنهيًا ردمها ومساواتها بالمستوى الترابي لسطح الأرض، عاد بعدها ليجلس بجوارهم في تعب مرخيًا ظهره على إحدى الأشجار طلبًا للراحة، لم يدم جلوسهم طويلًا مع ذلك الصوت الأقرب لصوت

الجياد الراكضة، تبادلوا نظرات الدهشة فيما بينهم، غمغم (زياد) سائلًا:

- أتسمعون ما أسمع؟أم أن قِلَّة نومي هي السبب؟

أجابه (همَّاس) وهو ينهض قائلًا بصوتٍ خفيض ونظرات حذرة:

- لست واهمًا فالصوت واضح للغاية ، هيا بسرعة فنحن لا ندري ما قد يحمله الصوت لنا من خير أو شرّ فدعونا لا نهدر الوقت وليحمل كلٌ منا ما يستطيع الدفاع به عن نفسه ولنرتقي الأشجار العالية لنكون بأمان فوقها إلى أن نعرف ما هذا الصوت وما الذي سيحمله لنا.

بدأ الثلاثة بتسلق الأشجار متخذين مواقعهم الآمنة فوقها، ليبدأ وصول الجياد للمكان بما عليها من رجال، صاح أحدهم قائلًا:

- نحن الآن بالنقطة التي أرشدنا إليها المتعقب الآلي.

بدأ الوافدون بالنزول من على جيادهم والتحرك هنا وهناك، صاح أحدهم وهو يشير نحو الجدران صائحًا:

- انظروا ماذا وجدت هناك.

تمتم آخر وهو ينظر للمكان الذي أشار إليه الأول ويتجه نحو الجدران قائلًا:

- ما هذه الجدران الغريبة وما تلك الأحجار العجيبة المبنية بها؟!

كان (زياد) و(همَّاس) و(أوَّاب) فوق الأشجار يتبادلون نظرات ذاهلة فيما بينهم، ونفس السؤال يدور بعقل كلًا منهم دون أن يعرف أي منهم الإجابة .. ما هذه اللغة الغريبة التي يتحدثونها؟ وكيف استطاع كل منهم أن يفهم ما قيل بها؟!

*****

قضت (كوثر) ليلتها ونار الغضب تنهشها بعد أن أفسدت الغبية (رحيق) خطتها بما فعلته، المشكلة الأكبر أنها لم تخبر ابنتها (أوجين) ورجالها بتأجيل خطة الهرب ، ستقضي المسكينة ليلتها في الموقع المتفق عليه بالغابة المَشْؤومة في قلقٍ شديد بانتظار وصولها . لم تعرف ماذا كان عليها أن تفعل أمام بلاهة (رحيق) وإصرارها على اصطحاب (ماوية) معها كشرط للهرب! ماذا فعلت لها (ماوية) لتمتلك قلبها هكذا وتصل لتلك المكانة لديها فترفض الهرب بدونها؟!

ذكّرتها (رحيق) منذ اليوم الأول لوصولها بابنتها (أوجين) المماثلة لها في العمر ولعلّ هذا كان أهم أسباب تعاطفها مع (رحيق) ثم حمايتها وضمها لحاشيتها، كانت ترى كل مأزق تقع فيه (رحيق) وكأن ابنتها (أوجين) هي من تتعرض للموقف لتبدأ في الحال بالتعامل مع الموقف وكأنها ابنتها (أوجين) وليست (رحيق). تعرف أن قلق ابنتها عليها لن يطول وسينتهي غدًا بإرسال أحد الرجال للسجن الوردي للاطمئنان عليها ومعرفة ما حدث وسبب التأخير وسيعود ليطمئنها، لكن لا بد من إعداد خطة جديدة بديلة ليكونوا على علمٍ بها وبالانتظار لتنفيذها في التوقيت الصحيح.

شردت تفكر في التعديل الواجب إجراءه على الخطة، قفزت لرأسها فكرة بدت جيدة، ستفتعل سجينتان أو ثلاثة من السجينات الشرسات الساكنات مع (ماوية) بزنزانتها شجارًا عنيفًا معها لأيٍ سبب لينقضوا فيه على (ماوية) فيوسعونها ضربًا في مشاجرة كبيرة ستؤدي للزجّ بهم جميعًا في عنبر التأديب، هدية ثمينة تذهب لبيت كبيرة السجَّانات ستكون كافية لملء قلبها بالرقَّةً والرحمة لتعقد جلسةً صلحٍ بينهم وتخرجهم من التأديب، ثم تقرر بعدها نقل (ماوية) لزنزانتنا للفصل

بينهم ، وهكذا سيتم تسكين (ماوية) بزنزانتنا لنبدأ بعدها في تنفيذ خطة الهرب المؤجلة. كانت تعلم أن جعل رأس كبيرة السجَّانات يلين لتقبل بهذا سيكلفها الكثير، لكن لا بأس فهروب الغالية (رحيق) سيغطي كل هذا ويفيض.

*****

لم يستطع (كمال) النزول من فوق الشجرة بسلام رغم كل المحاولات التي بذلها والتي انتهت بسقطةٍ مؤلمةٍ تورَّمت معها قدمه التي سقط عليها لتزيد من ألمه ، كسر غُصنًا سميكًا حاول السير متكئًا عليه كعكاز لكن الغصن كان أقصر من أن يلعب دور العكاز بنجاح ، لعن تسرعه وغضبه الزائد آلاف المرات وهو يكتوي بنار السخط عما فعله بنفسه، لم تكن الدنيا ستنهار لو تغاضى عن كلمات (زياد) فقد سبّ (زياد) هو الآخر لكن (زياد) لم يكن بذات حماقته فيغضب أو يفعل مثله، بل تمالك أعصابه بلا تهور أو مبالغة في الغضب.

التقطت أذناه صوت أقرب لركض جيادٍ قادمة، مال واضعًا أذنه على الأرض ليتأكد من الصوت، بدا الصوت حقيقيًا، ماذا سيفعل الآن؟ لن يستطيع بقدمه المصابة تسلق شجرة ليراقب الأمر من فوقها، لكن لماذا الخوف وقد يكون الوافدون بهذه الجياد هم طوق النجاة الذي أُلقي إليه لإنقاذه، لماذا يختفي منهم وقد يكونون باب الخروج الذي فُتِح له لمغادرة تلك الغابة اللعينة ، ترك المكان الذي كان يقف به واختار مكانًا أكثر اتساعًا يقف به لعلّه يلتقي بأصحاب الجياد، الصوت بدأ يضعف تدريجيًا حتى اختفى، تملكه الإحباط عند اختفاء الصوت وأطبق عليه حزنٌ شديد وهو يفكر أين وكيف سيبيت ليلته بساقه

المصابة وهو على هذه الحال التي لن يستطيع معها تسلق أي شجرة ليبيت ليلته فوقها!

*****

تمتمت (فاتن) مع سماعها لصوت نباح سائلة:

- أسمع صوت نباحٍ فهل ترى أمامك أي شيء يا (ساجد)؟

أجابها (ساجد):

- لم يظهر أمامي شيء.

أردفت بيأسٍ:

- أشعر بالانهيار التام وكل ذرة بجسدي تصرخ ألمًا.

دقائق حذرٍ وترقبٍ صامتة مرَّت عليهما قطعتها (فاتن) فجأة قائلة:

- هناك كلب ظهر أمامي!

- وما الفارق الذي سيحدثه ظهور كلب أمامك؟ إلا إن كنتِ تقصدين أن...

قاطعته (فاتن) بلهفة:

- ظهر كلبان آخران يركضان خلف الأول.. أأبدأ في الصراخ الآن؟

أجابها قائلًا:

- تمهلي وادخري صوتك حتى يقتربوا أكثر فإن كانوا الصيادين فهم آتون إلينا لا محالة ، وإن لم يكونوا كذلك فستبدئين أنتِ بالصراخ وأنا بالصياح حتى يسمعون صوتنا ويأتون إلينا...

قاطعته بفرحٍ قائلة:

- ظهر رجلان خلف الكلاب وأظنهم آتون نحونا.

- ماذا يلبسون؟ أيلبسون ثيابًا كاملة أم أنصاف عراة كالقبائل الإفريقية؟

- لا ليسوا أنصاف عراة ، ثيابهم غريبة ليست كثيابنا!

- قماش أم جلد أم ريش؟

- ليس واضحًا من بعيد، وإن كنتُ أظنها من الجلد.

- يا رب سلم.. وليكن ما في بالي مجرد أوهام.

*****

صاحت (أوجين) وهي تُهدأ من سرعةِ فرسها سائلة:

- أليس هذا هو المكان يا (عمران)؟

أجابها (عمران):

- هو بالضبط.

نظرت له سائلة:

- ولماذا لم نجد أمي ومن قالت بأنهم سيكونون معها؟

- لا أدري ما السبب وراء عدم ظهورها إلى الآن.

لكزت (أوجين) فرسها ليستأنف السير وهي تصيح قائلة:

- لنجري جولة أخرى أوسع فربما كانت بجوار النهر ، قلقي بدأ يزداد وأخشى أن يكون قد أصابها مكروه أثناء الهرب.

- لا داعي للقلق فالسيدة (كوثر) وضعت خطة محكمة لم تترك بها أصغر احتمالٍ لخطأ.

- أعظم الخطط لا تخلو من ثغرات يا (عمران).

- لا تفكري هكذا وليكن لكِ قلب أسد لا يخشى شيئًا فأنتِ ابنة السيدة (كوثر).

- دع طبول التملق هذه لأمي لا أنا فهي من قد تسعدها مثل تلك الكلمات ، وأُدْعُ الله أن نجدها بسلام وألاَّ يكون قد أصابها مكروه أثناء الهرب.

- أتحبين أن أطلب المزيد من الرجال إن كنتِ قلقة ؟

أشارت بإصبعها نحو شيء أمامها قائلة:

- انظر هناك .. أترى ما أراه يا (عمران)؟

- أراه سيدتي لكن ما هذا؟

- دعنا نقترب أكثر لنرى .

*****

فتح (صامد) هاتفه مُجيبًا ليأتيه صوت أبيه سائلًا:

- كيف جرت الأمور عندك يا (صامد)؟

أجابه بحماس قائلًا:

- كل شيء سار كما تريد .

- كم عددهم؟

- ثلاثة.

صاح الأب في ضيقٍ وحنقٍ هاتفًا:

- فقط ثلاثة ! أي سخفٍ هذا؟! أكل هذا التعب من أجل ثلاثة فقط؟!

- ثلاثة هم من وجدناهم بتلك النقطة ، لكن المتعقب الآلي أظهر نقاط أخرى.

- وهل تأكدت بأنهم أرضيون؟

- كل شيء يؤكد بأنهم كذلك، الجدران والأحجار وملابسهم وأشياء أخرى غريبة وجدناها معهم تشير بأنهم غالبًا الأرضيون.

- وهل وجدتم المسافر الأيوني؟
- لا.. بحثنا عنه بكل مكان ولم نجده، أنذهب للنقاط الأخرى الآن؟
- القريبة من هذا المكان فقط فالمسافر الأيوني أحضرهم جميعًا لنفس المكان ولن يمكنهم مغادرته والانتقال بعيدًا بسرعة.
- وماذا أفعل بهؤلاء الثلاثة يا أبي؟
- احضرهم للقلعة المدفونة.
- والمصابون؟
- لم أفهم ! هل أصبتم منهم أحد ؟!
- المصابون لدينا نحن ، أحدهم كان كارثةً في قوتهِ وسرعتهِ ، انطلق كالإعصار فأوسع الرجال ضربًا فهشَّم وجه أحدهم وكسر ذِراع آخر وإصابات متنوعة أخري مابين رضوض وكدمات وذاك الذي فقد وعيه.

هتف السيد (جسَّار) في انبهار:

- رائع.. لا تعرف كم أسعدتني كلماتك يا (صامد) ، أنه أحد الأقوياء ممن انتقاهم (راجي) بعناية ، ولا شك أن الباقين سيمتلكون مثل تلك المهارات الفائقة إن لم يكن في القوة ففي الذكاء والدهاء.
- هل أبدأ البحث عن الباقين في النقاط القريبة من هذا المكان؟
- لا.. احضر الثلاثة للقلعة فقط .. هل (بركات) بجوارك؟
- أجل.
- اعطني إياه.

ناول (صامد) الهاتف لـ(بركات) الذي تمتم قائلًا:

- بأمرك سيد (جسَّار).

- ابتعد عن (صامد) إن كان بجوارك.
- فعلت سيدي.
- ستذهب إلى الجانب الشرقي من البحيرة الصخرية ، ستجد (كوثر) ومعها آخرون هناك بينهم شابة صغيرة سأرسل لك صورتها ، احضر لي هذه الفتاة الشابة وإياك أن يمسها أذى أو سوء فهي شديدة الأهمية...

قاطعه (بركات) سائلًا:

- وماذا أفعل بالآخرين؟
- احضر الفتاة أولًا وبعدها أقرر ماذا سأفعل بهم.

*****

(٦)

اقتربت (أوجين) و(عمران) من الجسد الممدَّد بين الأشجار، تمتم (عمران) وهو ينظر للجسد عن قرب قائلًا:

- إنها جثة.

نزلت (أوجين) من على جوادها قائلة:

- لنسحبها بجوار إحدى الأشجار على الأقل.

نزل (عمران) عن جواده هو الآخر ليرافق (أوجين) وهما يتجهان نحو الجسد قائلًا:

- من أين له بهذه الثياب العجيبة؟ يبدو كغريب !

أمسك بالقدم وبدأ يسحب الجسد بقوة ، أوقفته (أوجين) قائلة:

- إنه يتنفس توقف يا (عمران) .. هو فاقدٌ للوعي فقط لكنه ما زال حيًّا ، احضر الماء بسرعة.

أحضر (عمران) الماء وناوله لـ(أوجين) فبدأت برش وجهه بالماء وهي تهز رأسه بيدها حتى فتح الجسد عينيه في ذهولٍ وهو ينظر إليهم قائلًا:

- تأخرتم كثيرًا ... لكن الحمد لله أنكم حضرتم أخيرًا.

تبادلت كلٌ من (أوجين) و(عمران) النظرات في بلاهة وهما لا يفهمان حرفًا مما قال، أردفت (أوجين) وهي تنظر لـ(عمران) قائلة:

- كنت محقًا يا (عمران) .. غريب تائه في الغابة.

أجابها (عمران) وهو يهز رأسه في عجب قائلًا:

- ألم يجد مكاناً غير الغابة ليتوه فيه ؟!

- انظر لساقه والجرح المربوط ، أظنه فقد الكثير من الدماء.

- لنتركه كي لا نتأخر وليتدبر أموره بنفسه بعد أن سقيناه الماء وعاد لوعيه.

صاحت به (أوجين) وهي ترمقه بضيق قائلة:

- لن نفعل هذا بالطبع ، كيف نكتفي بشربة ماء ونتركه ليكون عشاء أحد الوحوش!

- إنقاذه سيؤخرنا عن السيدة (كوثر) ، وقد نفقد أثرها تمامًا إن أهدرنا المزيد من الوقت معه.

نظر لهم صاحب الجسد وهو ينهض من رقدته ليجلس قائلًا:

- وقد تجدون من تبحثون عنها إن أنتم فعلتم الخير بإنقاذي.

تبادلت (أوجين) و(عمران) النظرات في دهشة قبل أن تردف:

- ثيابك غريبة واللغة التي تحدثت بها منذ قليل أغرب.. من أين أنت؟

فكَّر (كمال) بسرعة فكلُ ما حدث حتى الآن يؤكد صدق ما قاله (زياد)، وأنه في مكانٍ جديد غريب لا يعرفه ، لم يدرِ كيف فهم لغتهم أو كيف استطاع محادثتهم بها، لكنه فكَّر بأنه من الجيد عدم كشف كل الأوراق أمامهم فهز رأسه متسائلًا:

- هل ستصدقونني إن أخبرتكم بأني لا أذكر أي شيء؟

- أنت بالغابة المَشْؤومة.. أفقدت الذاكرة مع الوعي؟!

- وبأي مدينة نحن؟

- أقرب مدينة لنا هي الضباب الداكن.

شعر (كمال) بالغباء فسألهم من جديد:

- أقصد المكان الأكبر.. البلد.. الدولة.. السلطنة.. الجمهورية.. المملكة.. الـ...؟

- نحن بمملكة لاميتا؟

حطَّ الذهول على (كمال) وارتسمت عليه البلاهة وهو يفكر أهو المجنون أم هم؟! لم يسمع من قبل عما يسمى مملكة لاميتا هذه! كان ينتظر أن تقول له على أسوأ الافتراضات .. نحن في البرازيل إحدى دول أمريكا اللاتينية وموطن غابات الأمازون ، أو أن تذكر له اسم آخر لدولة يعرف اسمها أو سمع عنها من قبل لتكون موطن غابات التايغا، أمَّا مملكة لاميتا ومدينة الضباب الداكن والغابة المَشْؤومة.. فهذا هو الجنون بعينه وآخر ما كان يخطر بباله!

هزَّ (عمران) رأسه في تأييد وهو ينظر لـ(أوجين) قائلًا:

- أظنه فقد الذاكرة مع الوعي.

التفتت (أوجين) لـ(عمران) كمن تذكّر شيئًا هامًا قائلة:

- اخبر الرجال القادمين بأن يحضروا معهم ما يلزم لعلاج هذا المصاب.

*****

همس (ساجد) لـ(فاتن) بصوتٍ خفيض قائلًا:

- بكاءك هذا لا يعني سوى أنكِ قد فهمتِ ما ينوون فعله بنا.

اغرَورَقَت عينا (فاتن) بالدموع وهي تجيبه بنحيبٍ متقطع:

- فهمت.. وليتني لم أفهم.

- لكن ما هذا "الشينادونج" الذي سيقدموننا له؟

- أتمنى ألاَّ يكون حيوان مفترس أو شيئًا سنقدَّم له كقربان.

- لا تفترضي الأسوأ فقد يكون مجرد زعيم قبيلة سنمثل أمامه.
- انظر هناك يا(ساجد).. لماذا أشعل أحدهم النار بالشجرة ؟! أسيقيمون حفلة شواء على أجسادنا؟!
- لا أعرف.. سأسألهم عندما يأتون إلينا.
- وهل ستستطيع محادثتهم؟
- أظنني كما فهمت لغتهم سأستطيع محادثتهم وسؤالهم.
- ليتني لم أفهم لغتهم.. على الأقل لن أسمعهم وهم يجيبونك بأننا سنكون وجبة عشاءهم الشهية الليلة أو عشاء هذا الشينادونج!

بدأ الصيادان بإنزال الفخ بحباله السميكة إلى الأرض، ثم قام أحدهم بعدها بجرِّ (ساجد) بعنف وربطه بجذع شجرة على أصوات الكلاب النابحة في مرح وسعادة، سأله (ساجد):

- من أنتم؟ وماذا ستفعلون بنا؟

تبادل الرجلان النظرات قبل أن يهوى أحدهم على وجه (ساجد) بصفعة قوية ، أخرست الصفعة (ساجد) وألزمته الصمت التام ، بدأ الصياد الثاني بجرِّ (فاتن) لتتمزق ثيابها أثناء جرها على الأرض الشوكية وهي تصرخ في توسلٍ لهم بأن يتركوها ، صاح زميله وهو يضحك بخبث قائلًا:

- لا تجعلها تصرخ الآن ... فحفلة الصراخ لم تبدأ بعد.

نظر له الآخر محاولًا أن يفهم ماذا يقصد ، لكن البريق الذي التمع بعيون صديقه جعله يهتف قائلًا:

- أتقصد بأننا...

هزَّ الآخر رأسه بابتسامة خبيثة قائلًا:

- تمامًا.. وما ذهب إليه عقلك الآن هو ما أنويه بالضبط ، والآن هيا اذهب واطفأ النار حالًا ، فلنؤجل العمل قليلًا ولنكافئ أنفسنا ببعض المرح قبل تقديمها للشينادونج.

أطلقت (فاتن) صرخاتها بأعلى صوتها بعد أن سمعت وفهمت ما قيل وعلا صوت (ساجد) هو الآخر بصياح دوى في الغابة حاملًا غضبًا لا حدود له متوعدًا إياهم بالانتقام.

*****

تعالى رنين هاتف (غيَّاث) ، فتح المكالمة ليأتيه صوت (صفوان) قائلًا:

- جيد أن عثرت عليك؟

أجابه (غيَّاث):

- الجيد الحقيقي هو السعادة التي يحملها صوتك والتي تشي بأنك تحمل أخباراً جيدة هذه المرَّة.

- عثرت على (مجيد).

- عمل رائع.

- عرفت فقط بمكانه وسأمسك به ليلاً لأدخل علي السيد(برهان) غدًا صباحًا إن أنهيت الأمر بنجاح و(مجيد) بيدي وإن فرَّ مني ولم أستطع الإمساك به تكتمت الأمر وكأن شيئًا لم يكن خاصةً وأن لا أحد يعلم بالأمر سواك .

- لعبة خطرة لا أنصح بها وأُفضِّل أن تضعه بالصورة من البداية.

- زاد رصيد إخفاقاتي لديه في الفترة الأخيرة ، أحتاج لتفجير مفاجأة جيدة بنفس أسلوبك وطريقتك التي اعتدت تقديم مفاجآتك بها.

- أراها مخاطرة ومُجازَفة ، إن كنت تطلب رأيي فلا تفعل وكن عاقلًا وأخبره.

- أنا لم أخبر أحدًا سواك ، إن نجحت بالأمر فسأكون قد حققت المراد وحسَّنت من أوضاعي لديه قليلًا وإن كان سوء الحظ فسيبقى الأمر بيننا سرًا كأن شيئًا لم يكن دون أن يعرف أحد.

- كما تريد .. إن كنت لم تخبر أحدًا فأنت لم تخبرني وبالتوفيق ياصديقي، وسأنتظر مكالمة صباحية غداً من السيد (برهان) يخبرني فيها ببراعتك وبالمفاجأة السارة التي أعددتها له.

*****

دخل (جسَّار) في لهفة لمكتبه ليجد (صامد) بانتظاره، جلس على مقعده سائلًا:

- أين وضعتهم؟

- بالغرفة التي أعددناها لهم.

فتح (جسَّار) كاميرات المراقبة الداخلية سائلًا:

- أيٌ منهم الإعصار الطائر الذي تحدثت عنه؟

أجابه (صامد) بابتسامة:

- دع الإجابة لعينيك ولنرى هل ستصل للإجابة الصحيحة.

طاف (جسَّار) بنظراته بينهم حتى توقف أمام (همَّاس) مبتسمًا وهو يلتفت لـ(صامد) سائلًا:

- هذا هو.. أليس كذلك؟

أومأ (صامد) برأسه مبتسمًا فتمتم (جسَّار) من جديد سائلًا:

- ما اسمه؟

- لم أتحدث معهم حتى الآن، أجّلنا كل شيء لحين وصولك.

ضغط (جسَّار) زر الجرس على مكتبه قائلًا:

- احضر لي يا (شلهوب).

حضر (شلهوب) ليقف مواجهًا لـ(صامد) أمام مكتب السيد (جسَّار) الذي أشار لهما بيده ليجلسا قائلًا:

- ستمثلان معًا فريق إدارة عملية كتيبة الانتقام.

ثم أشار نحو (شلهوب) قائلًا:

- هذا هو السيد (شلهوب)، عالم كبير ذو علمٍ غزير وسر نجاح عملية استقدام الأرضيين.

أشار بعدها نحو (صامد) قائلًا:

- وهذا هو السيد (صامد)، سيكون مسئول التواصل معهم فأنا لا أنوي الظهور بالصورة.

تصافح كلٌ من (صامد) و(شلهوب) قبل أن يجلسا، رمق السيد (جسَّار) (شلهوب) سائلًا:

- ما آخر أخبار (راجي) يا (شلهوب)؟

أجابه (شلهوب) سائلًا:

- ألم تجدوه بين الأرضيين؟

أجاب (صامد) بحسم:

- لم نجد سوى ثلاثة رجال فقط، وقد رآهم السيد (جسَّار) وقال أن (راجي) ليس أحدهم.

أردف (شلهوب):

- قد نجده بالغابة خلال الأيام القادمة.

قاطعهما السيد (جسَّار) قائلًا:

- الغرفة (٢٠) ستكون غرفة متابعة العملية وستجدون بها كل سبل المراقبة المطلوبة كما ستجدونها بغرفكم أيضًا حتى لا يغيبون عن أعينكم لحظة ، أريدهم تحت مراقبة لا تنقطع لأعرف كل شيء عنهم قبل أن نجري لقاءنا الأول معهم.

أومأ كلٌ من (صامد) و(شلهوب) قائلين:

- كما تريد سيدي.

- هذا جيد .. ليدخل لهم أحد الرجال الآن بوليمة فاخرة من طعام وشراب ، نريدهم أن يشعروا بالراحة والأمان معنا ولا بأس ببعض الرفاهية أيضًا فسيصبحون رجالنا وعلينا أن نحسن معاملتهم مع الحذر وعدم الكشف أبدًا عن هويتنا لهم.

تعالى رنين هاتف (جسَّار) ، فتح المكالمة فتغيَّرت ملامح وجهه وهو يضرب المكتب بقبضته في غضب صائحًا:

- كيف حدث هذا؟

تحرك السيد (جسَّار) بعدها بعيدًا ليداعب هاتفه ليأتيه صوت (بركات) قائلًا:

- بأمرك سيد (جسَّار).

- تم إلغاء مهمة (كوثر)، تابع البحث عن الأرضيين الآخرين حتى أخبرك بالموعد الجديد.

*****

قهرٌ يفوق الوصف اعتصر (ساجد) وهو يطلق صياحه الذي لم يتوقف مصحوبًا بوابل من التهديد والوعيد ، لم يتخيل بأقصى جموح لخياله أن يأتي عليه اليوم الذي يعيش فيه مثل هذا المشهد، ليس كمشاهد له بل كأحد أبطاله ، وأن يقتصر دوره على مجرد الصياح وإطلاق الوعيد الأجوف الذي أثار بداخلهم السخرية.

لم تتوقف (فاتن) هي الأخرى عن البكاء والصراخ والرجلان يقتربان منها ويتفحصانها بعيون تمتلأ شبقًا ورغبة ، ويتبادلان نظرات متسائلة من سيبدأ ؟ لم تتأخر الإجابة كثيرًا بل جاءت بقول أحدهما وهو ينظر للآخر في حزم:

- هي لي فأنا صاحب الفكرة .. وأنت التالي.

هزّ الآخر رأسه في استسلام مبتعدًا ليبدأ بمداعبة كلابه قائلًا:

- ليكن ... لكن لا تتأخر عليَّ و تُطِل إنتظاري.

أمسك الأول بوجه (فاتن) وبدأ يتحسسه بأصابعه ويعبث به وهو يحركه يمينًا ويسارًا في تلذذ وعلى وجهه ابتسامة لزجة و(فاتن) تجهش بالبكاء ببقايا صوتها الذي انقطع من كثرة البكاء والصراخ، بصقت عليه دون تفكير في رد فعله وإن كان هذا سيغضبه ويعقد الأمور أكثر، مسح البصقة بيده وكأن شيئًا لم يكن وبدأ بتذوقها بطرف لسانه لتزداد ابتسامته اللزجة اتساعًا وكأن ما فعلته قد زاد من سعادته ونشوته وليبدأ بلعق وجهها وهو يمصمص شفتيه في استمتاع ، بينما بدأ الآخر بأداء رقصات غريبة وسط نباح كلابه السعيدة وكأنها سعيدة بسعادة أصحابها.

أغلقت (فاتن) عينيها وهي تتمنى وتدعو بأن يدركها الموت الآن قبل أن ينالوا ما أرادوه منها ، فتحت عينيها بسرعة على صيحة عالية غريبة! نظرت للرجل أمامها فإذا بخيوط شديدة الدقة قد بدأت تحيط بجسد الرجل الواقف أمامها ، حدَّقت به في ذهول غير مصدقة ما يحدث وهي ترى الخيوط الدقيقة تتزايد وتنتشر في سرعة مدهشة لتغلف جسد الرجل ككبسولة شبكية ملتصقة بجسده ولتضعف من قدرته على الحركة شيئًا فشيئًا حتى أوقفته عن الحركة تمامًا وهو يحاول تمزيقها والخلاص منها لكن سرعتها لم تمهله الوقت الكافي لفعل شيء! نظرت للرجل الآخر فإذا بالشيء ذاته يحدث معه أيضًا، نظرت للكلاب فوجدتها صامتة قد أصابها الخرس فتوقفت عن النباح في صمتٍ غريب تنظر لهذين الملثمين اللَّذين ظهرا في المشهد، لا يهم من هم ومن أين خرجوا المهم أنهما أنقذاها ، بدأ أحدهما بفك قيودها، بينما ذهب الآخر لفك قيود (ساجد) صاح أحدهما قائلًا:

- لنهرب بأقصى سرعة فهذان الرجلان من قبائل ما وراء النهر، وإشعال النار بالشجرة ليس سوى علامة سيأتي باقي أفراد القبيلة على أثرها لهنا على موقع الدخان المتصاعد.

انتزع (ساجد) من يد الملثم السكين التي فك بها قيوده وركض بكل سرعته نحو رجل الغابات الذي كان يقف أمام (فاتن) منذ ثوانٍ ، صرخت (فاتن) بأعلى صوتها بعد أن أدركت ما ينوي (ساجد) فعله:

- توقف يا (ساجد) ولا تفعلها.. أرجوك توقف.

لكن (ساجد) لم يتوقف أو يلتفت إليها ومضى بلا تردد لتنفيذ ما أراد.

*****

(٧)

قطع (غيَّاث) خطواته الأخيرة قبل الدخول لمكتب السيد (برهان)، الحِدّة الشديدة في صوت (برهان) وهو يستدعيه تشي بأنَّ مصيبة كبيرة بالانتظار، فتح له (رشوان) الباب ليدلف للداخل وصوت صياح (برهان) يدوي هادرًا بالغرفة وهو يهتف بغضبٍ:

- لا بد أن أعرف من فعلها.

جال (غيَّاث) بعينيه بين السيد(برهان) و(صفوان) الجالس أمامه محاولًا أن يفهم ما الأمر وما الذي حدث وأثار غضب (برهان) لهذا الحد؟ وما الذي يريد معرفة فاعله؟ فلابد أنه السبب في استدعائه. أشار (برهان) بيده لـ(غيَّاث) للجلوس وهو يردف بوجه طفح بالغضب قائلًا:

- مات (مجيد) فجرًا.

دهشةٌ حملتها عيون (غيَّاث) وهو يسأل في ذهول:

- (مجيد).. ابن السيد (تقي)؟!
- ومن غيره!

التفت (غيَّاث) لـ(صفوان) بنظرات استفهامٍ كالسهام الصائبة قبل أن يعود ببصره للسيد (برهان) سائلًا:

- وكيف حدث هذا؟
- مطاردة بسرعة متهورة أودت بحياته.

لزم (غيَّاث) الصمت فأردف (برهان) وهو يضرب كفًا بكف متابعًا حديثه:

- موته دمَّر كل خططي لحسم الأمر مع (تقي) بابنه وابنته معًا، وقتل الهاجس الداخلي الذي كان يلحّ عليَّ باستمرار بأن (مجيد) هذا رجل علم لا يعلم عنه أحد شيئاً ويمكننا الإستفادة منه .

تمتم (غيَّاث) في دهشة متسائلًا:

- لاأدري من أين لك بهذا الهاجس والفتى لم يُعرف عنه أي شغف بالعلم أو باهتمامات والده؟

- أين ذكاؤك يا (غيَّاث)؟! أتظن برجل كالسيد (تقي) أن يذر ابنه دون أن يسقيه العلم بيديه سقيًا وأن يكون شديد الصبر واسع الصدر لمنح ابنه كل ما لديه من علم وخبرة ، دهاء وذكاء السيد (تقي) المعتاد هو من جعله يبعد الضوء عن ابنه لتقول أنت وغيرك مثل هذا.

- وكيف ستخبر السيد (تقي) بهذا الحادث اللعين؟

- لن أخبره بالطبع بشيء كهذا.

هزَّ (غيَّاث) رأسه في أسى فأردف (برهان) قائلًا:

- لا بد أن أعرف طرف المطاردة الآخر.

- وهل تأكدت بأنها فعلًا مطاردة وليست حادث؟

- التسجيلات الفضائية للحادث أكدت ذلك لكنها للأسف لم توضح الفاعل.

التفت (غيَّاث) لـ(صفوان) وهو يضغط حروف كلماته سائلًا:

- وما رأي السيد (صفوان) بهذا؟

أجابه (صفوان) قائلًا:

- حضرت قبلك بدقائق قليلة بعد أن استدعاني السيد (برهان)، ولم أكوِّن رأيًا في الأمر حتى الآن ، لكن إن كان أمر (مجيد) قد انتهى فابنته ما زالت بين أيدينا.

صاح السيد (برهان) في غضب:

- لا يا (صفوان).. لم ولن ينتهي حتى أعرف من فعلها، اعرف لي يا (غيَّاث) بأقصى سرعة من الذي كان يطارده حتى لقيَ حتفه، ولماذا كان يطارده؟ هذا ما طلبتك لأجله تحديدًا.. اعتبرها مهمتك الجديدة.

- اسمح لي بالاعتذار سيدي فبيدي أمور أخرى هامة لا بد من إنهائها قبل أن...

صاح (برهان) في حِدّة قائلًا:

- هذا تكليف وليس دعوة عشاء لتعتذر يا (غيَّاث)! وأنا وحدي هنا من يقرر أهمية الأمور ، اترك ما بيدك الآن وسأكلف غيرك بإكماله، وأريدك أن تعرف لي كل شيء عن هذه المطاردة.

- من فضلك كلف (صفوان) بها فهو يملك خبرة كبيرة لإنهاء مثل هذه الأمور وسيقوم بهذا بشكل أسرع وأفضل مني.

صاح السيد (برهان) في غضب:

- ألا تفهم ! .... قلت بأنني أنا هنا من يقرِّر من يقوم بماذا ، (صفوان) يكفيه فشله في العثور على (جسَّار) حتي الآن ، أكلفك أنت بهذه المهمة لأنك لم تفشل من قبل وأعرف بأنك ستنهي الأمر بالسرعة والدقة المطلوبة.

ضيق شديد ارتسم على وجه (صفوان) مع سماع الكلمات فتمتم مقاطعًا:

- كلفني بها سيدي وسترى كيف سأنهيها بنجاح يرضيك في زمن قياسي وستعرف كل شيء عما حدث في سويعات قليلة.

- لا يا (صفوان).

فرضت كلمات السيد (برهان) الغاضبة الصمت على الجميع وهو يُنهي الحوار بحسمٍ قائلًا:

- جِد الفاعل لي بسرعة يا (غيَّاث)، وأنت يا (صفوان) جِد لي (جسَّار) بأسرع وقت لأني أفكر جدياً في محاكمتك بالإهمال الجسيم على فشلك في الوصول إليه حتى الآن.

خرج كلٌ من (غيَّاث) و(صفوان) من الغرفة بعد أن أشار لهما السيد (برهان) بالمغادرة ، لم يتحدث الاثنان ولزما الصمت حتى غادرا المكان تمامًا ، تمتم (غيَّاث) في غضب:

- أخبرتني أنك ستحضره للسيد (برهان) فقط لا ستقتله!
- لم أفعلها ولا أعرف شيئًا عما حدث.
- أتظنني أبلهًا لأصدق هذا بعد مكالمة الأمس؟!
- ذهبت له بالفعل ولم أجده .. غادر قبل أن أصل إليه.
- لو استمعت لنصحي لما كنا بهذا الموقف الآن.
- لكنك لن تذكر أي شيء عن مكالمة الأمس.. أليس كذلك؟
- لن أعدك.. سأحاول بالطبع لكنني لن أكتب فشلي الأول بيدي.
- هل ستبيعني يا (غيَّاث)؟
- نصحتك بألاَّ تفعلها فألقيت بنصيحتي وراء ظهرك واخترت الركض خلف عنادك فلا تلمني الآن.
- إن أقسمت لك بأني لم أفعلها فهل ستصدقني؟ كلمة واحدة منك لـ(برهان) عن مكالمة الأمس ستضعني في موقف لا أُحسد عليه.
- سأحاول .. لكنني لن أعدك بشيء.

*****

اعتزمت عدم الكشف عن نفسي حتى أعرف من هؤلاء وكيف ستسير الأمور معهم ، ظنهم بفقدي للذاكرة كان المخرج الآمن الذي فتحوه لي بأنفسهم، أعجبتني الفتاة المُسمَّاة (أوجين) كثيرًا فهي جميلة رقيقة لطيفة، والأهم من كل هذا هو ما تملكه من هيبة وشأن عظيم بينهم ، كل الرجال حولها ومن حضروا إليها كانوا يتعاملون معها بهيبة ومهابة السيد المطاع وليس (عمران) فقط ، أمرت أحدهم ممن لديه مهارة طبيةٌ بمداواتي فبدأ الرجل بعلاجي في الحال ، حاولت الإصغاء قدر استطاعتي للحوار الدائر بينهم فعرفت أن ما يقلقهم جميعًا هو انتظار سيدةٍ تُدعى (كوثر) ، وأنهم قرَّروا بعد نقاش طويل إرسال أحدهم غدًا صباحًا ليعرف السبب وراء تأخرها وعدم وصولها لهم حتى الآن.

التوتر ساد الصباح التالي بعد ذهاب الرجل الذي اختارته (أوجين) للمهمة، ولتمرَّ الساعات بطيئة ثقيلة وسط أجواء يهيمن عليها الاضطراب والقلق إلى أن جاءت الانفراجة أخيرًا بعودة الرجل عند الظهيرة ، ولتظهر الابتسامات لأول مرة على وجوههم العابسة. لم أسمع ما الذي أخبرهم به هذا الرجل لكن موجة الهدوء والراحة التي كست الوجوه أكدَّت لي بأنه قد حمل إليهم أنباء سارة ، نادتني (أوجين) بعدها لتخبرني بأنهم سيغادرون الغابة الآن ، ارتبكت كثيرًا وهي تسألني بابتسامة صافية إلى أين أحب أن توصلني ، لم أعرف بماذا أجيبها ، أظهرت الاضطراب الممزوج بالحيرة شأن من لا يذكر أي شيء ، كانت الفتاة غاية في الكرم فقالت لي ببساطة بأنها ستأخذني معها حتى أسترد عافيتي وأستعيد ذاكرتي أو جزء منها على الأقل ، وأنها ستجدِّد

عرضها لي لاحقًا بين إيصالي لمكان أخبرها به إن تذكرت أو إعادتي للغابة من جديد، لكن بعد استعادتي لصحتي وشفائي.

لم أطمع بكرمٍ أكثر من هذا بعد أن اختارت لي بالفعل أفضل الحلول ، لتتحسن صحتي أولًا ولأستعيد تركيزي وصفاء ذهني ثم لأقرر بعدها ما الذي عليَّ فعله.

أيام الأسبوع الأول مرَّت عليَّ بسرعة داخل البيت الكبير الذي تسكنه الفتاة ، بيت من ثلاثة طوابق به عدد كبير من الغرف والكثير من الرجال والنساء الذين لا يكفون عن الحركة داخل البيت ، حاولت الإصغاء لكل كلمة تقال من حولي فأدركت سرَّ المكانة الكبيرة التي تتمتع بها (أوجين) ، وأنها ابنة السيدة (كوثر) ذات الشأن العظيم بينهم وكبيرة هذا المكان ومن يدين لها كل هؤلاء الرجال بالحب والولاء الشديد.

ركضت الأيام بسرعة لأصل لنهاية الأسبوع وما زلت لا أدري ، ماذا لو انتهت رعايتهم لي وحانت لحظة تجديد العرض بالذهاب لمكان أختاره أو العودة للغابة من جديد؟! وجودي الدائم في الغرفة الرائعة التي أعدوها لي وعدم استطاعتي التسلل بينهم منعني من الاستماع لحوارهم واكتشاف أي جديد عنهم ، الفتاة كانت حريصة على المرور علي مرَّة أو مرتين كل يوم للاطمئنان عليَّ والسؤال عن صحتي وأحوالي وإن كنت بحاجة لشيء ، والسؤال التقليدي بالطبع إن كنت قد استعدت ذاكرتي أو تذكرت أي شيء مفيد ، وأنا مستمر في أداء دوري بإتقان كفاقد للذاكرة ، بدأت أفكر في ما قد أحتاجه عند عودتي للغابة فأخبرتها بأنني ما زلت لا أذكر أي شيء وأنني سأعود معهم للغابة فقد

أستعيد ذاكرتي هناك لكني بحاجة لبعض الأشياء لتكون معي عند العودة للغابة ، هزَّت الفتاة رأسها في غير اهتمام قائلة:

- لا تشغل بالك بهذا فسأوفر لك كل ما ستحتاجه أو تطلبه.

نادت (عمران) بعدها وأمرته بإحضار وتوفير كل ما أطلب ، بدأت بإعادة التفكير من جديد فيما سأحتاجه في رحلة البحث عن رفاقي الذين اشتقت لهم كثيرًا - وخصوصًا (همَّاس) - بعد أن استعدت عافيتي تمامًا مع العلاج والراحة والغذاء الجيد. شعور غريب بالضيق أطبق عليَّ لم أفهمه ولم أدر معه لماذا أشعر بضيق الفراق هكذا وأنا عائد للبحث عن رفاقي! ولماذا أشعر بأني سأفتقد تلك الفتاة الرائعة؟!

*****

ذهول تام هبط على (فاتن) لم تدرِ معه ما الذي عليها أن تفعله وهي تسير بجوار الملثم الأول و(ساجد) يسير بجوار الملثم الآخر ، ما الذي حدث لـ(ساجد)؟ وماذا فعل به هذا الملثم السائر بجواره ليصمت هذا الصمت الغريب ولتخرج تلك النظرات البلهاء من عينيه كفاقد للوعي بأعين مفتوحة؟! ظهور ما يشبه الطريق الأسفلتي كان مفاجأة رائعة لـ(فاتن) تملكتها معه سعادة غامرة فأخيرًا حان الوقت لمغادرة الغابة اللعينة، نظرت لـ(ساجد) فوجدته ما زال على صمته وحاله الغريبة ، ركضت لتقف أمامه مباشرةً وتهزّ وجهه بيديها صارخة "وصلنا لطريق الخروج أخيرًا يا (ساجد)"، أذهلها صمته فلم ينظر إليها بل ظلّ على صمته وكأنها ليست أمامه ، أجابها الملثم بجواره قائلًا:

- لا تقلقي أو تخافي ... ساعات قليلة وسيعود لوعيه كما كان.

مفاجأة أخرى ظهرت لـ(فاتن) حين فك الملثم السائر بجوارها لثامه لتجد أن من كان بجوارها طوال الطريق كان فتاة! صاحت في ذهول قائلة:

- أأنتِ فتاة؟!!

أومأت (وعد) برأسها موافقة ، التفت إليها الملثم بجوار (ساجد) وهو يفك لثامه هو الآخر في الأمتار الأخيرة قبل مغادرتهم الغابة وخروجهم للطريق سائلًا:

- اللغة التي كنتما تتحدثان بها غريبة لم أسمعها من قبل! من أين أنتم؟

لم تجبه (فاتن) بل صرخت فيه بحِدّة سائلة:

- لن أخبرك بأي شيء قبل أن تخبرني ماذا فعلت بـ(ساجد)؟

أجابها (باسل) وهو يواصل سيره دون أن ينظر لها قائلًا:

- كان لا بد من منعه من طعن رجل الغابات وإرداءه قتيلًا حتى لا يضعنا في مصيبة كبيرة ، لا تقلقي عليه واطمئني فسيعود لحاله خلال ساعات قليلة، والآن أخبريني أكنتم تائهون في الغابة؟

- نحن تائهون بالفعل أنا ورفاقي نبحث عن طريق الخروج من هذه الغابة.

- رفاقك أم رفيقك؟

- لا بل رفاقي فـ(ساجد) الذي بجوارك هو أحدهم وهناك آخرون ضللنا عنهم أنا و(ساجد) ولا بد أنهم يبحثون عنا.

- وما الذي جلبكم للغابة المَشْؤومة؟ أجئتم للصيد والقنص؟

- لا بل مشاجرة.

تبادل كلٌ من (باسل) و(وعد) نظرات الدهشة قبل أن يردف (باسل) قائلًا:

- توقفي عن الحديث والزمي الصمت الآن من فضلك لأننا سنخرج للطريق الآن وثيابكم الغريبة هذه ستجعلنا موضعاً للفضول والأنظار ولا أريد أن أزيد الأمر تعقيداً بلغتكم الغريبة هذه ، ستذهبون معنا للبيت وهناك سأعرف منكِ كل شيء عن تلك المشاجرة التي جلبتكم للغابة المَشْؤومة.

*****

رفع (زياد) قدح القهوة ليرشف الرشفة الأخيرة منه قبل أن يضعه جانبًا وهو يتفحَّص بعينيه ذلك الجناح الفخم الشاسع الذي يقيمون فيه منذ أيام ، دخلت الخادمة لتحمل القدح الفارغ من أمامه وهو مندهش من اختيارها للدخول مباشرةً عقب الرشفة الأخيرة ، أهي مصادفة أم أنهم مراقبون؟ الحيرة كادت تلتهم عقله وصراع الأفكار برأسه لم يتوقف ، أيام مضت عليهم بهذا الجناح الفاخر في رفاهية تامة دون أن ينقصهم شيء أو يُطلب منهم أي شيء وليبقى السؤال: لمَ كل هذا؟ ومتى سيعرفون أين هم وما الذي يحدث؟ لكن الأسئلة ظلت بلا إجابة ، الشيء الوحيد الذي اتضح أنهم ليسوا في عالم الجن وأن إغضاب مردة الجن كان وهمًا ، فالخدم الذين يتحركون من حولهم لخدمتهم بشر مثلهم وليسوا من الجان ، كما أنهم لم يروا حتى الآن أي شيء غير طبيعي أو مخلوقات غريبة الشكل هنا أو في المعركة التي دارت بينهم بالغابة وانتهت بإحضارهم لهنا . نادى (همَّاس) الخادمة قبل أن تغادر قائلًا:

- احضري لي طعامًا مثل عشاء الأمس من فضلك.

ابتسمت الخادمة وهي تومئ برأسها بالموافقة، صاح (أوَّاب) به محذرًا:

- اعرف ماذا تأكل أولًا يا (همَّاس)، ولا تسلم دفة القيادة لمعدتك لتقودك طبقًا للمذاق حتى لا تأكل شيئًا محرماً كالخنازير وأنت لا تدري.

أجابه (همَّاس) مبتسمًا:

- ما الدنيا إلاَّ مطعم كبير يا صديقي، والأمر ليس شراهة كما تظن، لكن التمارين التي أؤديها لا بد لها من غذاء حتى لا تبدأ بحرق العضلات.

صاح به (زياد) في غضب قائلًا:

- توقف عن التمارين وفكر بما نحن فيه.

هزَّ (همَّاس) رأسه في مرحٍ قائلًا:

- طبعًا لا ، وما تقوله أمر غير وارد أو قابل للنقاش.

رمق (زياد) (أوَّاب) ليعرف رد فعله على كلمات (همَّاس) فوجده لا ينظر إليهم وقد شرد في عالم آخر يتمتم همسًا بكلمات لا يسمعها ولا يعلم هل جُنَّ وبدأ يحادث نفسه أم أنها تسابيح واستغفار وأشياء من تلك التي لا يكف عن ترديدها! نهض (زياد) من مقعده ليجلس بجوار (همَّاس) سائلًا:

- إلى متى سنبقى على هذا الحال يا (همَّاس)؟

أجابه (همَّاس) بهدوءٍ قائلًا:

- ليس كثيرًا يا عزيزي .. فلا شيء بدون مقابل، هكذا علمتنا الحياة، وهم من سيفصحون لنا بأنفسهم عما يريدون ، دعنا لا نُظهر توترنا فالسر وراء ما نحن فيه الآن قادم قادم ، وسنعرفه إن لم يكن اليوم فغدًا أو بعد الغد ، وأظنه لن يتأخر كثيرًا.

لوح (زياد) بيده مشيرًا لـ(أوَّاب):

- وأنت يا (أوَّاب).. ما رأيك ؟

أجابه (أوَّاب) بهدوء:

- نعرف الآن على الأقل بأن ما نحن فيه لا علاقة له بالسحر ومردةِ الجن، وأن (كمال) بريء.

أُطفِئت أضواء الغرفة فجأة ليسود الظلام إلا من ضوء أرجواني خافت متراقص ، انسدل بعدها ما يشبه الستار الزجاجي الشفاف بمساحة جدار الغرفة ليتحول لما يشبه شاشة عرض كبيرة بمساحة الجدار بأكمله ، دقائق من الصمت المشَّبع بالفضول مرَّت عليهم قبل أن تخرج لهم صورة (صامد) على شاشة الجدار وهو يجلس بكامل أناقته وينظر لهم بابتسامة واثقة قائلًا:

- مرحبًا بكم يا سادة في مملكة لاميتا.

تبادل الثلاثة نظراتٍ حائرة قبل أن يعودوا بعيونهم لشاشة الجدار و(صامد) يتابع حديثه قائلًا:

- أتمنى أن تكون ضيافتنا قد نالت رضاكم ، أعلم أن برؤوسكم عشرات الأسئلة التي تبحثون لها عن إجابة ، قد يكون أولها: ما وأين مملكة لاميتا هذه؟ وأنا معكم اليوم لأجيب استفساراتكم ولأخبركم كيف ستجري الأمور بيننا في قادم الأيام، والآن اسمحوا لي بأن أتعرف بأسمائكم أولًا.

تمتم الثلاثة على التوالي مجيبين:

- (زياد).
- (همَّاس).
- (أوَّاب).

ابتسم (صامد) وهو يشير نحو (همَّاس) قائلًا:

- لولا أننا نتفهم ونُقَدِّر مشاعرك تمامًا يا (همَّاس) لكان لنا معك ثأر كبير بعد ما فعلته برجالنا ، لكننا نسامحك وسنفتح معًا صفحة جديدة سأجيب فيها استفساراتكم أولًا ، فتفضلوا أيها السادة الأرضيون وأخبروني بكل ما لديكم من استفسارات وأسئلة لأبدأ بإجابتها واحدًا تلو الآخر وأشرح كل ما...

قفز الثلاثة عن مقاعدهم نحو شاشة الجدار في ذهول صائحين:

- ماذا قصدت بقولك أيها السادة الأرضيين؟!

*****

(٨)

شعرت (رحيق) بطعم آخر للهواء وكأنها تتنفس هواء آخر غير الذي كانت تتنفسه داخل السجن الوردي ، كيف اختلف طعم ورائحة ومذاق ذات الهواء داخل الأسوار عن خارجها؟ هذا ما كانت تفكر به وهي تستنشق الهواء المندفع إليها عبر نافذة السيارة المنطلقة بهم بسرعة عالية مرخية رأسها على كتف (ماوية) في سعادة بلا حدود. إلى أين هم ذاهبون الآن.. لا يهم ولم يعد يعنيها هذا كثيرًا ، وجود (ماوية) بجوارها منحها شعورًا بالأمان ولم يترك برأسها أي مساحة للتفكير في العواقب، لقد فعلتها (كوثر) واستطاعت أن تُدبر وتدير الأمور بدقةٍ وإتقان، لم تطلعها (كوثر) على أي شيء خلال الأيام الماضية لتعيش الأحداث بصورةٍ طبيعيةٍ تمامًا، مشاجرة لم تفهم أسبابها اندلعت بين (ماوية) وسجينات أخريات شرسات انتهت بالزَّجِ بهن في الحبس الانفرادي البشع كعقاب لهن ، أيام مضت لتحدث المفاجأة بجلسة صُلحٍ عُقدت بمكتب كبيرة السجَّانات وليتم بعدها تغيير سكن (ماوية) لتكون معهم.

توقفت السيارة ونزلت (رحيق) مع السيدات الثلاث ليدخلن لمكان بدا كمطعم أو مقهى ممتلئ بالجالسين أمام طاولات الطعام والشراب ، أشارت لها (رغيدة) بأن تتبعهم في صمت فتحركن جميعًا ليدخلن لإحدى الغرف ولتجد بها سيدات كانوا في انتظارهن، بدلن ثيابهن بأخرى وبدأت بعدها السيدات بوضع التنكر الملائم لهن مع التقاط الصور ، غادرن بعدها للساحة المجاورة لمرآب السيارات

بأشكال وثياب غير التي دخلن بها ليجدن سيارتين جديدتين بانتظارهن غير تلك التي أحضرتهم، سحبت (كوثر) (رحيق) من يدها وأجلستها بجوارها في إحدى السيارتين بينما استقلت (رغيدة) و(ماوية) السيارة الأخرى ليكون من نصيب (رحيق) الجلوس بجوار (كوثر) هذه المرَّة.

إلي أين هم ذاهبون وما الذي سيحدث بعد ذلك.. لم تفكر (رحيق) أو تشغل بالها بالتفكير بهذا فقد صارت يائسة وليس لديها ما تخسره، والقادم لن يكون أسوأ بأي حال من الأحوال مما كانت فيه ، والدها انقطعت أخباره عنها منذ سنوات ولا تعلم إن كان حيًّا أم ميتًا وأخوها (مجيد) صار وطواطًا لا يعرف سوى حياة الظلام ولن يستطيع أن يقدم لها أي عون، يكفيه فقط أن ينجو بنفسه ولا يصبح مثلها.

الأيام التي مرَّت عليها بالسجن الوردي كسجينة بعنبر البغايا تقضي العقوبة عن ذنب لم تقترفه ولم تفهم لماذا تم تدبير هذا الجرم المهين لها لتعيش القادم من عمرها كبغي - هذا ما لم يتم إضافة ذنوب أخرى جديدة لم تقترفها لحسابها - كل هذا جعلها تطرح التفكير في العواقب خلف ظهرها وتفكر بمنطق أن ليس لديها ما تخسره.

أمرت (كوثر) السائق بأن يناولها هاتف وأن يتحرك بهم للغابة المَشْؤومة، لم تبالِ كثيرًا إن كانوا ذاهبين للغابة المَشْؤومة أو حتي الملعونة فأي مكان سيكون أفضل بلا شك من السجن الوردي ، ما كان يعنيها هو ألاَّ تضيع السيارة الأخرى التي تحوي (ماوية) من تحت عينيها ، كانت تخشى أصابع الخِسَّة وأن يتم إبعاد (ماوية) عنها لأي سبب. هاتفت (كوثر) شخصًا خمَّنت أنه رجل حين سمعتها وهي تخبره ضاحكة بقولها: "سيجن جنونهم حين يجدوا الحرَّاس غارقين في النوم ، أبلغ تحياتي للكبير وأخبره أني نفذت المطلوب بنجاح كما

اتفقنا وبانتظار هديتي المتفق عليها عند اللقاء " ، لم تشغل (رحيق) بالها كثيرًا بالتفكير بمن كانت تحادثه (كوثر) ومن يكون الكبير هذا وما الهدية التي تنتظرها لأنها تحفزت حين رأت سيارة (رغيدة) و(ماوية) تهدأ من سرعتها حتى توقفت ، عادت لها سكينتها وسيارتهم تهدأ من سرعتها هي الأخرى لتتوقف بجوار الأولى داخل ما يشبه النفق، نزلت (رحيق) والنساء الثلاث لتتابع السيارتان السير بدونهم، تحركوا جميعًا ليستقلوا سيارة ثالثة كبيرة كانت تقف بانتظارهم في الاتجاه المعاكس لتحملهم وتنطلق بهم من داخل النفق بسرعة كبيرة لتنهب الطريق نهبًا نحو الغابة المَشْؤومة.

وعورة الطريق وعدم استوائه وامتلائه بالمنحدرات والمنعطفات أكدَّ بوضوحٍ حِنكةَ من اختار تلك السيارة ودرايته الكاملة بالطريق. أمسكت (كوثر) بالهاتف من جديد وبدأت في محادثة من تدعى (أوجين) ، الحوار كان حنونًا دافئًا مليء بالكلمات المفعمة بالحب، شعرت معها بأهمية (أوجين) هذه وقربها من (كوثر).

أنهت (كوثر) مكالمتها والسيارة ما زالت تهتز وترتج بهم بلا انقطاع مواصلة سيرها بالطريق الوعر نحو الغابة المَشْؤومة، نظرت (كوثر) لساعة اليد الجميلة في يد (ماوية) فأمسكت بيدها سائلة:

- ما هذه الساعة الجميلة التي لم أرها بيدك من قبل؟

أجابتها (ماوية):

- هدية من ابنتي ولم أكن أرتديها حتى لا تطمع بها السجينات.

قهقهت (كوثر) قائلة:

- أمَّا وقد رأيتها وأعجبتني فقد صارت لي ، ساعة جميلة كهذه لا تليق بيدك أنتِ، بل بيد (أوجين).

حاولت (ماوية) قول ما تعرف من كلمات الرجاء لإقناعها ، لكن (رغيدة) أنهت الأمر بانتزاع الساعة من يدها وهي ترمقها بغضب قائلة:

- يكفي أنكِ فزتِ بهروب مجاني لأجل (رحيق).

حاولت (رحيق) الاعتراض، لكن (ماوية) أوقفتها قائلة:

- دعيها فلا شيء يساوي كوننا أحرار الآن معًا.

توقفت السيارة الكبيرة أخيرًا جانبًا بجوار أربعة رجال يمتطون الخيول ، نزلت (كوثر) من السيارة فحيَّت الرجال وتحركت لتُكمل حديثها معهم بعيدًا ، عادت بعد دقائق مع الرجال والخيول قائلة:

- هيا يا فتيات.. انزلوا من السيارة واركبوا الخيول ودعونا نتحرك الآن.

*****

أيام مضت لم يفارق الشعور بالفشل والإخفاق (غيَّاث) ، كان يتوارى وهو لا يعرف كيف وبماذا سيجيب السيد (برهان) إن سأله عما وصل إليه من معلومات عن المطاردة التي أودت بحياة (مجيد).. أهو الإخفاق الأول؟ خابت ظنونه بـ(صفوان) واكتشف أنه أساء الظن به وليس هو الفاعل فالأمر أكبر من قدرات (صفوان) التي يعرفها جيدًا.

طلب تسجيلات فضائية للمطاردة وراجعها بدل المرة مرَّات ولم يصل لشيء ، دخل لموقع تسجيلات مراقبة الطرق والطريق الذي جرت عليه المطاردة يومها ليجد نفسه أمام لغز لم يفهمه ، الكاميرات كانت تعمل بصورة طبيعية وبدقة مدهشة حتى تحين لحظة مرور سيارة المطاردة أمامها فتسوء جودة التصوير لثواني هي عمر مرور

السيارة أمام الكاميرا وكأنها تتعرض لتشويش لثواني يمنعها من التقاط الصورة بالدقة المطلوبة ثم تعود للعمل بعدها بشكل طبيعي وبجودة عالية ، لم يجد من الشهود من يدلي بشيء عن المطاردة مع الوقت المتأخر والسرعات العالية التي كانت تتحرك السيارات بها، اختفاء السيارة التي قامت بالمطاردة ظلّ لغزًا محيرًا وهو من كان يظن الأمر مسألة وقت وستظهر تلك السيارة هنا أو هناك بعد أيام سليمة أو مهشمة أو حتي محترقة ، لكنها لم تظهر وكأنها قد انصهرت أو ذابت.

قضية مقتل (مجيد) استحوذت كل اهتمامه فلم تترك له مجالًا للاهتمام بأي شيءٍ آخر سواها، ظن الأمر لن يستغرق سوى بضع ساعاتٍ أو يوم على الأكثر لإنهائها فجاء كل شيء ليؤكد له بأن من قام بها ليس شخصًا عاديًا بل محترف ، شعر ببصمات (جسَّار) اللعينة في الأمر فالرجل يمتلك الدقة والتنظيم و خبرة كبيرة للقيام بمثل هذه الأمور بعد الأعوام طويلة التي قضاها كرأس مطرقة وليس بعيدًا لضربات بمثل هذا الهدوء والإتقان الشديد أن تحمل توقيعه. حَادَث (صفوان) ليعرف هل من جديد بشأن (جسَّار) فلم يجد لديه أي جديد كالعادة ، ماذا يحدث لهم؟ ولماذا انزلقت الأمور لطريق الانحدار هكذا وكأن لعنة قد حلت عليهم؟! علم من (صفوان) بأن صحة السيد (تقي الدين) قد ساءت كثيرًا في الفترة الأخيرة وأن الرجل لا يمر عليه يومان متتاليان دون إحضار طبيب لعلاجه بصورة تصاعدت معها الشكوك باقتراب ودنو الأجل وأن الرجل ربما يودعهم ويقضي أيامه الأخيرة معهم ليلحق بابنه، حالة اليأس الغريبة التي يعيشها الرجل لا أحد يعرف أسبابها فهو لا يحادث أحدًا حتى الأطباء أنفسهم، أثار هذا الشكوك بنفسه بأن لعينًا ما هنا أو هناك قد وجه للرجل طعنة نفسية

قاتلة وهمس له بوفاة ابنه وهذا ما وصل به لهذا الحال ، التفكير في من عساه فعلها كان يشير أيضًا لـ(جسَّار) فلن يخلو الأمر من وجود حبيب أو صديق هنا أو هناك ممن سيسعدهم تقديم يد العون للسيد (جسَّار).

أخرج رنين الهاتف (غيَّاث) من خواطره ، (برهان) كان المتصل ، ثوان من الصمت قضاها يفكر فيما سيجيب به (برهان) إن سأله عما وصل إليه في قضية مقتل (مجيد)، استعاد تركيزه ورفع سماعة الهاتف مجيبًا:

- بأمرك سيد (برهان).

جاءه صوت (برهان) وهو يصرخ غاضبًا في أحد المحيطين به قبل أن يقول له:

- مصيبة جديدة .. اترك كل شيء وكن أمامي الآن يا (غيَّاث).

*****

رمقت (وعد) بدهشة كلًا من (فاتن) و(ساجد) وهم يتناولون طعامهم في نهمٍ شديد بدوا معه وكأنهم يبتلعون الطعام بلا مضغٍ، تحركت لتسحب أخيها من يده في رفق ليدخلا إحدى الغرف وأغلقت الباب خلفها قائلة:

- يأكلون بنهم من لم يرَ الطعام منذ سنوات! أقدر عطفك ورحمتك عليهم ، لكن ليتناولوا طعامهم وليرحلوا في صمت.

أجابها في تأثرٍ قائلًا:

- من يدري متى كانت آخر وجبة تناولها هؤلاء المساكين.

- ينتابني القلق منك يا (باسل) حين أرى موجات الحنان تتدفق في قلبك بسخاء هكذا.. ليتناولوا طعامهم وليرحلوا.

- وهل سيقبل قلب أختي الطيب بإلقاء هؤلاء المساكين في الشارع بلا طعام أو مأوى؟

تمتمت (وعد) في دهشة وقد بدأ الضيق يظهر على وجهها قائلة:

- لا تقل بأنهم سيمكثون معنا!

- فتاة ذكية.

- أي جنانٍ هذا؟!

- سمِّه ما شئتِ لكن هذا ما أنويه بالفعل.

- عُدت لأسلوبك يا (باسل) ، وستقول لي بعد قليل كلمتك التي لا أمقت شيئًا في الحياة مثلها "عندما يكون الجهل نعمة فلا أريد لذكائك أن يحرمك إياها".

ابتسم (باسل) وهو يجيبها قائلًا:

- هل تعلمين أنك اختصرتِ بذكائك الوقت ووفرتِ عليَّ الكثير من الثرثرة التي كنت أنوي قولها لأصل لما قلتيه أنتِ الآن.

تمتمت بغضب:

- اطلعني بصدق على ما تُخطط له هذه المرَّة.

- إن وعدتني بأن تبقي عاقلةً رزينة.

أومأت برأسها بالموافقة وهي تردف قائلة:

- أعدك.

- الفتاة ورفاقها كنزٌ بالنسبة لي بعد ما روته عن حقيبة الكتب التي معهم و تحوي كتب ملعونة وأن لعنتها هي السبب في إحضارهم للغابة.

- وهل صدقت ما قالته تلك الحمقاء؟ وبافتراض أنه صحيحًا ، ألم تخف على نفسك من اللعنة التي تحملها الكتب؟

- أي لعنة تلك التي ستحملها مجرد أوراق يا (وعد)! لندع هذا الكلام لساذج مثلها وليس لرجل علمٍ مثلي فأنا أمتلأ بفضول وشوق يفوق الوصف لأمسك بحقيبة كتبهم هذه بين يدي.

- وماذا عن الجآن ومردة الجِن والمخلوقات التي امتلأت الفتاة رعبًا وهي تتحدث عنهم وأنهم السبب في إحضارهم للغابة؟!

- وهل صدقتِ أنتِ شيئًا كهذا؟ ما تحدثت عنه الفتاة ليس سوي أوهام استغل أحدهم سذاجة الفتاة وملأ عقلها بهذا السخف أما أنا فلا أصدق حرفًا مما قالت.

- والفتى؟

- الفتى أذكى بكثير من الفتاة فهو لا يتحدث إلا نادرًا وكل كلمة تخرج من فمه بحساب ولولا تلك الساعات التي استغرقها للإفاقة من "ذاهل٣" لما استمعنا لحديث الفتاة وعرفنا منها كل شيء عن رفاقها والمشاجرة وحقيبة الكتب التي كانت السبب في قدومهم للغابة.

- وماذا تنوي أن تفعل معهم؟

- سأستضيفهم بكل سخاء وكرم ليس هذا فحسب بل وسأبدأ في البحث معهم عن رفاقهم حتى يصلوا إليهم وأصل أنا للكتب.

هتفت (وعد) في غضبٍ قائلة:

- الغابة من جديد يا (باسل)؟!

- ولِمَ الخوف وقد رأيتِ بنفسك ما فعله "ذاهل٣" بـ(ساجد) وبالكلاب في الغابة، وما فعله "السلاح الشبكي" برجال قبائل ما وراء النهر؟

- وهل تظن سرعة (ساجد) ورجال القبائل كسرعةِ فهدٍ كل ما يلزمه هو وثبة ليغرز أنيابه بعنقك!

- لن أخطو أي خطوة أو أجرب أي شيء بخوفك هذا وسأقضي ما تبقي لي من عمر خلف الجدران معكِ في البيت لأمنحك الشعور بالأمان، لا بأس ببعض المخاطرة يا عزيزتي فأمور الحياة لا تسير دومًا بأمانٍ تام، ولن تمنعنا حوادث الطرق مهما كثرت من النزول للشارع أو عبور الطريق.

- وكيف ستقرأ وتفهم كتب بلغة ليست لغتك؟

- سأتعلمها بالطبع؟

صرخت (وعد) في جزع قائلة:

- ماذا؟؟ وهل ستبقيهم معنا حتى تتعلم لغتهم؟!

قهقه وهو يردف قائلًا:

- لا تخافي فقد تمكنت بفضل أوراق السيد (تقي) المدفونة من فصل برنامج نقل اللغات عن المسافر الأيوني ووضعته في جهاز مستقل صغير سيجعلني أفهم حديثهم بلغتهم ودون أن يعرفوا هم بذلك ، وسأفهم بهذه الطريقة حديثهم وكل ما كُتِب بهذه الكتب حال العثور عليها.

قاطعته (وعد) سائلة:

- وماذا إن رفضوا إعطاءك الكتب؟

- لا أظن هذا سيحدث بعد أن فهمت من حديث الفتاة بأنهم يمقتون هذه الكتب مقتًا شديدًا سيمثل معها عرضي بأخذها منهم مفاجأة سارة لهم.

*****

شعرتُ بالتعب بعد ساعات من السير بالجواد الذي أعطتني إياه (أوجين) والمحمَّل بكل ما طلبته منها ، قررت التوقف والنزول لمنح ظهري والجواد بعض الراحة، اخترت شجرةً ظليلةً ربطت الجواد بها وأخرجت جهاز الخريطة الإلكتروني الصغير الذي أعطتني إياه (أوجين) والذي يرسم مسارات للطرق التي سرت بها بحيث يمكنني العودة لأيٍ منها متى أردت ذلك مع إمكانية وضع علامات وتدوين ملاحظات عليها ، كان هذا أول ما فعلته بوضع علامة عند نقطة دخول الغابة كنقطة يمكنني العودة والرجوع إليها عند الحاجة وعدم التيه في الغابة من جديد .

لم أدرِ أكان غباءً مني طلب كل تلك الأشياء من (أوجين) قبل الرحيل للغابة، أحضر (عمران) لي كل ما طلبته كما أمرته (أوجين) ودون أن تفكر أو تشغل نفسها بمعرفة ما طلبت ، أخرجت بعض الأسماك المحفوظة من راحلتي وبدأت بتناولها فهذه نصيحة (أوَّاب) الدائمة لي بأن أتحرى الدِّقة في مطعمي وشرابي حتى لا آكل أو أشرب محرمًا دون أن أدري.

توقفت عن المضغ مع سماع صوت جلبة وضوضاء وصوت أقرب لفرقعة بارود أو إطلاق نار ، تملكني الخوف والذعر فأخرجت الحبل وبدأت بتسلق إحدى الأشجار العالية بسرعة لأعرف من فوقها ما يجري ، الدقائق مرَّت وأنا أعلى الشجرة لا أرى أي شيء أمامي مع استمرار الصوت وعدم توقفه ، ملأني الخوف أنا والجواد المربوط بأسفل الشجرة والذي انتابه الذعر فأطلق صهيلًا عاليًا بلا انقطاع ، خفت أن يفضحني صوت صهيله العالي ولم أعرف كيف أخرسه أو

أوقفه وهو يحاول الهرب لكن الحبل المربوط به حال دون ذلك، أبقاني الحذر فوق الشجرة لدقائق أخرى ، لكن ذلك الهاجس اللعين الذي قفز لعقلي فجأة انتزعني من مخاوفي وطوح بكل حذري بعيدًا ، ماذا لو أن هذا الصوت قادم من عند (أوجين) وأنها بخطر الآن؟ قلقي على الفتاة دفعني لإلقاء الحذر والتفكير في المخاطر خلف ظهري والنزول من فوق الشجرة في الحال لامتطاء الجواد والعودة بمساعدة الخريطة الإلكترونية للطريق الذي قدمت منه، سرت مسافة ليست بالقصيرة وبدأت أدرك بأن معركة مميتة قد دارت رحاها هنا وأنا أرى الجثث المبعثرة متناثرة هنا وهناك ، توقفت أمام جثة بعينها وكأن طعنة قد أصابتني وهبطت بموجة حزن رهيبة على قلبي ، وثبت من فوق الجواد لأتفحص جثة (عمران) الملقاة على الأرض ، سحبتها لجوار أحد الأشجار وأغمضت عينيه وفكرت بدفنه، لكن نار قلقي وخوفي على (أوجين) منعتني خشية إهدار الوقت. أين أنتِ الآن يا (أوجين)؟ وهل ما زلتِ حية؟ بدأت أفتش بين الجثث فلم أجدها، إن لم تكن ماتت فقد تكون مصابة هنا أو هناك وبحاجة للعون والعلاج، وقد يكون الأسوأ قد حدث بسقوطها في الأسر وهي بحاجة الآن لمن ينقذها ، شارف عقلي الجنون هلعًا وحيرةً بالتفكير أين هي الآن؟ ركضت بالفرس على غير هدى بعشوائية خلف أي صوت أسمعه لعلّي ألقاها ، سمعت ما يشبه صليل السيوف فتحركت نحو الصوت لأجد (أوجين) واثنين من رجالها وسط خمسة آخرين بَشِعُو الهيئة كالوحوش وكأنهم قادمون من عصورٍ تسبق ظهور البشر، ركضت بالفرس دون تردد لأقتحم المعركة بينهم، قذف أحدهم بشيء معدني حاد كالنصل نحوي فأصاب عنق الفرس بدلًا مني ليسقط الجواد بي

على الأرض مطلقًا خواره ولتغرقني دمائه ، أيقظ ما حدث بداخلي (كمال) القديم.. (كمال) الذي لا يبالي بالخطر وليس لديه ما يخسره، أين أنت (همَّاس)؟ كم أحتاجك الآن يا أَسَد الجِبَالِ بجواري في هذه المعركة ، نهضت من سقطتي لأقف أمام (أوجين) مباشرةً كساتر أمامها لأحول بينها وبين أي خطر قد يهاجمها بعد أن التقطت من أمام إحدى الجثث على الأرض سلاحًا حادًا يشبه السيف وانطلقت لأفرغ مخزون غضب عظيم امتلأ به قلبي ، ضرباتي كانت قاتلة محكمة الدقة والتصويب كمحارب محنك لم يفعل بحياته شيئًا سوى امتطاء الخيول وخوض الحروب ، سقط رَجُلَيّ (أوجين) قتلى وسقط أربعة من الوحوش لتبقى المعركة بيني وبين الأخير منهم والذي كان ضخمًا كدُبٍ لكن بلا بطءٍ في الحركة، الجروح كانت تملأ جسده لكنه ما زال يقاتل بقوة أسد وكأنها مجرد خدوش وليست جروح تنزف ، نال التعب مني وبدأت أستشعر بإقتراب ودنو الأجل خاصةً حين وثب فوقي بجسده الضخم وانتزع شيئًا حادًا لا أعلمه محاولًا الوصول لعنقي وأنا متشبث بذراعه بآخر ما تبقى لديّ من قوة تشبثي بالحياة ذاتها كي أمنعه من ذبحي ، سقط الوحش فجأة فوق صدري وأنا في ذهولٍ لا أفهم ما حدث! رفعت عيني لأجد (أوجين) قد حملت بكلتا يديها صخرةً ضخمة هشمت بها رأسه ، أزحت الوحش من فوقي لأستطيع التنفس، مدت (أوجين) يدها لي قائلة:

- هيا لنهرب الآن بسرعة قبل أن يدركنا آخرون منهم فلا أدري ما الذي حدث وأغضب الشينادونج هكذا.

خطوات قليلة فقط تحركناها معًا لنسمع أصوات صرخات عجيبة لمجموعات أخرى منهم قادمة نحونا ، صرخت فيها :

- اصعدي فوق ظهري الآن.. هيا بسرعة.

تمتمت (أوجين) في عدم فهمٍ سائلة:

- ماذاااا؟

أجبتها وأنا أخفض لها ظهري لتصعد:

- هيا بسرعة قبل أن يصلوا إلينا.

صعدت (أوجين) فوق ظهري متعلقة بعنقي فأخرجت الحبل بسرعة وبدأت بتسلق إحدى الأشجار الضخمة العالية بآخر ما تبقى لي من قوة قبل أن يصل إلينا متوحشو الشينادونج ، لحسن الحظ لم تكن الفتاة ثقيلة ، أو لعلّ ضغط الموقف قد فجر بداخلي قوى إضافية. الصمت حياة.. أخبرتها بهذا وأنا أطلب منها ليس فقط الصمت ، بل خفض صوت أنفاسها إن استطاعت ، وأن أي صوت صغير يصدر منها قد يؤدي لاصطيادنا من فوق الشجرة كالطيور أو إشعال النار بالشجرة ذاتها لتكون نهايتنا هي الموت حرقًا.

*****

(٩)

تبادل كلٌ من (همَّاس) و(أوَّاب) و(زياد) نظرات السخط قبل أن يعودوا ببصرهم لشاشة الجدار فيهتف (زياد) في (صامد) بغضبٍ صائحًا:

- أي جنان هذا؟! أجئت بنا لهنا وانتزعتنا من عالمنا ودمَّرت استقرار حياتنا وأبعدتنا عن أسرنا للانتقام؟! هل انعدمت كل سبل ووسائل الانتقام المتاحة أمامك وبعالمك لتأتي بنا لهنا لنكون نحن كتيبة انتقامك؟

أجابه (صامد) بهدوء ونبرة صوت نجح في الحفاظ عليها بلا انفعال قائلًا:

- ليس من السهل عليكم أن تفهموا ، أظنكم جرَّبتم الحياة بلا هدف والحياة بأهداف كثيرة ، لكن الحياة بهدف واحد شيء آخر مختلف تمامًا.

هتف به (همَّاس) في غضبٍ صائحًا:

- إن كُتِب لنا أن نجرب الحياة بهدف واحد فسيكون هذا الهدف هو الانتقام منك وليس لك بعد أن دمرت حياتنا جميعًا...

قاطعه (أوَّاب) في غضب:

- ولماذا تظننا سنصدق بأنك المظلوم؟ ومن أين لك بالثقة بأن انتقامك سيكون الختام ولن يعقبه انتقام جديد أشد وأقوى؟ ألم تفكر في العفو أو المسامحة ؟! تركت كل هذا واخترت أن تجرنا معك لتوسع بنا دوامة انتقامك.. لا وألف لا ... لن نقبل بهذا أبدًا.

تجاهل (صامد) كلامهم الغاضب وظلت الابتسامة الباردة على وجهه وهو يجيبهم قائلًا:

- ومن قال بأني سأجبركم على فعل ما لا تريدون فعله.. سأفتح الباب أمامكم للمغادرة إن رفضتم التعاون لتخرجوا للغابة المَشْؤومة لتبدأوا حياتكم الجديدة بسلام من هناك ، ولا مشكلة لديّ في إحضار أرضيين آخرين سيكونون أكثر تعاونًا وسيسعدهم القبول بما ترفضونه أنتم ليفوزوا بالجائزة.

صاح (همَّاس) في غضب:

- لتذهب أنت وجوائزك للجحيم.. افعل ما تريد فلن أغير رأيي.

تمتم (صامد) بنفس الابتسامة الباردة قائلًا:

- ولِمَ لا تنظروا للأمر كصفقةٍ فلا شيء بدون مقابل، انتقام ناجح ستقومون لي به مقابل العودة بأمان لعالمكم محمّلين بغنائم لا حصر لها...

قاطعه (زياد) سائلًا:

- هل لي أن أعرف ما الجائزة التي تحدثت عنها قبل قليل والغنائم التي لا حصر لها التي تتحدث عنها الآن؟ فقد يُغيِّر هذا من نظرتي للأمر.

أومأ (صامد) برأسه في إعجاب وهو يشير نحو (زياد) قائلًا:

- هل رأيتم كيف يفكر صديقكم الذكي هذا وينظر للصورة الكاملة بهدوء وبلا اندفاع. أطنان من الذهب تنتظركم للعودة بها لعالمكم إن استطعتم إنهاء المهمة بنجاح...

قاطعه (زياد) من جديد سائلًا:

- وما الضامن لصدقك وعدم ظهور طلبات أخرى جديدة؟

- ثقتكم بنا فقط هي الضامن ولا شيء غيرها.

هتف (همَّاس) في غضب صائحًا:

- قضيت عمرًا بأكمله هاربًا من أمورٍ كهذه ونلت غضب أمي فتبرأت مني وطردتني لعدم قبولي بخوض معارك الثأر وتلويث يدي بالدماء لتأتي أنت بعد كل هذا لتحدثني ببساطة عن عملية انتقام كبيرة ستراق فيها الدماء!.. الغابة أفضل ألف مرَّة من القبول بعرضك.

صاح (زياد) في حسمٍ مقاطعًا:

- السيد (همَّاس) يتحدث عن نفسه فقط ، أما أنا فموافق وأقبل بالتعاون معكم ولن أقضي أبدًا ما تبقى لي من عمر هنا في لاميتا ، سأثق بكم وأنهي المهمة لأعود لعالمي محمَّلاً بغنائم الذهب التي ستجعل مني ثريًا وتنهي كل مشاكلي هناك.

نظر (همَّاس) و(أوَّاب) لـ(زياد) بنظرات امتلأت غضبًا واعتراضًا صائحين:

- أجننت أم مات ضميرك .. كيف تقبل بهذا يا (زياد)؟

أجابهم (زياد) بحسم ودون تردد قائلًا:

- لم أطلب منكم أن تفكروا مثلي فالأمر محسوم بالنسبة لي ولن أدفن نفسي بقضاء الباقي من عمري بالغابة المَشْؤومة والتي إن نجحنا في مغادرتها فلأين سنذهب داخل هذه اللاميتا التي لا نعرف فيها أي شيء؟! وماذا سنعمل وكيف سنعيش بعالم غير عالمنا؟! أليس أكل الميتة مباح للمضطر يا (أوَّاب)؟ لقد اعتبرتها ميتة سآكلها مضطرًا.

ابتسامة ظفر تألقت على وجه (صامد) وهو يرفع لـ(زياد) إبهام التأييد قائلًا:

- تبهرني بذكائك يا (زياد) وما قلته لهم الآن هو الصواب بعينه ولا شيء غيره وسيصلون لذات النتيجة - لو فكروا قليلًا - ويغيروا موقفهم.

أنهى (صامد) الحوار مع الأرضيين فهتف له السيد (جسَّار) وهو يصفق بيديه قائلًا:

- أداؤك كان رائعًا يا سيد (صامد).

وأردف (شلهوب) هو الآخر وهو يحتضنه مُهَنِّئًا:

- بدوت مقنعًا للغاية بحديثك الهادئ الرصين بلا انفعال.

ارتفع رنين هاتف السيد (جسَّار) ليقطع حديثهم، فتح (جسَّار) المكالمة بسعادة قائلًا:

- قل لي بأنك أتممت مهمتك بنجاحٍ يا (بركات).

خرج صوت (بركات) ضعيفًا مفعمًا بالمرارة وهو يجيبه بحزنٍ شديدٍ قائلًا:

- للأسف لا.

- لماذا لا؟ وما هذا الوهن والحزن البادیان بصوتك؟ هيا تحدث واخبرني بما حدث؟

- معركة رهيبة لم أر لها مثيلًا بحياتي وجدنا أنفسنا وسطها فجأة دون أن نعرف من نقاتل ومن أعداؤنا ، ما أعرفه فقط أننا خسرنا كل رجالنا بهذه المعركة فلم ينجو سواي أنا ورجلان والسيدة (كوثر) ولقيَ باقي رجالي حتفهم.

صرخ (جسَّار) في ذعرٍ قائلًا:

- ماذا؟! من فعل بكم هذا ؟ وأين (رحيق) يا (بركات)؟

- رصاصات انهمرت علينا كالسيل لتحصد رجالنا ثم ظهرت المفاجأة التي زادت الموقف سوءًا بدخول الشينادونج في المعركة.

- ومن الذي أيقظ ملاعين الشينادونج وأحضرهم إلينا من وراء النهر؟ وهل قُتِلت (رحيق) أو حدث لها مكروه ؟

- لا أعرف.. فكلٌ منا كان يفكر في النجاة بنفسه.
- لكنك تابعت (كوثر) ووجدتها؟
- أنا لم أتابعها بل هي من التصقت بي طلبًا للنجاة.
- ما هذه المصيبة التي هوت فوق رؤوسنا!!
- المصيبة الأكبر هي ما ينتظرنا في الساعات القادمة بحضور أهالي رجالنا القتلى للسؤال عن أهلهم وذويهم!

أجابه السيد (جسَّار) بسرعة قائلًا:

- اقتل مسئول التوظيف الذي جلب الرجال للعمل معنا واشعل حريقًا هائلًا هناك ليلتهم المكان ويمتد للأماكن المجاورة فهذا سيمنحنا وقتًا جيدًا ، ولا تنس التخلص من الرجلين الناجين معك قبل أن تختفي حتى تقطع أي احتمال لثرثرة في غير محلها.
- وماذا عن (كوثر)؟
- احضرها للقلعة المدفونة ، والمهمة الأهم لك الآن هي أن تقلب الغابة رأسًا على عقب حتى تجد (رحيق) ، ولا تريني وجهك قبل أن تجدها.

*****

شعر (كمال) بأقدامه تصرخ ألمًا فتوقف عن السير ناظرًا لـ(أوجين) ومتمتمًا بأنفاسه اللاهثة:

- تعبتُ كثيرًا ولم تعد أقدامي تقوى على حملي أو السير أكثر من ذلك فهل لنا بقليل من الراحة؟ أشعر بأني على وشك السقوط من فرط الإجهاد والتعب وأحتاج لبعض الراحة.

نظرت له (أوجين) ولأجولة المؤن الثقيلة التي أصرَّ على جرِّها خلفه وعدم تركها حيث قتل جواده قائلةً:

- ما أتعبك هو إصرارك على جَرِّ أجولة المؤن الثقيلة هذه ، لا أعرف ما تحويه أو أهميتها لكنني أري أن جرَّ أجولةٍ كهذه لمسافة كالتي سرناها كفيل بأن يستنزف كل طاقتك.

فتح (كمال) أحد الأجولة وأخرج طعامًا محفوظًا ناولها إياه بسعادة قائلًا:

- شرف عظيم لي بأن تكوني ضيفتي وتشاركيني طعامي رغم كون كل ما أحمله من زاد ومتاع هو لكِ قبل أن يكون لي.

حدَّقت به (أوجين) في دهشةٍ سائلة:

- لم أفهم حتى الآن أي جنانٍ أصابك لتعود لنا وتُلقي بنفسك أمامي في معركة مميتة بكل هذه الجرأة و التهور ؟

هزّ رأسه في لامبالاة قائلًا:

- لم يبق متسع للحسابات بعقلي ولم أفكر لحظة حين وجدت جثة (عمران) أمامي ، ألقيت بكل حذري وخوفي خلف ظهري وهرعت لنجدتك داعيًا الله بأن أصل في الوقت المناسب وألاَّ أتأخر عنكِ.

- لقد أنقذت حياتي بالفعل بوصولك في الوقت المناسب.

ابتسم (كمال) وهو يسحب يدها لفمه ليقبّلها في جرأة قائلًا:

- بل أنتِ من أنقذ حياتي ليس مرَّة واحدة بل مرَّات .. أنقذتني وأنا مصاب في الغابة غائب عن الوعي مُلقى بين الأشجار، وأنقذتني باستضافتي ببيتك لأتلقى العناية والعلاج حتى استعدت عافيتي وزودتني بكل ما احتجته من مواد ومؤن دون سؤال، وأنقذتني أخيرًا بتهشيم رأس ذلك الوحش قبل ذبحي.

سحبت (أوجين) يدها منه في حياء وهي تنظر إليه ذاهلة قبل أن تردف:

- فعلت ما أملاه عليَّ ضميري ، ولو كان غيرك لفعلت الشيء ذاته معه أيضًا لكن الفارق كبير للغاية بين ما فعلته أنا وما فعلته أنت ، فأنا فعلت ما فعلت وليس لديّ أي هامش للخسارة وأنا أفعله ، أمّا أنت فأقحمت نفسك في معركة خسارتها كانت تعني خسارة الحياة ذاتها لأجلي ، وحملتني على ظهرك وأنت منهك خائر القوى وتسلقت بي الشجرة وأنا أشعر بارتعاد وارتجاف عضلاتك من شدة وفرط الإجهاد والتعب لمجرد أن عرفت بأني لن أستطيع التسلق وحدي ، وقضيت الليل بأكمله متشبثًا بي فوق الشجرة في حرصٍ شديد كي لا أسقط من فوقها.

تألقت عيون (كمال) بالزهو قائلًا:

- ولو كان بيدي فعل ما هو أكثر لفعلت دون تردد.

حدَّقت به (أوجين) سائلة:

- أسمعك تتمتم أحيانًا بلغتك الغريبة التي لا أفهمها وأظنها نفس اللغة التي تحدثتها سابقًا بالغابة.. ألم تنس لغتك مع فقدك للذاكرة؟

أجابها بابتسامة قائلًا:

- إنها لغتي الأصلية ولا أظنني سأنساها أبدًا و الأمر معقد لدرجة يصعب شرحها لك حتي أنني لا أفهم حتى الآن ما يحدث لي .. لكني أعدك بأن أشرح لكِ كل شيء حين أفهم.

تمتمت (أوجين) في رجاء قائلة:

- اخبرني من فضلك حين تشعر بالراحة لنتابع السير فالقلق يقتلني على أمي.

- وهل السيدة (كوثر) هي أمك؟

رمقته بنظرة متفحصة قبل أن تجيب:

- نعم هي أمي ولن أسمح بأي كلمةٍ سيئةٍ بحقها.

- وما الذي دفعكِ للظن بأني سأقول كلمات سيئة بحقها؟

- الأمر معقد لن تفهمه بسهولة ولا أحب الخوض فيه أو الحديث بشأنه.

- وهل ذهابنا للغابة كان للقائها؟

- أجل كان لإحضارها لكن الكارثة الغير متوقعة بخروج الشينادونج هي من حالت دون لقائي بها.

- أتقصدين بـ"الشينادونج" تلك الوحوش الغريبة الذين كنَّا نقاتلهم؟

- ومن غيرهم.. إنهم الفصيل المتوحش من قبائل ما وراء النهر، وقد كفانا الفصيل المسالم من قبائل ما وراء النهر شرهم بتقديم الهدايا والقرابين لهم ليأمنوا بطشهم وليشتروا صمتهم لكن يبدو لسوء حظنا أن هناك ما قد غيَّر الأمور فأثار غضبهم ليخرجوا إلينا هكذا.

- لكن أين ذهبت الأسلحة التي كانت مع رجالك ؟

- فقدناها أغلبها مع انقضاضتهم المباغتة.

- ولماذا كانوا يجمعون الجثث؟ أسيدفنونها أم يحرقونها؟

رمقته بنظرةٍ طويلةٍ قبل أن تجيبه بابتسامة متهكمة قائلة:

- سيدفنونها لكن في أمعائهم .. إنهم يأكلون موتاهم فهل تظنهم سيتركون وجباتٍ شهية كجثث رجالنا!

هزَّ (كمال) رأسه لينفض عن عينيه ذلك المشهد البشع وهو يتخيل أحدهم يحمل ذراع (عمران) ويَقضِم موضع الكتف بين أسنانه البارزة في شهيةٍ ونهم. سألته (أوجين) في حرجٍ:

- أيمكننا أن نبدأ بالتحرك الآن من فضلك؟

أمسك (كمال) بأحبال الأجولة في يديه ليبدأ في جرها قائلًا:

- لم أنل بعد القسط الكافي من الراحة، لكن إن كانت هذه هي رغبتك فليكن.

سألته (أوجين) وهما يعاودان السير مجددًا:

- ألم تفكر بأسرتك وأنت تقتحِم تلك المعركة المميتة التي كان من الممكن ألاَّ تغادرها حيًّا؟

- ربَّما لو كان لديّ أسرة لفعلت.

- وأين والداك وأقاربك؟

- لم أعرف لي أهلًا ، تفتحت عيناي على الحياة بدار أيتام لسنوات تجرعت فيها كؤُوْس المرار فلم أجد من يسأل عني يومًا إلي أن جاء اليوم الذي نجحت فيه بالفرار.

- صعبٌ ألا يكون لديك قريب أو عزيز ترغب في البقاء بالحياة لأجله.

- وهل هناك من لا عزيز لديه.. لديّ أعزاء بالطبع لكنهم ليسوا أقاربي.

- وهل لي أن أعرف من هم أعزاءك هؤلاء؟

- أنتِ.. وأَسَدُ الجِبَالِ.

ذهول انتاب (أوجين) وهي ترمقه وقد تجمدت الكلمات بحلقها مع نظراته لها ، لكنها أردفت بعد ثوانٍ من الصمت سائلةً:

- ومن يكون أَسَدُ الجِبَالِ هذا؟

ابتسامة تألقت على وجه (كمال) وهو يجيبها قائلًا:

- (همَّاس الزنفلي)، أعز أصدقائي.. جمعتنا أنا وهو قصة غريبة بلا مقدمات، تمامًا كتلك التي جمعتني بكِ، كنت يومها في قطار الصعيد فالتقطت أذناي حديثًا خافتًا لإثنان يتهامسان.

- وما قطار الصعيد هذا؟

- دعكِ من هذا الآن وتخيلي أنني أحدثك عن قطار عادي.

- وما الغريب في أن يتهامس اثنان بداخل قطار؟

- الغريب ليس في تهامسهما، بل فيما كانا يتهامسان به.

- وهل من حقك التصنت والإنصات لحديثٍ خاص.

- حديثهما الهامس بالتخطيط لقتل من يُدعى (همَّاس) جعلني أُصغي دون أن أعرف من هو (همَّاس) المسكين هذا الذي تُحاك بجواري مؤامرة قنصه، ظللت أُصغِي لهما بانتباهٍ شديد وأراقبهما بحذرِ الفهود حتى حانت لحظة التنفيذ فوثبت عندها مستندًا بيدي على أحد المقاعد لأركل بقدمي من كان يصوب السلاح نحو (همَّاس) ركلة عنيفة أسقطته أرضًا وأسقطت السلاح من يده صارخًا بأعلى صوتي "اهرب يا (همَّاس)" دون أن أعرف من هو (همَّاس) هذا الذي أطالبه بالهرب.

تألقت عينا (أوجين) بانبهارٍ وهي تنظر لـ(كمال) مُردِفَة:

- اكمل.. وما الذي حدث بعد ذلك؟

- حدثت المفاجأة التي أذهلتني قبلهم، لم يهرب (همَّاس) هذا كما توقعت منه أن يفعل، بل قدم إلينا أَسَدُ الجِبَالِ الغاضب يزأر ليريهم كيف هي غضبة الأسود وليذيقهم ما لن تفلح سنوات أعمارهم القادمة في محوه أو نسيانه.

- وماذا فعل وقال لك بعد إنقاذه؟

- قال الكثير من الكلمات ليشكرني على إنقاذه ، فأجبته بأن لا داعي لذلك وأن الأقدار هي من جمعتنا، روى لي بعدها قصته وكيف أنه هارب من تركةِ ثأرٍ ثقيلةٍ تطارده ورثها عن أسرته دون أن يكون له يد فيها، فأخبرته بأن يطمئن وأن لا داعي للقلق، واصطحبته ليسكن معي، ولم نفترق من يومها للآن إلاَّ حين حدث ما لم يكن...

توقف (كمال) عن الحديث مع تلك الصرخة المفاجأة التي أطلقتها (أوجين) في ذعرٍ وهي تركض لتنحني أمام جثة ملقاة أمامها وهي تجهش بالبكاء قائلة:

- إنه أحد من أرسلتهم لإحضار أمي.

حاول (كمال) تهدئتها وهو ينحني ليتفحص الجثة ويشير لها بإصبعه لموضع رصاصة اخترقت صدر الرجل قائلًا:

- قُتِل بالرصاص وليس ملاعين الشينادونج من فعلوها.

ازداد بكاء وصراخ (أوجين) قوةً بعد أمتار قليلة فقط من جثة الرجل الأول ، خارت قواها وارتمت على الأرض تلطم خديها وتمسح وجهها بتراب الأرض أمام جثتين على الأرض ، و(كمال) يحاول تهدئتها دون أن يفلح محاولاً أن يجد من الكلمات ما يهون به الأمر عليها وهي تصرخ في انهيارٍ تام:

- ثلاثة قُتِلوا ممن أرسلتهم لإحضار أمي وتبقى رجل واحد فهل قتلوه هو الآخر؟ وهل قتلوها معه ؟

احتضنها (كمال) دافنًا رأسها في صدره وهو يربِّت على ظهرها بحنان قائلًا:

- هي حية ما لم تشاهدي جثتها بعينيكِ، لا تفكري بأي شيء خلاف هذا.

نهضت (أوجين) بصعوبة ممسكة بيد (كمال) ليتابعا السير والبحث عن والدتها ، دقائق متوترة في البحث عن السيدة (كوثر) مرَّت عليهما ، تذكّر (كمال) أجولة المؤن التي نسيها وتركها بعد أن هرع إليها بعد سماع صراخها ، نظر لـ(أوجين) فوجدها بحالة مزرية من الإجهاد والتعب ، ربَّت على كتفها طالبًا منها أن تبقى هنا لدقائق قليلة سيعود بعدها ولن يتأخر عليها ، ركض بسرعة للمكان الذي ترك به أجولة المؤن ليعود بها لكن اختفاء (أوجين) كان المفاجأة السيئة التي بانتظاره!

*****

(١٠)

صعد (غيَّاث) درجات السلم يفكر في المصيبة التي بانتظاره هذه المرة، كلمات (برهان) الموجزة لم تفصح عن السبب بل عن الغضب ، تمنى أن يكون (برهان) قد التقى بمن أفرغ فيه جزءًا من غضبه قبل وصوله وألاَّ تكون البداية به . هبَّ (رشوان) من جلسته واقفًا حال دخول (غيَّاث) ليفتح باب إحدى حجرات الاستقبال له قائلًا:

- السيد (برهان) غير موجود الآن ، سيعود بعد قليل .

دلف (غيَّاث) للغرفة ليجد (صفوان) جالسًا بالانتظار فجلس قبالته سائلًا:

- ما المصيبة هذه المرة يا (صفوان)؟
- هروب رباعي من السجن الوردي يا صديقي و(رحيق) ابنة السيد (تقي) بينهم.

رفع (غيَّاث) حاجبيه في تعجبٍ سائلًا:

- وأين الحرَّاس والقناصة؟
- نيام.
- ماذا؟؟

قطع الحوار بينهما دخول (برهان) للغرفة بلسانٍ كمدفعٍ لا يتوقف عن إطلاق قذائف السِّباب ، جلس (برهان) على أول مقعد أمامه متوقفًا عن السِّباب لثوانٍ إلتقط فيها أنفاسه قبل أن يعود للحديث في حِدّة قائلًا:

- أي سخفٍ هذا؟! هروب جماعي من السجن الوردي؟!

تمتم (صفوان) محاولًا التهدئة بقوله:

- ساعات وسيقبض عليهم وسيخبرنا أصدقاؤنا بالتفاصيل.

- خيبة أملي بمن حولي تزداد يومًا بعد يوم حتي أنني بدأت أشعر بتأرجح مقعد رأس المطرقة أسفل مني وخشيتي من سحب البساط من تحت أقدامي فجأة.

حاول (غيَّاث) تهدئة غليان وانفعال (برهان) فأردف قائلًا:

- قيمة الهروب الوحيدة تأتي في وجود (رحيق) ابنة السيد (تقي) بين الهاربات ، لكن حوادث الهروب متكررة وليس هناك سجن لم يتم الهرب منه وسلطات لاميتا لن تترك أمرًا كهذا يمر ، وستتضح الصورة ونعرف التفاصيل قريبًا.

رمقه السيد (برهان) بغيظٍ لثوانٍ قبل أن يردف:

- المعلومات التي وردتني بأنها عملية تحمل قدرًا عاليًا من المهارة والاحترافية و لم تترك أثرًا خلفها .

صوت رنين قطع حديثهم ، التقط (برهان) جهاز الرسائل على مكتبه وبدأ بقراءة الرسالة الواردة قبل أن يغمغم لهم قائلًا:

- رجلنا بمكتب التحقيقات يقول بأنهم وصلوا لسائق السيارة المستأجرة التي نقلت الهاربات من هناك لاستراحة بمنتصف الطريق وعددهم أربع سيدات ، لكن أربع سيدات أخريات خرجوا إليه بنفس ثياب الهاربات ليسوا ذات السيدات اللاتي قدم بهن للمطعم ، وأنهن هدَّدنه بالسلاح حال ركوبهن معه ليكمل الرحلة في صمتٍ نحو وادي الهلاك ، وأجبروه على التوقف بإحدى الاستراحات بمنتصف الطريق واختفوا هناك.

تمتم (غيَّاث) في تهكمٍ قائلًا:

- عملية هروب تستحق خلع القبعة احترامًا لذكاء ومهارة من خطط لها وقام بها ، الهاربات كانوا الأكثر ذكاءً ودهاءً لينفذوا الهروب بحرفيةٍ ومهارةٍ أذهلت الجميع.

*****

لم تتخيل (وعد) أن دخول (ساجد) و(فاتن) لحياتهم سيكسبها هذا المذاق الرائع الذي لم تشعر بمثله من قبل، مضت الأيام متشابهة وعلى ذات الوتيرة ، بحث طويل يلتهم النهار بالغابة المَشْؤومة حتى تلوح لهم شمس الغروب موعد العودة للبيت بعد أن يكون التعب والإجهاد قد أجهزا عليهم ليبدأ النصف الآخر من اليوم بحمام منعش ثم مائدة طعام تجمعهم سويًا ليتناولوا طعامهم معًا كأسرة واحدة، وجودهم غيّر من نمط الحياة المملة الفاترة التي عاشتها لسنوات، حمدت الله أن (باسل) لم يركلهم خارج البيت طبقاً لرغبتها.

مالم يخطر ببالها أن تجد هذه المتعة في رفقة (فاتن) والتي كانت تبدأ عندما يجتمع (باسل) و(ساجد) بغرفة المكتب ، كانت تتأملها بانبهار أثناء قيامها بأعمال المنزل بسلاسة ورشاقة لا تتناسبان أبدًا مع تعب وعناء الساعات التي أمضوها في السير على أقدامهم بالغابة ، أمَّا المفاجأة الأكبر والتي ظهرت ولم تكن في الحسبان فكانت فيما تصنعه تلك الفتاة من وجبات رائعة لم تتذوق لها مثيلًا من قبل.

أدهشها قيامها بالعمل بإتقان من يؤدي عملًا يحبه ويستمتع بأدائه وليس كتأدية واجب أو حياء من أصحاب الدار المضيفين، رفعت (فاتن) أطباق الطعام عن المائدة وشمرت ساعديها لتنقض عليها في دقائق أعادت بعدها المطبخ لحالته رافضة بحسمٍ أي

مساعدة ولتبدأ الفتاتان بعدها سهرتهما المعتادة مع رشفات الشاي وحديث الليل الممتع بثرثرة (فاتن) التي لا تنقطع وهي تروي ذكرياتها المسلية في حديث ضاحك إلى أن يدركهم النوم ، تلك المتعة التي وجدتها في وجودها إلى جوار (فاتن).. لم تعلم أهي لمجرد الحديث لفتاة مثلها بعد سنوات من العزلة؟ أم أن (فاتن) تمتلك بالفعل سحرًا خاصًا جعلها تتمناها زوجةً لأخيها ، لا بد أن تعرف إن كانت بوصلة قلب الفتاة مازالت مرتعشة حائرة تبحث عن الاستقرار أم أنها إتخذت إتجاه واستقرت عليه.

رحلات بحثهم في الغابة لم تنجح في الوصول للرفاق ، لكنها أذابت الفتور بين (باسل) و(ساجد) ليعرف (باسل) مع الوقت والحوار بينهما بأن نظرته لـ(ساجد) كانت خاطئة وأنه أمام شخص طيب مكافح وأحد قاطني محراب العلم، الحوارات التي دارت بينهما جعلته يدرك بأن (ساجد) من نوعية يعرفها جيدًا ، نوعية لو ظهرت أمام عيني السيد (تقي) لما أفلته من بين يديه أبداً . حضرت (فاتن) تحمل صِينِيَّة عليها أقداح الشاي والقهوة وضعتها أمامهما قبل أن تنصرف بابتسامة قائلة:

- نادوني إن احتجتُم شيئًا.

نظر لها (باسل) بشرودٍ مفكرًا كيف لتلك الفتاة البسيطة أن تملك هذا السحر، سحر لم يألفه أو يعرفه من قبل ، سحر البساطة إن كان هناك حقًا ما يمكن أن يطلق عليه هذا الوصف ، الأمور مع الفتاة كانت تنزلق بسلاسة بلا تعقيد ، بدأ يفكر وهي تتحرك مغادرة من أمامه بهذا المعنى الجديد الذي بدأ يكتشفه مع ظهورها وكيف يمكنك أن تجد

السعادة في مجرد رؤية شخص أمام عينيك ، أخرجه (ساجد) من شروده وهو يرشف رشفة شاي ساخنة ويجاهد لفتح عينيه قائلًا:

- كتب البرمجيات التي قرأتها بمكتبك خلال الأيام الماضية كنز لا يقدر بثمن.

أجابه (باسل) باسمًا:

- يؤسفني أن مجال خبرتي بعيدًا عن تقنيات الحوسبة لأقدم لك دعمًا أكبر أو أدلك على كتب بعينها لتقرأها لكن يمكنك أن تخبرني بما تريد وسأطلبه لك توًّا ليكون بين يديك خلال دقائق.

هزّ (ساجد) رأسه في انبهار قائلًا:

- الأيام التي قضيتها ببيتك هنا خير تجسيد لكيف يختفي الخير وراء ما قد تظنه شرًا ، هل ستصدقني إن أخبرتك بأن ما قرأته من كتب هنا قد يجعل مني طفرةً وظاهرةً تستحق الدراسة إن كُتِب لي العودة لعالمي من جديد ، معلومات وأفكار جديدة مبهرة ستجعل مني عبقريًا سابقًا لعصري إن أفصحت عنها بعالمي.. وأنا من ظننت المنحة التي كنت أتلقاها وثبة نحو المستقبل فإذا بي أجدها لا ترتقى لأن تكون حبوًا! ما قرأته بمكتبتك الأيام الماضية يعد منحة جديدة نلتها.

- وأنا لا أخفي عليك بأنك أذهلتني يا (ساجد) بسرعة قراءتك واستيعابك الرهيبة، لم أتصورك هكذا أبدًا حتى اكتشفتك هنا لأجد أمامي وحش يلتهم صفحات الكتب بدل الطعام، سرعتك في القراءة غير عادية وتركيزك مبهر للغاية ، ومثل هذه الأمور لا تخفى على رجل علمٍ مثلي.

- أريد القراءة في الاتصالات والشبكات والأقمار الصناعية؟ وإن كان لهذه الأشياء نفس المسميات لديكم.

- أظنك تقصد الحواس الفضائية.

هزَّ (ساجد) رأسه في عجب سائلًا:

- أوضح لي أكثر من فضلك.

- العيون الفضائية تختص بالتصوير بكل تقنياته ، والآذان الفضائية تختص بتسجيل الموجات الصوتية وغيرها بمختلف ذبذباتها وأنواعها ، والأنوف الفضائية تختص بالروائح والغازات الكثيفة كالحرائق وحمم البراكين والغازات المشعة وما لهما من أهمية ودور في كشف حرائق الغابات والبراكين والتسربات الإشعاعية.

تحرك (ساجد) وهو يقف أمام (باسل) في انبهارٍ قائلًا:

- سأكون ممتنًا للغاية إن أحضرت لي ما أقرأه عن تلك الحواس الفضائية.

خطا (باسل) نحو مكتبته ليلتقط منها كتابًا ناوله لـ(ساجد) قائلًا:

- يمكنك أن تبدأ بهذا لكن هل لي أن أسألك عما يدور برأسك؟

- كنت أفكر إن كان لديكم محرك بحث خرائطي فضائي.. فإذا بك اليوم تدلني على ما هو أروع وأفضل.

صمت (باسل) لثوانٍ يفكر بكلمات (ساجد) مع ابتسامة ظهرت على وجهه قائلًا:

- أتعرف أنها فكرة رائعة بالفعل ، كيف غابت عني ولم تخطر ببالي؟ يمكننا بالفعل الاستعانة بإحدى الخدمات المدفوعة لمراجعة التسجيلات الفضائية والمسح الحراري للغابة خلال الأيام التي ضللتم فيها ، وسيضيق هذا من نطاق بحثنا كثيرًا لنتحرك في نقاط محددة وليس الغابة بأسرها كما كنا نفعل ، لكن أرجو ألاَّ تنسيك فرحة اللقاء

بأصدقائك عندما نجدهم الاتفاق الذي بيننا بإعطائي حقيبة كتبكم الملعونة هذه .

*****

أفاقت (أوجين) على رشات الماء المتناثرة على وجهها من يد (كمال) ، فتحت عينيها فأطلق (كمال) تنهيدة طويلة قائلًا:

- الحمد لله.. كدتِ تقتلينني خوفًا عليكِ يا (أوجين).

طافت (أوجين) بعينيها في المكان تبحث عن شيء، فأجابها (كمال) قائلًا:

- تبحثين عن جثة الرابع ممن أرسلتهم لإحضار أمك؟

أومأت برأسها بالموافقة وبدأت الدموع تظهر بعينيها من جديد، ربَّت (كمال) على كتفها قائلًا:

- لو كانت الدموع ستقدم لنا شيئًا لذَرَفتُ الدموع لأجلك أنا الآخر، لكنها لن تقدم لنا أي شيء فلا تدعي الخوف والقلق على والدتك ينال منكِ وينسيكِ أننا بغابة قد يخرج علينا أحد وحوشها بأيةِ لحظة أو نجد أنفسنا أمام ملاعين الشينادونج من جديد ، كما أن هناك العدو الجديد الغريب ممن قنصوا رجال والدتك بالرصاص، والذين لا نعلم من هم ولا ماذا يريدون.

رمقته (أوجين) في صمت وهي تنهض لتقف بجواره قائلة:

- أهناك أمل بأنها ما زالت حية؟

- هي حيَّة ما لم تشاهدي جثتها بعينكِ ولا تفكري بغير هذا.

بثَّت كلماته بعض الطمأنينة بنفسها فأردفت قائلة:

- لو حدث لأمي شيء أو ماتت فسأصبح وحيدة مثلك تمامًا بلا أهل أو أقارب.

- سأكون أنا أهلك وأقاربك.. لكن هل لي أن أسأل أين باقي أسرتك؟

- أتذكر حين طلبت منك عدم الحديث بكلمات سيئة عن أمي وأخبرتك بأنه أمر معقد لا أحب الخوض فيه أو الحديث بشأنه؟

- أجل أذكر.. ولزمت أنا الصمت وقتها احترامًا لرغبتك.

لم تجبه (أوجين) بل بدأت تروي له قائلة:

- وفاة والدي كانت اليوم الذي انقلبت فيه حياتنا بأسرها رأسًا على عقب ، بدأ كل ما كان خافيًا لسنوات في الظهور ، قوة شخصية والدي أجبرت الجميع على القبول بزواجه من أمي على خلاف رغبات المعارضين ، لم يعلم بأن غضبهم سيظل كوحش حبيس يختزن الغضب بداخله ليزداد شراسة يومًا بعد يوم منتظرًا أن تحين لحظة الانتقام.

- وبالطبع جاءت الوفاة لتفتح الباب لخروج الوحش الحبيس..

- وجدت أمي نفسها بين عشية وضحاها تعيش عداوة رهيبة مع الجميع ، بدءًا من أهلها الذين قاطعوها وتخلوا عنها عقابًا لها على تحديها لهم بقبولها الزواج بأبي، وصولًا لأهل أبي الذين عاشت في كنفهم دون أن تدري ما يضمرون ويخبئون لها من بغض وكره مستتر.

ابتسم وهو يتمتم سائلًا:

- أتحدث هذه الأشياء في لاميتا أيضًا؟!

لم تعلق، بل نظرت إليه وأردفت مُكمِلةً:

- انقضت مخالب الغدر وأنياب الخيانة على أمي لتنهشها بضراوة وحقد السنين الدفين بصورة لم تجد السيدة الشابة معها ما تنجو به سوى الفرار بطفلتها الصغيرة على كتفها بعيدًا بعد نصيحة هامسة من أحد المتعاطفين ولتتحول مع الوقت من الفتاة الرقيقة الجميلة التي

كانت يومًا زوجة لسيد قومه لسجينة لها هيبتها وسمعتها الإجرامية الكبيرة وهي من لم تترك سجناً لم تدخله أو تنحت اسمها على جدرانه.

- ألهذا كنتِ تشعرين بالحرج حين سألتك عنها؟

أومأت (أوجين) برأسها في خجل قبل أن تردف بحماس من تذكر شيئًا هامًا قائلة:

- ظلت تبذل الجهد لإبقائي بعيدة تمامًا عن عالمها خشية تلوث اسمي بالارتباط باسمها وحتى لا أشعر بالخزي والعار يومًا بكوني ابنتها، فأبقت الأمر سرًا طي الكتمان لا يعلمه سوى حفنة قليلة من رجالها المخلصين.

- لا أجد في كل ما رويته ما يجعلك تشعرين بالخزي والهوان بل أجد الشعور الأنسب هو الفخر بتلك السيدة التي ضحت بنفسها وعاشت حياة الصعاب لأجل فتاتها الصغيرة ، هل ستصدقينني إن أخبرتك بأني كنت سأمتلأ فخرًا لو كانت تلك السيدة هي أمي أنا.

توقفت (أوجين) عن السير ترمقه بنظراتٍ حائرةٍ صامتة محاولة أن تفهم أيشعر بالفخر والتقدير حقًا لنضال أمها؟ أم يقول هذا فقط للتسرية عنها وإيقاف نزيف حزنها؟ سحبها (كمال) من يدها ليتابعا السير وهو يردف قائلًا:

- الحياة ليست عادلة ، دعك ممن يولدون وملاعق الذهب بأفواههم بل أتحدث عن أولئك الذين دهستهم الحياة تحت أقدامها والذين أعرفهم جيدًا لأني أحدهم ، الفارق كبير بين من يسرق ليعيش ومن يعيش ليسرق ، اختيار طريقة التعامل مع الحياة ليست دائمًا متاحة فقد جربت السرقة من قبل حين لم يكن أمامي سواها ودخلت

السجن كوالدتك بعد أن أجبرتنا الحياة علي السير في طرقٍ بعينها، ولو كنت أملك رفاهية الاختيار أو البدائل لما فعلت.

- أتعني بأنك أنت أيضًا تملك ماض تخجل منه مثل ...

وثب (كمال) بسرعة ساحبًا (أوجين) ليتوارى بها خلف إحدى الأشجار حين رأى أمامه حيوان ضخم غريب الشكل له رأس ذئب وجسد وعلٍ يرمقه هو و (أوجين) كمن يتأهب للانقضاض عليهم ، أخرج (كمال) قداحته وأشعلها بسرعة وضغط نفَّاث إحدى علب المبيد الحشري التي أخرجها من ثيابه في الحال لتندفع موجات اللهب نحو الحيوان الغريب.

رمقت (أوجين) ما يحدث في انبهار وهي ترى الحيوان يلوذ بالفرار بسرعة رعبًا مع موجات اللهب المصوبة نحوه فأردفت سائلة:

- ما هذا الذي فعلته الآن بخانق الحشرات؟!

ضحك (كمال) وهو يرفع علبة المبيد الحشري ويحركها أمامها سائلًا:

- أتسمونه خانق الحشرات؟!

أومأت برأسها بالموافقة فأردف مجيبًا:

- إنها إحدى ألعاب الطفولة.. تذكرتها وأنا ببيتك فجاءتني الفكرة بأن خانق الحشرات هذا قد يكون أسرع الأسلحة لإخافة الحيوانات في الغابة لأن كل الحيوانات ستخاف النار بلا شك لذلك طلبت من (عمران) إحضار عددًا لا بأس به من الخوانق والقداحات لتكون سلاحًا سريعًا بيدي في الغابة ، وينبغي أن تحتفظي معكِ أنتِ أيضًا بقداحة وإحدى عبوات الخانق.

ابتسامة ارتسمت على وجه (أوجين) ، ابتسامة افتقدها (كمال) كثيرا وسعد برؤيتها وهي تتمتم له في خجل قائلة:

- أنت رائع يا (كمال).

*****

(١١)

نظر (باسل) لساعته في ضيق وهو يمسح قطرات العرق عن جبينه وينظر لـ(ساجد) قائلًا:

- أتظننا سنجد الجدران؟

أجابه (ساجد) وهو يلتفت ليُلقي نظرة على (فاتن)و(وعد) وهما تسيران خلفهما ببطء قائلًا:

- الخيارات أمامنا ليست كثيرة وما نفعله الآن هو أفضل طريقة للبحث.

التفت (باسل) ليهتف بـ(وعد) قائلًا:

- إننا بغابة ولسنا في نزهة بأحد الشواطئ لذا فالأفضل أن تكونا بجوارنا وليس خلفنا.

أجابته (فاتن) وهي تضحك قائلة:

- لا تظن بأننا تعبنا أو أن أقدامنا تؤلمنا ولا نستطيع السير بسرعتكم ، إخترنا أن نكون خلفكم لنحمي ظهوركم.

صاح بها (ساجد) في حسم:

- دعي الدعابات الآن يا (فاتن) وتقدما لتكونا بجوارنا فالتعب قد نال منا جميعاً.

أجاب (باسل) بإبتسامة قائلًا:

- إن كنتِ لا تستطيعين السير يا (فاتن) وأردتِ التوقف للراحة قليلاً فلا مشكلة لدينا.

توقفت (وعد) عن السير محملقة في (باسل) ترمقه بدهشة من موجات الحنان التي عرفت طريقها لقلب أخيها بعد ظهورهم قبل أن تردف:

- أختك التي لم تسأل عنها تعبت أيضًا وليس (فاتن) وحدها!

صرخت (فاتن) وهي تركض بسرعة نحو شجرة تبعد عدَّة أمتار عنهم لتدور حولها صائحة:

- أعرف هذه الشجرة جيدًا ولا يمكن أن أخطئها أبدًا، نحن قريبون جدًا من الجدران.. إن لم نكن قد وصلنا للمكان الصحيح بالفعل.

تحرك الثلاثة نحو (فاتن) والشجرة التي جرت لتقف أمامها وهي تشير لنتوءات وحفر بجذع الشجرة السميك قائلة:

- حفرت هذه العلامات بيدي حين علمنا (كمال) كيفية حفر النتوءات بجذوع الأشجار لتكون كدرجات السلالم التي نضع أقدامنا عليها لنتسلق، قرّرت يومها أن أجرب بنفسي فانتهزت نوبة حراسة كانت لي مع (زياد) ليلًا وغافلته حين غفا وبدأت أجرب بنفسي.

سألها (باسل):

- ولماذا توقفتِ ولم تكملي الحفر أكثر؟

أجابته وهي تهز رأسها بأسى:

- اكتشفت أن يداي أضعف من أن تقوم بعمل كهذا.

رمقتهما (وعد) بنظرة عجب، لكن (ساجد) قاطعهما بحسمٍ قائلًا:

- إن كان ما قالته (فاتن) صحيح فنحن قريبون جدًا من الجدران.

قلق وشرود انتاب (وعد) .. هل ستنتهي الأيام الجميلة التي عاشتها بعد دقائق حين يجدوا الجدران ويجتمع (ساجد)و(فاتن)

برفاقهم، ويحمل (باسل) حقيبة الكتب التي يريدها لتعود الأيام لسابق عهدها فترجع مع (باسل) للبيت بدونهم ويختفي (ساجد) و(فاتن) من حياتهم ويعود الخواء الممل لحياتها من جديد؟! تمنت أن يكون ما قالته (فاتن) الآن مجرد أوهام لا أكثر ، وألاَّ يجدوا الجدران ليظل (ساجد) و(فاتن) معهم، أفاقت من شرودها على صرخة(فاتن) وهي تقفز في الهواء صائحة في فرح كطفلة وهي تشير نحو الجدران صارخة:

- وجدتها.

*****

كان البتَّار (وهبي) جالسًا بمكتبه في منظمة الغيث المطير يرمق بلا تركيز أوراقًا أمامه بانتظار وصول الشاهق (رئيف) ، دخل مدير المكتب بعد طرق الباب ليخبره بوصول الشاهق (رئيف) ، تهلل وجه (وهبي) وهو يشير لمدير مكتبه بإدخاله وإحضار القهوة له ولضيفه، ضغط بعدها أحد الأزرار على مكتبه ليضيء ضوء منع الدخول الآن.

صافح (رئيف) (وهبي) وجلس على مقعده في صمت ينتظر خروج الرجل وإغلاق الباب خلفه ليتمتم بعدها في زهو قائلًا:

- استدعائي هنا يعني أن لديك ما ترغب بسماع رأيي فيه.

ابتسم (وهبي) وهو يجيبه قائلًا:

- أردت أن أثرثر معك قليلًا بشأن ما فعله (هجشة).

---

*البتار *الشاهق *الساحق : رتب عسكرية بمملكة الهنالويا

- ألم ينسيك موت الشاهق (زعبوب) ثأرك معه.. أتريد الانتقام منه في شخص ابنه (هجشة)؟

زفر البتَّار (وهبي) في ضيق قائلًا:

- ليس انتقامًا كما تظن لكنها الخسة التي تطفح بها أفعاله لتؤكد بما لا يدع مجالًا للشك بأن (زعبوبًا) جديدًا في الطريق إن لم يكن أسوأ.

- لكن الفتى مجتهد بالفعل ونجح في تحقيق نجاحات وبناء سمعة جيدة خلال سنوات عمله.

- لا تتعمد استفزازي وإثارة غضبي يا (رئيف).. عن أي نجاحات تتحدث؟ أتسمي سرقة مجهود شهور للساحق (مهيب) نجاحات؟! إنه يطبق نفس أسلوب والده الرخيص بسرقة مجهود الآخرين ونسبته لنفسه ... حقًا من شابه أباه فما ظلم.

- الحقيقة أني أراه مجتهد وأرى رصيد أبيه الأسود وثأره معك هو مادفعك لقول هذا.

- وهل إعفاء الساحق (مهيب) من قيادة عملية الأفق الوردي وإحلال (هجشة) بدلًا منه يدخل ضمن رصيد أبيه الأسود معي أيضًا؟

- أنا لا أعلم شيئًا عن عملية الأفق الوردي هذه لكني أرى الأفضل بأن تظل بعيدًا مكتفيًا بالمشاهدة دون تدخل حتى لا يُفهم تدخلك على أنه قلب أسود يريد الإنتقام من الأب في شخص الابن.

- ولماذا لم تنظر للأمر على أنه إيقاف لـ(زعبوب) جديد قادم بكل أساليبه الممقوتة المرفوضة؟

- حسنًا.. لندع الحديث عن نظرتي للأمر جانباً وأخبرني بما حدث.

- فرصةٌ لا تعوض جاءتني حين طلب (هجشة) من قيادات الغيث المطير دعمه وحاجته الشديدة لأنثى من طراز فريد وهي الفرصة التي كنت أنتظرها وجاءتني لتطرق بابي فلم أضيعها وأرسلت له (ليزافيتا) لأدخل معهم اللعبة لكن ليس كطرف أصيل .

أطلق (رئيف) صفير دهشة سائلًا:

- (ليزافيتا) بذاتها.. أأرسلت له الأفعى الرقطاء؟!

- ومن غيرها يا عزيزي.

- ولماذا طلب أنثى من طراز فريد؟ وما حاجته لها؟

- بما أنك لم تسمع بعملية الأفق الوردي فدعني أحدثك عنها أولًا.. إنها عملية يعود الفضل فيها للساحق (مهيب) ، استطاع اكتشاف وجود عصابة تسمى السهم القرمزي بمملكة لاميتا نجحت في بناء سمعة ونفوذ جبار خلال زمن بسيط بصورة مذهلة فاقت التوقعات، ظلّ (مهيب) يبحث في الأمر حتى عرف السر وراء هذا وأن ما حدث تم بسرقة جهاز متطور للغاية اكتشفه أحد العلماء ونجحت تلك العصابة بالسطو على الجهاز واستخدامه لصالحهم بالسفر لكواكب أخرى وإحضار مقاتلين مرتزقة وتكوين جيوش بلا ثمن تسيدوا بهم الوضع تماماً.

- اكتشاف مذهل بالفعل.

- ولأنهم حفنة من رجال العصابات ضيقو الفكر محدودو الأفق فقد قصروا الاستفادة من اختراع عظيم كهذا على الاكتفاء بإحضار المرتزقة فقط.

- وماذا فعلتم أنتم حين علمتم بالأمر؟

- بدأت في الحال عملية الأفق الوردي وتم رصد ميزانية ضخمة لها وتكليف فريق متخصص لإنهائها بعد أن رأوا أن العبث بعينه هو ترك جهاز عظيم كالمسافر الأيوني هذا بيد حفنة من رجال العصابات وليس الغيث المطير.

- لم تخبرني حتى الآن لماذا طلب (هجشة) أنثى من طراز فريد؟

- بعد أن درس (هجشة) كل شيء بدقة عن السهم القرمزي وجد أنه بوجود أنثى بارعة الجمال فائقة الحسن سيكون من السهل اليسير اقتحام السهم القرمزي من باب (برهان) أحد أهم قياداتهم.

- وهل سافرت (ليزافيتا) لهناك فعلًا؟

- باستخدام سمعتنا الرائعة وكوننا مملكة الهنالويا وما نملكه من عظماء في كل المجالات ، همس أحد الخبثاء ممن زرعناهم لدى (برهان) بأن استقدام طبيب أو طبيبة ماهرة من مملكة الهنالويا سيكون الحل الأفضل لعلاج عالم كبير بحجم السيد (تقي) ، ولن تعرف سلطات مملكة لاميتا بالأمر لأن العلاج لن يتم لديهم بل لدي السهم القرمزي وأن دفع الأموال سيكون كفيلًا بإخراس من يأتي ، وإن لم تخرسه الأموال فتهديدات عصابة كالسهم القرمزي ستجعله ينسي كل شئ طواعية.

- وهكذا نجحتم بإدخال (ليزافيتا) إلى داخل السهم القرمزي.

- سافرت (ليزافيتا) لمملكة لاميتا كطبيبة ماهرة متخصصة في علاج الحالات الحرجة برفقة فريقها المعاون وبينهم طبيب بالفعل لتقوم هناك بعلاج السيد (تقي الدين) مخترع المسافر الأيوني ، وذلك بعد أن أجلسناها لفترة كافية مع أطباء ليمنحوها خبرة الحديث في الأمور الطبية بشكل لا يثير معه حديثها أي شبهات.

- وهل سقط الأغبياء في الفخ ؟

- تعلم بأننا محترفون ولسنا حفنة من رجال العصابات ممن يظنون الحياة قتل وإطلاق رصاص ، الفارق بيننا وبينهم كبير ولا مجال للمقارنة.

- ممتاز وكل شيء يسير إلى الآن بشكل رائع.

- فرصة الانتقام جاءتني على طبقٍ من ذهب لتطرق بابي دون أن أطلبها، (هجشة) بذاته هو من أهداني إياها حين تحامق وأصر على مطاردة (مجيد) ابن السيد (تقي) مطاردة رهيبة أودت بحياته وهو ما قلب الأمور تمامًا فقامت الدنيا ولم تقعد ، غضب كبار الغيث المطير لأنهم يريدون للسيد (تقي) - كعالم كبير غزير العلم - أن يأتي للعيش بمملكة الهنالويا ليفيدنا بما لديه من علم وليس كمخترع لجهاز المسافر الأيوني فقط.

- يا له من حظ!!

- ما حدث كان الثغرة التي استطعت أن أنفذ منها لأوجه لـ(هجشة) صفعة من العيار الثقيل كنت أتمنى أن أوجه مثلها لأبيه.

- دع الحديث عن الصفعات الآن واروي لي ماذا فعلت وماذا حدث.

- همست لقيادات الغيث المطير بأن ما حدث مصيبة فكيف نريد من الرجل الانضمام للغيث المطير وقد قتلنا ابنه ، كلماتي أقنعتهم ونالت القبول لديهم فصدر الأمر بإعفاء (هجشة) من إدارة المهمة وتكليف (ليزافيتا) بتولى قيادة المهمة بدلًا منه.

قطب (رئيف) حاجبيه ناظرًا لـ(وهبي) قبل أن يردف:

- سيكون أول ما يفعله بعد عودته هو البحث لمعرفة من كان السبب وراء ما حدث ، وعندها سيعرف بأنك من كنت وراء إعفائه من المهمة.

- لا أخشاه ولا يهمني كثيرًا فقد عاد ليوم واحد حصل فيه على إجازة مفتوحة ثم اختفى.

- وما الذي يعنيه هذا برأيك؟

- لا أعرف.. أظنه يحاول أن ينسى تلك الصدمة المحبطة.

- أمّا أنا فأظنه لم ولن يقبل بشرب ما سقاه لغيره وسيعود في الخفاء لهناك من جديد ليفشل المهمة وليثبت للجميع أن إعفاءه كان أكبر خطأ ارتكبه الغيث المطير.

- لا أظنه أحمق ليُلقي بنفسه في عداء مع الأفعى الرقطاء.

- دعني أخبرك بأن (هجشة) ليس ذاك الغبي الأحمق ، وأنه يتمتع بقدرٍ عالٍ من الذكاء والدهاء ، وأنك لا بد أن تجد طريقة سريعة لدعم أفعاك حتى لا تكون قد أرسلتها دون أن تدري لمهمتها الأخيرة.

*****

لم يخطر ببالي للحظة واحدة أن تدخر لي أقداري كل هذا ، سنوات كاملة مضت عليَّ متشابهة كيوم واحد متكرر، لا فرق بين الأمس واليوم والغد ، لا أرى فيها وجوهًا سوى من يقومون على خدمتي أنا و(باسل)، إن زارنا أحد فهو الجدُّ (سعدون) ، ولا أجد من يمكنني الحديث معه غير أخي ، كل هذا تغير فجأة وكأن عاصفة قد هبت عليَّ لتنتزعني من الأمان التام إلى غموض المجهول!

الجميع جرى نحو الجدران بعد صرخات (فاتن) ليجدوها وقد صارت أطلال بلا حياة ، ظلوا يبحثون ويفتشون ويصرخون رافعين أصواتهم بالنداء بلا مجيب ، ضرب اليأس (ساجد) و(فاتن) بسهامه الصائبة فبدوا وكأنهما قد فقدا الرغبة في الحياة ذاتها وليس الكلام، (فاتن) التي كانت تصرخ في فرح منذ دقائق انطلقت في البكاء والصراخ متسائلة:

- هل أكلتهم الوحوش؟ هل رحلوا؟ هل أصابهم مكروه؟!

لم يجبها (ساجد)، بل لزم صمتًا حزينًا كالعائد من دفن عزيز، حتى أخي (باسل) أصابته سهام اليأس مثلهما تمامًا ، وإن كنت لا أعرف أي السهام هو ما أصابه.. أهو الحزن عليهما وعلى خيبتهما في الوصول لرفاقهما ، أم الحزن على خيبته في الوصول لحقيبة الكتب التي كان يبحث عنها؟ ليست شماتة وإنما فرحة انتابتني حاولت قدر استطاعتي إخفاءها احترامًا لمشاعرهما فما حدث هو ما كنت أحلم به، سنعود للمنزل بعد قليل ونودِّع البحث بالغابة بلا عودة لها ثانيةً، وسيبقى أمامي أمر واحد فقط هو إقناع (فاتن) و(ساجد) بأن يمكثا معنا إلي أن تحين لحظة العودة لبيت الجدّ (سعدون) أو بيت السراديب كما يسميه (باسل).

طارت فرحتي ولم تدم كثيرًا وأنا أجد الشباك تُلقى فوقي أنا و(فاتن) كفرائس تم اصطيادها ، صرخت طالبة النجدة من (باسل) و(ساجد) لأجدهما داخل شبكة أخرى لا تبعد عنا كثيرًا ، تعجبت أين "ذاهل٣" و"السلاح الشبكي" ليتم اصطيادنا هكذا! تم رفع الشباك عنا وتقييدنا، ولم أفهم ماذا قصد كبيرهم الغامض وهو يخبر من يحادثه عبر الهاتف قائلًا : "أحضرت الصيد الثمين".

ظللت أفكر طوال الطريق الطويل الذي لم أكن أعرف أين سينتهي بنا داخل الغابة المَشْؤومة حتى وصلنا أخيرًا لما يطلقون عليه القلعة المدفونة ، المفاجأة كانت هذه المرة من نصيب (فاتن) و(ساجد) حين وجدا رفاقهما هناك لتبدأ وصلات من الحب والعناق والقبلات والضحكات ، المفاجأة الأجمل كانت في فهمي لحديثهم وما يقولون بعد أن أصر (باسل) على إعطائي أنا أيضًا جهاز ناقل اللغات وما تعلمته بالفعل من لغتهم خلال الفترة الماضية.

حاصرتنا نظرات الفضول عند قدومنا مع (ساجد) و (فاتن)، لكن (ساجد) أخبرهم بألا يقلقوا منا وأننا أناس طيبون ساعدناهم كثيرًا، إلتفت أحدهم ليخبرنا هامسًا بأن نجيب عند السؤال بأننا أرضيون مثلهم وقدمنا معهم. بدأت أحاول حفظ أسمائهم أنا و(باسل) كما فعلوا هم أيضًا، خرج (باسل) بالمفاجأة التي كان يخفيها فحادثهم بلغتهم ليخبرهم بأن الأفضل لنا جميعًا الحديث بلغتهم فهكذا لن يفهمنا أحد منهم إن استمع لحديثنا.

ثلاثة أيام مضت لم نترك الحديث بلغتهم ، بل اختار (باسل) الحديث معي أيضًا بلغتهم وهو يهمس لي بأن لديه شكوك كبيرة بأننا مراقبون ، وأن مكان فخم كهذا لن يخلو من وسائل مراقبة خافية تراقبنا وترصد كل حركة لنا ، وأنه يبدو أن هناك لعبة كبيرة تحاك ولا أحد يفهمها. شرح لنا الرفاق الثلاثة السبب الحقيقي وراء وجودنا هنا والعرض المقدم إليهم للتفكير فيه لقبول التعاون معهم في عملية الانتقام أو التهديد بالرمي بنا معهم خارج القلعة المدفونة في حال الرفض لنكون عشاءً للوحوش.

استمع (باسل) لهم وفضل عدم إبداء الرأي وفضلوا هم أيضًا تركه دون سؤال عن أي الفريقين سيختار ، أن يكون مع (همَّاس) الرافض أم (زياد) المرحب ، أمَّا (أوَّاب) الحائر والذي لم نعرف أي الفريقين سيختار فتارة يتحدث بحماسة بأنه لن يفعل هذا أبدًا ، وتارة أخرى يقول بأن الضرورات تبيح المحظورات.

أُطفِأت أضواء الغرفة فجأة ليسود الظلام التام إلا من ضوء أرجواني خافت متراقص ، انسدل بعدها ما يشبه الستار الزجاجي الشفاف ليتحول لما يشبه شاشة عرض كبيرة بمساحة الجدار بأكمله ليظهر بالصورة رجل أنيق للغاية يرتدي بزَّة فاخرة ليرحب بنا بوجه باسم وهو يعرفنا بأنه السيد (صامد) وليتمتم بكلمات رقيقة للترحيب بالوافدين الجدد وأمنياته لـ(همَّاس) و(زياد) و(أوَّاب) بأن يكون قدومنا لهم قد أسعدهم.

أنهى الرجل عبارات الترحيب ليسأل السؤال الأهم عن رأينا نحن أيضًا على اعتبار أنهم قد أخبرونا بالأمر إن كنا رفاقهم حقًا كما نقول، وهل سنقبل بالتعاون معه كـ(زياد) أم سيفتح لنا أبواب القلعة المدفونة مع الرافضين للمغادرة ، وأنه ليس أسهل من إحضار أرضيين آخرين يقبلون بما رفضناه نحن.

أجابه (زياد) في الحال بقبوله بالأمر وأنه سيُنهي المطلوب منه ليعود بأطنان الذهب التي سيُنهي بها جميع مشاكله ، وهنا ظهرت أولى المفاجآت بانضمام (ساجد) و(فاتن) لـ(زياد) ، صفق الرجل وابتسامته تزداد اتساعًا وهو يسأل بدهاء:

- وماذا عن الباقين؟ أحب أن أعرف رأي الجميع.

تحرك (همَّاس) نحو شاشة الجدار ليقف أمامها مباشرةً قائلًا:

- رأيي لم يتغير ولن ألوث يدي بالدماء وإن كانت حياتي ذاتها هي الثمن.

ابتسم (صامد) قبل أن يسأله:

- أهو رأي قاطع أم أنك بحاجة لمزيد من الوقت لتفكر؟ إن كان الأمر كذلك فلا مشكلة لدينا بمنحك المزيد من الوقت للتفكير أكثر.

هبَّ (أوَّاب) في الحال قائلًا:

- الصواب هو ما قلت فأمر كهذا يحتاج بلا شك للتأني والمزيد من التفكير.

ابتسم (صامد) وهو يجيب قائلًا:

- إن كنتم تريدون هذا فلا مشكلة لديّ وسأمنح الرافضين أسبوعاً آخر للتفكير لأننا نريدكم جميعًا معنا.

صاح (همَّاس) بحسم قائلًا:

- احتفظ بسخائك اللعين لنفسك ولا تهدر وقتك معي فرفضي قاطع لن يتغير.

- نشكر لك سيد (همَّاس) أن أوضحت لنا رأيك القاطع ورفضك التعاون معنا، وسنفتح لك الباب بعد قليل لتغادر ، وسنعد لك بعض الطعام لتحمله معك مع أمنياتنا لك بالتوفيق في رحلتك بالغابة المَشْؤومة.

- ومن أخبرك بأني سأغادر دون رفاقي؟

- لست بحاجة لأن يخبرني أحد لأن هذا هو ما سيحدث فوجودك معنا هنا قد انتهى.

- لن أخرج ... حاول إخراجي بالقوة إن استطعت.

فُتِح الباب ليدخل أربعة رجال أشداء نحو (همَّاس) الذي وثب ليحمل أولهم ويُلقي به، لكن الضوء الأرجواني الخافت أُطفأ ليسود المكان ظلام تام مع صوتٍ عالٍ غريب لم يفهمه أحد ورائحة خانقة غريبة بدأت تسود المكان لتبدأ معها موجات السعال.

*****

جرى الاجتماع بين (هجشة) ورجاله بلا نقاش وإصغاء للآراء كما هي عادة الاجتماعات بل سارت الأمور في اتجاه واحد بأن يبلغهم بما عقد العزم عليه وخطته القادمة:

- سنترك الأفعى تزحف وتتلوى في زهوٍ كما تشاء لتمارس دورها الذي طلبناها لأجله وتتغلغل في أعماق السهم القرمزي إلى أن يحين الموعد المرتقب بوضع النهاية المناسبة لها ، وكلكم تعرفون كيف تكون دومًا نهايات الأفاعي.

(ليزافيتا) تمسك بيدها أهم خيوط اللعبة ، العثور على المسافر الأيوني والسيد (تقي الدين) مخترع الجهاز ، سنتركها لتتقدم كما تشاء في مسارها تحت رقابتنا ودون أن تغيب عن أعيننا فخطتنا كلها مبنية على ما ستحققه هي من نجاحات ، النجاح المبهر سيكون بالعثور على المسافر الأيوني والسيد (تقي) معًا ، وساعتها سنبيع الاثنين ونحصد أموالًا لا تُحصى، ولديّ بالفعل قوائم من طالبي شراء الجهاز والرجل بأسعار غير قابلة للتصديق ، سنبيع الاثنين أو من سننجح في الحصول عليه منهما سواء أكان الجهاز أم الرجل ، لننتقل للخطوة التالية وهي تصفية الحساب معها فليس (هجشة) بمن ينسى ثأره أبدًا.

سنبدأ بالتخلص من أعوانها المخلصين تدريجيًا دون شكوك فالقضاء عليها سيكون أسهل بأعوان أقل ، سنعد لها بعدها قضية خيانة

محكمة ومعدّة بإتقان ، ستحاكم بها أمام الغيث المطير لبيعها المسافر الأيوني وحصد مبالغ طائلة لحسابها ، وسنسبقها بالطبع بإيداع جزء من المبالغ التي سنحصل عليها بحسابها لنزيد من إحكام القضية.

أنهى (هجشة) اجتماعه بالرجال بتوزيع الأدوار، أشار لمجموعة منهم قائلًا:

- أنتم الفريق الأول والأخطر المختص بمراقبة ومتابعة كل ما يخص الأفعى دون أن تشعر ولأعلم بكل شيء أولًا بأول ، أريد أن أعرف عدد أنفاس الشهيق والزفير التي تتنفسها ، ولندعها تكمل دور الطبيب الماهر مع (برهان) لتقوم لنا دون أن تدري بما نريد وهي تظن نفسها الأذكى ، الفريق الثاني سيقلب الغابة رأسًا على عقب حتى يعثر على (رحيق) ابنة السيد (تقي الدين) فلا بد أن تجدوا لي هذه الفتاة بأي شكل إن كانت حية خاصةً وقد كنا على وشك الإمساك بها بالفعل لولا ظهور ملاعين الشينادونج المتوحشين ليفسدوا علينا كل شيء ، الفريق الثالث سيقوم بأيسر المهام فيجد لي (ماوية) أينما كانت سواء بالغابة أو بأي مكانٍ آخر ، العثور عليها سيكون سهلًا مع تلك الساعة التي أعطيناها لها ، ستقبضون عليها وتحضرونها لي حية فوجودها ضروري لنعرف منها أولاً أين اختفت (رحيق) ولنستفيد منها ضمن الشهود لحبك قضية الخيانة ضد الأفعى الرقطاء ، ستعطينا الشهادة التي نريدها ولن تتأخر أو ترفض لأن معنا مفتاحها وستفعل أي شيء يُطلب منها للحفاظ على ابنتها.

*****

(١٢)

أرسل (بركات) (كوثر) للقلعة المدفونة ولم يحضرها بنفسه لكلمات (جسَّار) التي لم تغادر أذنيه بأن لا قدوم له أو لقاء به قبل أن يجد (رحيق) ، رمقها (جسَّار) بحالة الإنهيار والإعياء التي عليها ولا حديث لها سوى عن ابنتها وأنها لا تريد شيئاً سواها ، لتصرخ كل حين :

- أحضروا لي ابنتي فقط ... لا أريد الهدية أو مكافأة الهروب أو أي شئ .. أريد ابنتي فقط.

أصغى لها (جسَّار) وقد ذكَّره حالها وبؤسها بأيام لا تُنسى عاشها لاتغيب عن باله ، ظلّ صامتًا يُصغي لكلماتها الممزوجة بالبكاء حتي أنهت كل ما أرادت قوله فرفع عينيه إليها بنظرة جادة قائلًا:

- كل ما قلتيه الآن هراء وإهدار وقت ولا يستحق السماع ، ولولا شفقتي عليكِ ما تركتك تكملين ، عن أي هدية ومكافأة تتحدثين أيتها الحمقاء! أنتِ تستحقين العقاب وليس المكافأة بعد أن زدتِ الموقف سوءًا وتعقيداً بضياع (رحيق).

- اسأل رجالك لتتأكد بأن الأمر كان أكبر منا.

- لا حاجة بي لسؤال أحد فأنا أعرف ما حدث جيدًا ولأنني أعرف هذا فأنتِ مازلتِ حية تقفين أمامي الآن.

- أريد ابنتي ... فلا قيمة لحياتي بدونها.

- كفي عن البكاء والنواح ، أفهم مشاعرك كأم لكننا لانعلم عنها شيئًا حتى الآن ، أعدك إن ظهرت أمامي بأن أحضرها لكِ لكن حتى ذلك

الحين فستبقين معنا بهدوء لأنكِ هاربة وسلطات لاميتا تبحث عنكِ، ونحن لا نريد ترك ثغرة لأي مشاكل جديدة تُفتح علينا.. هل فهمتِ؟

- هل أثق بوعدك بأن تحضرها لي؟

- رجالي يفتشون الغابة شبرًا شبرًا وسيحضرونها في الحال إن ظهرت أمامهم وستبقين بضيافتنا بلا ضوضاء بكاء أو نواح حتي لا أضطر لإخراسك وإنهاء ضوضائك برصاصة بلا قيمة .

صمتت (كوثر) وقد فهمت رسالته جيدًا فخبرات سنوات عمرها جعلتها تدرك جيدًا أن مثل هذا الرجل ومن على شاكلته بعيدون كل البعد عن سعة الصدر وطول البال. غادرت (كوثر) المكان ليتم وضعها بإحدى الغرف البعيدة ، دلف بعدها (صامد) ليسأل والده قائلًا:

- لم أفهم كيف ستسير الأمور مع (همَّاس)؟

أجابه (جسَّار) قائلًا:

- (همَّاس) هام جدًا لنا ، وكان من المستحيل إبقاؤه مع حالة الرفض والتحدي التي كان عليها ، وقد رأيت بنفسك كيف قام ليشتبك مع الرجال، ولولا سيطرتنا علي الأمر بإطفاء الأضواء وإطلاق الغاز المخدر بسرعة لأضفنا لضحاياه أسماءً جديدة .

- ماذا سنفعل معه؟

- سنعرض على رفاقه الفيلم القصير الذي صورناه له بعد أن أفاق بالغابة، وكيف أنه كان يتحرك وهو سليم معافى ومعه راحلته وبها الطعام والشراب الذي زودناه بهم ، ليعرفوا بأننا نفعل ما نريد نحن وليس ما يريدون هم ، لقد فضل الخروج للغابة على التعاون معنا فكنا الأوسع صدرًا واستحضرنا روح المسامحة فأكرمنا ضيافته وحققنا له ما أراد ولم نعاقبه ، سيدركون هذا وهم يشاهدون الفيلم القصير الذي

ستعرضه عليهم في لقاءك القادم بهم ، وهذا سيقفز بالأمور داخل عقولهم نحو ما أردناه منهم ، وأن ليس أمامهم سوى التعاون وتنفيذ ما أردناه حتى لا يكون لهم نفس مصير (همَّاس).

- سيفضحنا بصوته الهادر وهو لا يكف عن الصراخ والصياح بصوتٍ يهز الجبال ، أخشى أن يسمع أحدهم صياحه فيعرفون بأنه حبيس لدينا فتنهار مصداقيتنا لديهم.

- لدينا غرف صغيرة كنا نستخدمها كمخزن للحطب بجوار كهف الأسرار ، انقل (همَّاس) و (كوثر) لهناك في غرفتين منفصلتين ، قدِّم لـ(كوثر) طعامًا جيدًا واتركها بلا قيود ، ومُرِ الرجال بأن يذيقوا (همَّاس) سوء المعاملة وشظف العيش ليعرف كم كنا كرماء معه.

- وهل نضاعف الحراسات حولهم هناك؟

- لا أرى داعٍ لذلك فالمكان هناك موحش خطير ولا أحد يفكر في الذهاب هناك خوفًا على روحه، (كوثر) مسكينة وأنا متعاطف معها ، مُرِ الرجال بأن يحسنوا معاملتها.

- و(همَّاس)؟

- أريده مقيدًا لا يستطيع الحركة إلا في أضيق الحدود، وأريد لحياته أن تتشح بالسواد ، قدموا له أسوأ الطعام وستحرمه القيود من التمارين التي كان يؤديها ولا أريده أن يهنأ بنوم ، أعدوا المكان بطريقة لا يستطيع النوم فيها سوى جالسًا ليتجرع كؤُوْس الندم قطرة قطرة ويصير الموت أمنية غالية يتمناها ولا ينالها ، وليظل على هذه الحال بجسد منهك محروم من الطعام والنوم يلعن اليوم الذي أغضبنا ولم يقبل التعاون معنا بغبائه وإصراره على مَبَادِئه.

- أتظن هذا قد يجعله يراجع نفسه؟

- المهم ألاَّ يعرف بأننا من نذيقه هذا إلي أن يأتي اليوم الذي نخلصه من العذاب ومن الأشرار الذين فعلوا به هذا ليبدو الأمر وكأننا نحن من أنقذناه ، وعندها سيراجع نفسه ويعرف بأنه اختار الطريق الخاطئ ، وسيطلب الانضمام لنا والعودة لرفاقه.

- تبهرني أفكارك وخططك الرائعة.

- أخبرني ماذا فعلت مع الباقين؟ وكيف جرى اللقاء الذي عقدته معهم؟

- شرحت لهم المطلوب وأمهلتهم أسبوعًا كاملًا ليفكروا لأسمع منهم في نهاية هذا الأسبوع ما لديهم من أفكار، وهل ذكاؤُهم سيقدم لنا أفكارًا جيدة وجديدة للانتقام.

- قدم لهم أفضل معاملة ، نريدهم أن يشعروا بأنهم قد صاروا رجالنا فهذا أمر هام لإخراج كل ما لديهم.

- جعلت الغرفة التي كانوا بها غرفة اجتماعاتهم، وأفرغت لهم غرفًا جديدة ليسكنوا بها بعد أن إختلف الأمر بظهور الفتيات.

- حسنًا فعلت ، وإن كنت لا أدري أي غباء تملك (راجي) ليحضر فتيات !!

- لابد أن نسب ذكائهن مبهرة لم يستطع تجاهلها.

همَّ (صامد) بالخروج مغادرًا لكنه عاد من جديد ليسأل:

- (شلهوب) أصبح لا يظهر بيننا كثيرًا فما السبب؟ هل كلفته بأمرٍ لا أعلمه؟

- أجل.. فالأرضيون عددهم قليل لتنفيذ انتقامي ، وكنت أظن (راجي) سيحضر لي عشرين أو ثلاثين رجلًا فإذا به يحضر لي ستة أرضيين بينهم فتاتين، والوضع هكذا محبط ولا يرتقي للانتقام الذي أريده ،

وأظنني سأحتاج لأرضيين جُدد لذا أحضرت جهاز المسافر الأيوني الآخر الذي كان لديّ وطلبت من (شلهوب) كرجل علم وأحد من كانوا ضمن فريق تطويره بأن يشحذ ذكاءه ويعتصر ذاكرته ويفعل المستحيل لإعادة الجهاز لوضعه الأصلي قبل تلاعب السيد (تقي) به وتغيير برمجته.

- وهل قبل (شلهوب)؟

- حاول الاعتذار أولًا وأنا أعلم جيدًا بأن المهمة ثقيلة وصعبة عليه لكنه أمام إصراري وعدني بأن يحاول، وأنا فتحت له باب الاتصال بأسرته من جديد لأضعه بحالة نفسية جيدة على أمل أن ينجح بفعلها بعد فقدنا للمسافر الأيوني الأصلي.

- أما زال لديك أمل بأن نجد الجهاز أو (راجي)؟

- (بركات) ماكث بالغابة لا يغادرها يبحث هو ورجاله عن (رحيق)، ومن يدري فقد يجد (راجي) والمسافر الأيوني أثناء بحثه ، وقد يجد (أوجين) ابنة (كوثر) أو أرضيين آخرين خاصةً وأنهم قالوا بأن عددهم أكثر من ذلك.

- أيعني هذا بأن أترك (شلهوب) ولا أطلب منه أي شيء؟

- دع له الوقت فلو فعلها ونجح بإعادة المسافر الأيوني لوضعه الأصلي فسيكون قد وثب بنا للأمام كثيرًا بعد ضياع المسافر الأصلي الوحيد لدينا.

طرقات على الباب قطعت حديثهما ، دلف أحد الرجال للغرفة ليخبر (جسَّار) بأن السيد (بركات) بالخارج ويطلب لقاءه ، قطَّب (جسَّار) حاجبيه فحضور (بركات) إليه لا يعني سوى أنه قد استطاع العثور على (رحيق).

*****

بدأ (كمال) بفك الحبل الذي ربط به نفسه بالشجرة حتى لا يسقط ، التفت ليرمق (أوجين) وهي تفك نفسها هي الأخرى سائلة:

- أرهقتك معي كثيرًا طوال الأيام الماضية.. إلى متى سنبقى هكذا؟

- وهل شكوت لكِ ضيقي أو إحساسي بالتعب.. لا أريد سماع هذا ثانيةً من فضلك.

- الأيام تمضي بنا بلا جديد ولم أجد أمي أو أعرف إن كانت حية أم لا ، أخشى الذهاب لبيتنا وقد صار خطرًا شديدًا بمراقبة سلطات لاميتا للبيت للقبض على الهاربات.

- كلها أمور مؤقتة لن تستمر طويلًا ، ستضعف الحراسات بعد فترة وستزهد السلطات مع الوقت في العثور على والدتك ، لكن اخبريني أولًا إلى أين كانت أمك تنوي الذهاب بعد نجاح عملية الهرب؟

- لا أعلم فأمي ليست ممن يكشفون كل الأوراق ، أظنها كانت ستتقاضى ثروة كنا سنغادر بها لاميتا لنبدأ حياة جديدة بمكان جديد بعيداً عن الخطر بلا ماضٍ يطاردها أو خوف من سلطاتٍ تبحث عنها.

- أزداد قناعةً كل يوم بأن والدتك امرأة حكيمة وما كانت تنويه هو الصواب بعينه ولو كنت مكانها لما فعلت غير هذا.

- أتتزوجني يا (كمال)؟

هزَّ (كمال) رأسه ضاحكًا وهو يقول:

- يبدو أن عبث الحشرات بأذني أثناء النوم فوق الشجر قد أتلفها فَبِتُ أسمع أشياء غريبة.

- سألتك ولم تجبني.. فهل أعتبر هذا رفضًا؟

حدَّق (كمال) بها سائلًا:

- أتعنين بأن ما سمعته الآن كان صحيحًا وليس وهمًا أو سخرية؟

- بالطبع صحيح ولو كانت والدتي معي وكنا نعرف والداك لما ترددت لحظة في اصطحابها والقدوم لمنزلكم لطلب الزواج بك.

أطلق (كمال) صوتًا نابيًا وهو يقول:

- تريدين أن تطلبي يدي من أمي وأبي!!

- أجل وعن قناعة.

- أجننتِ يا فتاة؟ أم أن العيش في الغابة والنوم فوق الأشجار قد ذهب بعقلك؟!

- لم أجن ولا أدري ما الذي دفعك لقول هذا.

- مكانتك وقيمتك الكبيرة عندي يا (أوجين) لا تعطيك الحق أبدًا في السخرية مني.

- وما السخرية فيما أقول؟! إن كنت ترفض طلبي أو لا تقبل بالزواج بي فهذا حقك بلا حاجة لأي خجل أو اعتذار وسأكون متفهمة لهذا تمامًا إن كانت هذه رغبتك.

ضرب (كمال) كفًا بكف وهو يصيح قائلًا:

- الصبر يا رب.

نظرت له (أوجين) بدهشة سائلة:

- إلى هذه الدرجة أثار طلبي ضيقك وسخطك؟

زفر (كمال) زفرة ضيق طويلة وهو يجيبها قائلًا:

- أجل.. أثار طلبك ضيقي وسخطي فما أعرفه هو أنني أنا من لا بد أن يفعل هذا لأنني الرجل.

نظرت له (أوجين) وهي تهز رأسها في دهشة قائلة:

- أي سخف هذا ؟ وما علاقة طلب الزواج بجنس الطالب وكونه الرجل أو المرأة؟ من يشعر بالحب يطلب الزواج ممن يحبه ليتشاركا الحياة معًا إن تم القبول .. ما الفارق إن كان الطالب الرجل أم المرأة؟!

ذهول ارتسم في عيون (كمال) وهو يردف قائلًا:

- أتعنين بأن من يحب أحداً لديكم يمكنه أن يطلب الزواج ممن يحبه مباشرةً رجل كان أم امرأة؟ أهكذا تسير الأمور لديكم هنا في لاميتا؟

- أجل.

قطب (كمال) حاجبيه في ذهول قائلًا:

- لم أتخيل وجود شيء كهذا أو يخطر ببالي من قبل ، لكنه أمر شديد الروعة لأنني سأكون متأكدًا بأن ليس هناك من تحبني وتريدني وتخفي في قلبها دون أن أعلم.

- لكنك لم تخبرني برأيك إلي الآن .. هل تقبل بزواجنا أم لا؟ أم تحتاج وقتًا أكثر للتفكير؟

لم يستطع (كمال) أن يجيبها لأن سهمًا فائق السرعة مضى مخترقًا الهواء أمامه ليستقر بظهرها مع صرخة عالية أطلقتها وهي تسقط على الأرض أشعرته معها بأن السهم قد انغرس في قلبه هو.

*****

اجتمع (هجشة) برجاله ليطلعوه على آخر ما وصلت إليه الأمور، أشار لأحد رجال الفريق الأول فوقف الرجل ليخبره بأن مراقبة الأفعى الرقطاء تسير على قدم وساق ، وأن كل شيء تفعله أو يحدث لها تحت المراقبة، وأنهم نجحوا بعقد صداقات مع بعض رجال السهم القرمزي

جعلت رؤيتهم للصورة أوسع ، وأن نجاح (ليزافيتا) في مهمتها يزداد يومًا بعد يوم بفضل جمالها المبهر الذي كان جواز المرور لقلوب وألسنة رجال السهم القرمزي بطريقة نالت بها ثقتهم وصارت مقربة من الجميع، حتى أن أحد كبار السهم القرمزي قد طلب لقاءها بحجة التداوي بعد ما سمعه عن جمالها وفتنتها ، وأن قربها من رجال السهم القرمزي لم يشغلها عن مهمتها مع السيد (تقي) فاقتربت منه بطريقة باتت تشير بأن نجاحها في خطفه من بين أيديهم صار وشيكًا.

هزَّ (هجشة) رأسه في رضا قائلًا:

- هذا جيد، وستبقى خطتنا بشأنها كما هي بلا تغيير ، لنترك الأفعى تزحف وتتلوى في ثقة كما يحلو لها وتتقرب من السيد (تقي) حتى تخطفه لنا وهي لا تدري بأنها تخطو خطواتها الأخيرة نحو نهايتها والرصاصة التي ستفجر رأسها.

أشار بعدها لقائد المجموعة التالية ليتحدث فوقف الرجل قائلًا:

- قلبنا الغابة شبرًا شبرًا ولم نجد (رحيق)، ذهبنا بعدها للبحث في بيتها وبين أقاربها وأصدقائها ومعارفها بلا أثر ، وغالب الظن بأن الفتاة قد ماتت والتهمتها وحوش الغابة حية أو ميتة.

ارتسم الضيق على وجه (هجشة) وهو يشير لقائد الفريق الثالث ليتحدث، فأجابه الرجل بأنهم لم يجدوا (ماوية) بأي مكان لا بالغابة ولا بيتها فقرروا تعقبها بالساعة التي كانت بيدها كما كان الاتفاق معها ، وأن التعقب قادهم لمكان بعيد معزول يقف عليه رجلان فقط للحراسة ، وعندما قتلوهم ودخلوا للمكان لم يجدوا (ماوية) هناك، بل وجدوا الساعة بيد امرأة أخرى عرفوا فيما بعد أنها السجينة (كوثر) قائدة عملية الهروب التي حاكتها ورسمت خطتها ونفذتها ، حاولوا

الحصول منها على معلومات أكثر لكنها كانت في حالة يأس شديدة وبكاء لا ينقطع على ابنتها التي فقدتها ولم تصل إليها ولا أحد يدري إن كان الشينادونج قد أكلوها أم لا.

التفت (هجشة) إليهم سائلًا:

- وماذا فعلتم مع أعوان (ليزافيتا)؟

أجابه رئيس الفريق الثاني قائلًا:

- تخلصنا من ثلاثة منهم بلا ذرة من شبهة أو شك ، وإن كان هذا قد تطلب منا أن يموت معهم آخرين أبرياء ليبدو الأمر وكأنه حادث عابر وغير موجه لأحد فلا يثير الشبهات لديها أو لدى سلطات لاميتا.

رفع أحد الرجال يده طالبًا الحديث فأشار له (هجشة) بالموافقة فنهض الرجل قائلًا:

- أثناء بحثنا في الغابة عن (رحيق) وجدنا رجل وامرأة أثار وجودهما بهذا المكان الخطر الشبهات لدينا فأمسكنا بهما لعلّنا نجد لديهما ما يفيد في العثور على (رحيق) أو (ماوية) ، وإن لم نجد منهما فائدة فليس أسهل من إلقائهما بالغابة من جديد.

هزّ (هجشة) رأسه بالتأييد سائلًا:

- وأين هما؟

- احتجزتهما بمقرنا الخفي.

- لكن المكان هناك صغير!

- وضعتهما في غرفة ووضعت (كوثر) والرجل الذي معها في غرفة أخرى.

هزّ (هجشة) رأسه في دهشة سائلًا:

- أي رجل تقصد؟

- أسير وجدناه محبوسًا مع (كوثر) بنفس المكان لكن بغرفة أخرى ، كان مقيدًا بشدة وبحال سيئة ولا يرغب في الحديث مع أحد.

صمت (هجشة) لثواني يفكر قبل أن يردف قائلًا:

- وجوده مع (كوثر) بذات المكان ليس صدفة، ولا يعني سوى أن وراء هذا الرجل أمرًا ما يخص السهم القرمزي ولا بد أن أعرفه ، اكرموه واحسنوا معاملته وأطعموه جيدًا حتى أحضر له بنفسي لأعرف ماذا وراءه وما الذي يخفيه.

*****

(١٣)

ما حدث لـ(همَّاس) جعل رفاقه يعيدون التفكير في الأمر مرَّات ومرَّات ويبدأوا البحث عن خطة ملائمة للانتقام للسيد (صامد) بعد أن صار هذا هو الطريق الوحيد لنجاتهم. دارت بينهم وبين السيد (صامد) خلال الأيام الماضية حوارات عديدة واليوم هو يوم الاستماع لما تفتقت عنه أذهانهم من خطط وأفكار طوال الأيام الماضية، الخوف كان يملؤهم لما سيقرره (صامد) بشأنهم بعد سماع ما لديهم.

ظلام ساد الغرفة إلاَّ من ضوء أرجواني خافت وذلك الستار الزجاجي الشفاف الذي انسدل ليعلن بدء اللقاء ، وجه جديد كان يجلس بجوار السيد (صامد) لرجل وقور كبير السن رابط الجأش شديد الصرامة عرَّفه لهم (صامد) بأنه السيد (وسيم) خبير شئون السهم القرمزي الذي حضر اليوم ليستمع معه لأفكارهم وخططهم لخبرته الكبيرة في كل ما يخص السهم القرمزي.

بدأ (زياد) الحوار قائلًا:

- طبقًا لما فهمناه فأنت تريد انتقامًا من ضربتين ، الأولى أو الإنتقام الصغير من شخص يُدعى (برهان) لأنه خانك وقتل عزيزًا لديك، والثانية وهي الإنتقام الكبير من عصابة السهم القرمزي ذاتها.

هزَّ (صامد) رأسه مؤيدًا فاندفع (ساجد) سائلًا:

- هل لي أن أسأل لماذا لم تقم بإنتقامك الصغير بقنص الرجل مباشرةً مع ما تملكه من رجال وسلاح لتُنهي انتقامك الأول الصغير بنفسك وتتفرغ بعدها للإنتقام الأكبر؟

أجابه (صامد) قائلًا:

- الأمور ليست بالبساطة التي تظنها فـ(برهان) الذي تتحدث عن قنصه ببساطة هذا هو أحد القيادات الكبيرة بالسهم القرمزي ، ولا يتحرك أي خطوة إلا بعد حسابات دقيقة تسبقها و حراسات تراقب كل شيء حوله حتى الهواء المحيط به إن جاز التعبير.

- تنفيذ انتقامك سيحتاج الكثير من الرجال والأموال.

- نعلم هذا جيدًا ومعكم ميزانية مفتوحة إن أقنعني ما تخططون له.

- لن يتم الأمر في يوم وليلة، نحتاج للوقت الكافي.

- أدرك ذلك ولا مشكلة لديّ طالما سأصل لانتقامي في النهاية.

تمتم (ساجد) سائلًا:

- أين يخبأ السهم القرمزي أموالهم؟

- في القصر اللؤلؤي ، بيت ثروات السهم القرمزي.

- حسنًا.. ليكن انتقامنا هو عملية سطو مسلح كبيرة تمتلك بها أنت أموالهم لتنهار سمعتهم.

ضم السيد (وسيم) شفتيه في ازدراء قائلًا بتهكم:

- أأحضرتني لأستمع لمثل هذا السخف يا (صامد) ؟!

تمتم (صامد) ليُهدأ من توتر السيد (وسيم) قائلًا:

- اعذر لهم جهلهم فالقصر اللؤلؤي اسم لم يسمعوا به من قبل، ولا يعرفون أنه بجزيرة معزولة أساسًا لا يعلم مكانها سوى كبار السهم القرمزي ولا كم هو محصن صعب الاختراق.

تمتمت (فاتن) معترضة:

- أيًّا كان مكان قصر اللؤلؤ هذا أو تحصينه فلا شيء لا يمكن اختراقه وسرقته إن وضعت الخطة الجيدة ، فكم من سرقات كانت مستحيلة في البداية ونجحت بالتخطيط المتقن والصبر.

لكزها (ساجد) بقدمه لتصمت لكن (صامد) قاطعها قائلًا:

- أولًا اسمه القصر اللؤلؤي وليس قصر اللؤلؤ ، وأود أن أخبرك بأن آخر ما كان يخطر ببالي أن أسمع هذا السخف والهراء منكِ كإحدى الأرضيات، وأنا من ظننت الأرضيات الموجودات بيننا هنَّ الأشد ذكاءً...

قاطعه (باسل) بحسم قائلًا:

- لم تخطئ كثيرًا في ظنك بشأنها، ضع فقط في اعتبارك بأنه كما ترتفع البنايات الشاهقة بالتدريج طابقًا بعد طابق وليس مرَّة واحدة فإن الخطط المحكمة كذلك تُبنى أيضًا بفكرة وراء فكرة، وما قالته (فاتن) ليس سوى الفكرة الأولى في خطتنا .

قاطعهم (ساجد) قائلًا:

- حسناً لنسرق رصيدهم الذهبي بدل الأموال لو أنه بمكان آخر أقل أمنًا ...

تمتم (صامد) في حدَّة مقاطعًا:

- بأفكاركم السخيفة هذه ستظل بنايتكم طابق أرضي لن يأتي اليوم الذي تعلو فيه لتصبح البناية الشاهقة التي تحدثتم عنها ، أولًا نحن لا نتعامل بالذهب بل هو مجرد معدن عادي زهيد القيمة لدينا والداجوفيت هو المعدن الأكثر قيمة أو بديل الذهب لديكم ، وثانيًا أنهم يحتفظون بالداجوفيت هو الآخر في القصر اللؤلؤي مع الأموال .

قاطعهم (أوَّاب) ليسحب الحوار لفكرة آخرى قائلًا:

- لنهدر سمعتهم بعملياتٍ انتقامية صغيرة وسريعة تشتت مجهودهم وتستنفذ طاقتهم.

سأله السيد (وسيم) قائلًا:

- لم أفهم جيدًا ما قلت.. وضح أكثر من فضلك.

بدأ (أوَّاب) يوضح قائلًا:

- عمليات انتقام صغيرة ضد أشخاص وأماكن للسهم القرمزي ممن لا تحوطهم الحراسات الكثيفة وليسوا قيادات ، وأماكن قليلة الحراسات.

أجابه السيد (وسيم) قائلًا:

- مكانة السهم القرمزي وخوف الجميع تجعل ما تقوله جنان لن يفكر أحد في الإقدام عليه فالسهم القرمزي حسمت الأمر بالجلوس على القمة وحدها منذ أعوام بلا منافس مكتفية بمشاهدة صراعات الصغار على الفتات الذي تتركه لهم برغبتها كمن يشاهد من نافذته بالأعلى شجار الأطفال بالأسفل...

قاطعه (أوَّاب) قائلًا:

- هذا لأن أحدًا لم يفكر بفعلها لكننا لو بدأنا نحن بفعلها وكسرنا حاجز الخوف وقذفنا بالحجر الأول فقد يتبعنا الآخرون لترى السهم القرمزي وهي تُمطَر بالأحجار.

- الخوف منهم أكبر من أن يمتلك أحد أيضًا شجاعة قذف الحجر التالي مع ما تركته السهم القرمزي من رعب في النفوس.

غمغمت (وعد) قائلة:

- فلتشكلوا أنتم عصابات صغيرة ولتقم بضربات للسهم القرمزي حتى وإن كانت ضربات صغيرة لكنها ستحرك الماء الراكد ، وقد نجد من ينضم إلينا ويفعل ما فعلناه.

أردف (زياد) مكملًا:

- الضربة مجهولة المصدر ستستنزف الوقت لمعرفة الفاعل ، وقبل أن يجدوه ستعقبها ضربات أخرى تالية تتشتت معها جهودهم بين البحث والانتقام ، ومن يدري فقد يعقبنا آخرون مثلنا بأفكار جديدة أكثر براعة للانتقام منهم خاصةً وهناك الكثير ممن لديهم ثأر مع السهم القرمزي.

قاطعتهم (فاتن) قائلة:

- أهدرتم فكرتي بابتعادكم عن سرقة الذهب من بيت اللؤلؤ وإختيار الإنتقام الذي يثرينا ويحقق أحلامي وأحلام أسرتي عند عودتي لعالمي من جديد بما سأحمله من ذهب.

أجابها (صامد):

- ليس بيت اللؤلؤ وإنما القصر اللؤلؤي ، وليس ذهباً بل داجوفيت!

صاح السيد (وسيم) مقاطعًا:

- ظننت بأنني سأسمع شيئًا ذا قيمة يا (صامد)، لكن ما سمعته اليوم ليس سوى هراء وسخافات يستطيع أي كلب من كلاب الحراسة الواقفين بالخارج النباح بمثله ، يبدو أنك لم تحسن انتقاء الأرضيين المناسبين ، وأظنك بحاجة لأرضيين جدد ليسوا مثلهم ، بل من ذوي

العقول المفكرة ... عفوًا سيد (صامد).. انتهى اللقاء، لن يمكنني البقاء أكثر فأنا لم آتِ لهنا لسماع مثل هذا السخف.

تمتم (أوَّاب) قائلًا:

- هدِّأ من انفعالك قليلًا يا سيد (وسيم) ، هل لي أن أعرف لماذا لم تضع أنت الخطة مع ما تملكه من خبرة في شئون السهم القرمزي كما قال السيد (صامد)؟ أعطيت نفسك الحق مع ما تملكه من ذكاء وخبرة في تقييم ذكائنا؟! وسؤالي هو إن كنت أنت من تعيش معهم وبينهم لأعوام لم تنجح بوضع الخطة الملائمة أتريد منا نحن من لا نعرف شيئًا عن السهم القرمزي أوالقصر اللؤلؤي والداجوفيت أن نقوم بوضع خطة بارعة الذكاء ترضيكم في ساعات؟! أرى في الأمر ظلم كبير لنا منكم بأن يكون حكمك علينا بالغباء في ظروف كهذه ، ونريد فرصة أخرى أكبر وأطول للتفكير لعلّنا نصل لما يرضيكم فهل ستمهلوننا بعض الوقت وتمنحوننا تلك الفرصة؟

هزَّ (صامد) رأسه في اقتناع وهو ينظر للسيد (وسيم) قائلًا:

- أرى كلام السيد (أوَّاب) مقنع ولا يخلو من وجاهة، وأظنهم يستحقون أسبوعًا آخر.

قاطعتهم (فاتن) قائلة:

- أحضروا لي أولاً هذا الشئ المسمى بالداجوفيت بديل الذهب حتى لا أكون كاذبة حين أقسم بعد عودتي بأنني قد أمسكته بين يدي ومن يدري فقد يمنحني وجوده بين يدي أفكاراً جديدة جيدة .

*****

انفجرت (كوثر) في الصراخ والبكاء بصورة مجنونة حين رأت (أوجين) تدخل للمكان محمولة على أكتاف الرجال وبجوارها رجل مقيد يسحبونه ، لم تصدق نفسها أهذه ابنتها (أوجين) أم أنها واهمة؟ ولو كانت هي (أوجين) فما الذي حدث لها؟ وهل ماتت أم مصابة وبحاجة لعلاج؟ انفجرت في موجات صراخ بلا انقطاع ، دخل أحد الرجال إليها محاولًا تهدئتها لكنها لم تتوقف ، فدخل أحد الحراس بعد أن ضاق ذرعًا بصراخها قائلًا للآخر: "دعها لي فأنا أعرف كيف سأخرسها"، لينهال عليها ضربًا بعنف حتى انقطع صوتها تمامًا.

أفاقت بعد فترة وهم يدخلونها للسيد (هجشة) والذي حضر ليس لأجلها بل لأجل الرجل الصامت الذي اختار البقاء على صمته دون حديث مع أحد وكأنه أخرس ، سألها (هجشة) بهدوء وهو يمسح خيط الدماء عن وجهها ويأمر بإحضار طعام وشراب لها ومعاملتها بلطف ، اعتذر لها عما فعله الحارس وأخبرها بأنه يعرفها جيدًا وأنها هي من أعدت خطة الهرب الرائعة ، لكن الشيء الذي لا يعرفه هو ما الذي دفعها لتنفجر في البكاء والصراخ هكذا فجأة بهذه الصورة ؟

أجابته (كوثر) بأنها لمحت من تشبه ابنتها محمولة على أكتاف الرجال وهم يدخلون بها لغرفة أخرى بهذا المكان ، تألق بريق خبيث بعينيّ (هجشة) قائلًا:

- الأمر هكذا إذن.

نادى بعدها أحد الرجال قائلًا:

- إن كانت الفتاة بالغرفة الأخرى قد أفاقت فاحضروها.

دخل الرجل وإلى جواره (أوجين) التي ما أن رأت والدتها حتى جرت لتُلقي بنفسها في حضن والدتها ليدخلا في عناق طال و(هجشة) يراقبهما بهدوء تام بلا تعليق ليفرغا شيئًا من مخزون الشوق داخلهما ، أشار بعدها للرجل فجذب (أوجين) ليغادر بها الغرفة، حاولت (كوثر) الركض خلفها والاعتراض لكنه هزَّ إصبعه في تحذير قائلًا:

- اهدئي ... فلنا معًا حديث طويل.

غادر الرجل الغرفة بـ(أوجين) لينظر (هجشة) لـ(كوثر) قائلًا:

- سأدخل في الموضوع مباشرةً فأنتِ امرأة ذاقت من مرارة الحياة الكثير ولديكِ خبرة جيدة تعرفين بها كيفية التعامل مع أمثالنا.

هزّت (كوثر) رأسها وقد فهمت أن هناك ما يريده الرجل منها وليس ما قاله سوى التمهيد فأردفت قائلة:

- أحب أن أسمع ما لديك وما المطلوب؟
- كم ستدفعين لنعيد لكِ ابنتك وتغادرين بها؟
- ما تريد.
- وهل تظنيننا ظالمون قساة القلب هكذا لنأخذ شيئاً نظير ابنتك؟!
- اخبرني بالمطلوب وسأفعله.
- لكل شيء مقابل كما تعلمين ، كلمات قليلة سنطلب منكِ الإدلاء بها ، نحتاجها لأنها ستبدو منطقية أكثر ومقنعة للغاية إن خرجت منكِ أنتِ وعلى لسانك.
- موافقة.
- اتفقنا.. ابنتك ستبقى معنا بأمان وسنحسن معاملتها ومعاملتك حتى يحين موعد شهادتك وقول الكلمات التي سنمليها عليكِ ، فإن

نفذتِ ما أردنا فستأخذين ابنتك وترحلين معها بأمان ، وإن كان خلاف ذلك فموت ابنتك هو العقاب لتعيشي ما تبقى لكِ من عمر بعذاب إهدارك لحياتها بغبائك.

- موافقة ... لكن لتكن بغرفتي حتى موعد الإدلاء بشهادتي.
- لا.. انتهى الحوار.

دخل أحد الرجال ليسحب (كوثر) من يدها ، فهمس له أحد الجالسين بجواره من رجاله قائلًا:

- الرجل الصامت ما زال على صمته ولم نصل لشيء معه.
- دعه.. فلقد استفزني صمته وكأنه يدعونا لقتله.
- ولما لا نقتله وننتهي من أمره فالمكان ضيق ؟
- ليس (هجشة) من ييأس بسهولة ، دعك من حاله المزرية فجسده القوي والمعاملة السيئة التي تلقاها ولماذا كان أسيرًا مع (كوثر)؟ ولماذا يرفض الحديث مع أحد؟ كلها أمور توحي بأن وراء هذا الرجل سراً ولا بد أن أعرفه.

*****

دلف (صامد) لمكتب والده ليجلس على المقعد أمام مكتب والده سائلًا:

- أتظنهم سيقولون شيئًا جيدًا هذه المرَّة؟
- دقائق وسنعرف.

ضغط (جسَّار) أحد الأزرار على مكتبه قائلًا:

- احضر لي من فضلك يا (شلهوب).

التفت بعدها لـ(صامد) قائلًا:

- خطف (كوثر) و (همَّاس) وقتل من كان يحرسهما أربك حساباتي.. فمن عساه يفعل هذا؟

- خبرتي أضعف من أن أفيدك بإجابة في هذا الشأن يا أبي.

- المكان مجهول خطر ولا يعلم به أحد سوانا.. أكاد أجن!

- لا تفكر بالأمر كثيرًا كي لا يتشتت تفكيرك فقد يكون قتل الحارسين لطمعٍ في سرقة المكان أعقبه تعاطف معهم وفك قيودهم حتى لا يموتا جوعًا بعد قتل من كانوا يطعمونهم.

طرقات على الباب دلف (شلهوب) بعدها للغرفة ، أشار له (جسَّار) بالجلوس قائلًا:

- اجلس يا (شلهوب) واخبرني هل من أخبار جيدة لديك؟

- الأمر صعب سيدي .. مازلت أحاول ولم أصل لشيء إلي الآن.

- لا تتوقف عن المحاولة فكل الآمال أصبحت معلقة بك مع خيبة الأمل التي نعيشها بغباء الأرضيين الذين أحضرهم (راجي).

- شاهدت اللقاء وخذلني كثيراً أن أجد هذا هو مستوى ذكاؤهم.

- وهذا ما يجعل أمالي بك تزداد أكثر ، فقد أعجبني ما قاله (أوَّاب) وأفكر بتكرار ما فعلته للسهم القرمزي بإستقدام الرجال لكن لحسابي هذه المرة لأخوض المعارك بهم ضد السهم القرمزي هذه المرة لأبعثر هيبتهم وأكسر شوكتهم ، وليتجرأ آخرون بعدي لفعلها فأحطم بنفسي أسطورة السهم القرمزي كما بنيتها.

- ومن اين لنا بالمسافر الأيوني الأصلي الذي لا نعلم أين هو الآن.

- لذا أريدك أن تعيد الجهاز لوضعه الأصلي وتلغي مافعله السيد (تقي) بالجهاز.

- الأمر صعب سيدي.

- حاول دون ملل فكل آمالنا صارت متعلقة بك وبنجاحك.
- هناك اقتراح خطر ببالي من متابعة الحوار بينك وبين الأرضيين.
- وما هو؟
- لاحظت جشعهم ولهفتهم للذهب ، فـ(زياد) لم يوافق على التعاون إلاَّ بعد أن علم بالجائزة وأطنان الذهب التي تنتظره إن نجح ، و(ساجد) و(فاتن) وافقا للسبب ذاته بل أن (فاتن) طلبت مشاهدة الداجوفيت رغم كونه بلا قيمة لديهم في الأرض ، لذا أقترح بأن تضع أطنان الذهب التي كنت ستمنحهم أياها أمامهم لعلّ هذا يحفز ويشحذ تفكيرهم ليخرجوا لنا أفضل ما لديهم من اقتراحات وخطط مفيدة.
- اقتراح جيد وبلا خطورة ابدأ بتنفيذ هذه الفكرة يا (صامد) ، والآن هيا بنا لنبدأ الاجتماع معهم ونرى ما الذي وصلوا إليه هذه المرة.

بدأ الاجتماع بصمت من الأرضيين شاعرين بالضيق لحضور السيد (وسيم) ذو التعليقات المستفزة ، نهض (باسل) ليقف وسط الضوء الأرجواني الخافت أمام شاشة العرض وكأنه يخاطبها قائلًا:

- تناقشت مع رفاقي الأرضيين طوال الأيام الماضية ووضعنا خطة أتمنى أن تنال رضاكم ، وإن لم تعجبكم فسنضطر لطلب مهلة أخرى جديدة للتفكير لعلّنا ننجح في الوصول لما يرضيكم.

أشار له (صامد) قائلًا:

- لا تسبق الأحداث ولنستمع لما لديك أولًا.

إلتفت (باسل) للرفاق قبل أن يبدأ حديثه قائلًا:

- سنبدأ خطة الكيانات اللامعة والتي ستحتاج لوقت لإنجاحها.
- ماذا تقصد بالكيانات اللامعة؟

- أخبرتنا بأن معنا من الأموال ما نطلب وأن المهم هو النجاح.. أليس كذلك؟

هزّ (صامد) رأسه مؤيدًا ، فتابع (باسل) حديثه مردفًا:

- سنبدأ بإنشاء كيانات لامعة ، السيد (أوَّاب) مهندس ديكور بارع ولا يشق له غبار ستنشأ له كيانًا واسمًا وسمعة بهذا المجال وهو جدير بها ، وستعمل بمجهوداتك على الاستفادة من مهارته وتعظيم سمعته والدعاية له ، وسيحدث الشيء ذاته مع المهندس (ساجد) في مجال الحوسبة والبرمجيات، بل وستحضر أتباع ومعاونين ليساعدوه وستصنع له الدعاية المناسبة لبناء سمعة جيدة له بهذا المجال، والسيدة (فاتن) ستنشأ لها مطعمًا وكلي ثقة بما لديها من مهارات في الطهي بأنها ستستطيع إنشاء سمعة جيدة ككيان جديد مبهر في لاميتا، وستجعل رجالك يتوافدون كالذباب على الكيانات الثلاثة ليخلقوا لها الشهرة الملائمة مع تقديم عروض وخصومات بما سيزيد الإقبال عليهم ليعرفهم الجميع .. والآن أخبرني كيف سيتعامل السهم القرمزي مع مثل هذه الكيانات؟

- سيطلبون إتاوات الحماية منهم بالطبع.

- وهذا هو ما نريده ، ستدفع أنت بدلًا منهم تلك الإتاوات وليستمر صيتهم في الارتفاع وشهرتهم في الزيادة يومًا بعد يوم خاصةً وأن السهم القرمزي سيمنع عنهم أي مشاكل نظير إتاوات الحماية.

توقف (باسل) عن الحديث ليلتقط أنفاسه، فنظر له (صامد) قائلًا:

- اكمل وأسمعنا فكرتك للنهاية.

أردف (باسل) قائلًا:

- ستظهر عصابة صغيرة في الساحة وستقوم بعمليات صغيرة لا ترتقى لإثارة غضب السهم القرمزي أو إستفزازهم وسينظرون إليها بمنطق "دع الصغار يلعبون".

- اكمل يا (باسل) فحديثك قد بدأ يعجبني.

- ستقوم تلك العصابة الصغيرة بعد فترة بتوجيه ضرباتها للكيانات اللامعة من اختلاسات وتدمير ، وهنا سيهرع أصحاب تلك الكيانات للسهم القرمزي طالبين الحماية التي يدفعون لأجلها ، ستقوم الدنيا عندها ولا تقعد لأن الأوغاد الصغار قد تجرأوا على السادة الكبار وامتدت أقدامهم لتطأ ما يخص أملاك السهم القرمزي.

- سيهبون للفتك بتلك العصابة الصغيرة لاستعادة هيبتهم.

- سيهرع لهم أصحاب الكيانات اللامعة بحسرتهم ليخبروهم عن خسائرهم وحجم المسروق منهم من سبائك الداجوفيت طالبين إرجاعها لهم ، سماع أرقام المسروقات سيقفز بالطمع لديهم ليسبق رغبة الانتقام وسيأخذ الأمر أهمية كبرى لدى السهم القرمزي لأنها عملية لها مكاسبها الكبيرة أهمها إعادة الهيبة المفقودة للسهم القرمزي.

تبادل كلٌ من (صامد) والسيد (وسيم) النظرات قبل أن يردف السيد (وسيم) قائلًا:

- اكمل من فضلك بلا توقف.

- سيداهمون مقر العصابة الوهمي الذي ستعده أنت وسيقتلون بعض الرجال ممن ستضحي بهم أنت كطعم لتبدو الأمور محبوكة أمامهم ، وسيجدون هناك كمًّا كبيرًا من سبائك الداجوفيت سيأخذونها بالطبع ولأنهم أوغاد حقيرون فلن يعيدوا شيئًا منها لأصحابها من

أصدقائنا ذوي الكيانات اللامعة بل سيفكرون لجشعهم في مضاعفة الإتاوات المفروضة.

- ما قلته حتى الآن يبدو رائع كقصة مسلية وليس كعملية انتقام ، ولم أعرف حتى الآن أين الانتقام في كل ماقلت ! وما الذي سيعوض خسائري من الأموال والرجال والداجوفيت ؟!

- هل سألتك من قبل أين تظنهم سيضعون سبائك الداجوفيت؟

- أخبرتك بأنها سترقد بجوار إخوتها وسط مخزون سبائك الداجوفيت بالقصر اللؤلؤي.

- خلال المدة منذ الآن وحتى موعد تنفيذ هذا سأقوم بإعداد عددًا من السبائك المنصهرة والتي ستوضع وسط سبائك الداجوفيت الحقيقية وستبدو مماثلة لها في الشكل والوزن بطريقة لن يستطيع معها أحد التمييز بينها وبين سبائك الداجوفيت الحقيقية، هذه السبائك الوهمية تحوي كلٌ منها شريحة دقيقة للغاية ستحدث انفجارًا صغيرًا بكل سبيكة من السبائك الوهمية لتنصهر مخرجة سائل حارق أعددته بعناية طبقًا لخبراتي كعالم في مجال الكيمياء ، سيلتهم هذا السائل الحارق مخزون السهم القرمزي من الداجوفيت ويغير خواصه الكيميائية ليصبح شيئًا آخر عديم النفع غير الداجوفيت الذي كانه ، وأظن هذه الضربة ستكون موجعة للغاية وستبدد بهذه الضربة ثروات السهم القرمزي من الداجوفيت التي قضوا أعواماً في جمعها.

ارتفع حاجبا (صامد) قائلًا:

- ما تقوله هذه المرة رائع بالفعل.. رائع بمعنى الكلمة يا سيد (باسل).

أردف (باسل) متابعًا:

- وسط ما ستحدثه تلك الضربة من اضطراب وتخبط بالسهم القرمزي سيكون من السهل قنص خصمك (برهان) وتوجيه الضربة الثانية بسهولة ، ومن يدري فقد يتم عزله وسط تلك الأحداث لتزول عنه الحماية والحراسات ليصبح رجلاً بلا حراسات سهل القنص.

تبادل الرفاق النظرات وهم يرون المشهد أمامهم في شاشة الجدار والسيد (وسيم) ينهض ليصفق لـ(باسل) بقوة وانبهار قائلًا:

- خطة رائعة للغاية وتستحق بالفعل المخاطرة والتنفيذ.

أجابه (باسل) وهو يشير لـ(فاتن) قائلًا:

- هل رأيت يا سيد (صامد) كيف أن الخطط المحكمة تعلو بفكرة وراء فكرة كالبنايات تمامًا، وأن ما قالته (فاتن) لم يكن أبدًا الطابق الأرضي الذي سيظل أرضيًا ولن يعلو.

رمقته (فاتن) بذهول بعد أن وجدت الجميع ينظر إليها بامتنان فهذه هي المرة الأولى بحياتها التي يقول فيها أحد بحقها مثل تلك الكلمات.

*****

(١٤)

لم تنل الخطة التي وضعناها استحسان السيدان (صامد) و(وسيم) فحسب بل وغيرت العلاقة بيننا وبينهم للأفضل ومنحتنا الكثير من الثقة ، لم يتأخروا في بدء التنفيذ ، الكيان اللامع الأول كان لـ(فاتن) والتي برهنت بأن الرهان على مهارتها في الطهي كان رهاناً رابحًا، أنشأ لها (صامد) مطعمًا ليكون الكيان اللامع الأول لنا كما بالخطة ، كل طعامنا وطعام رجال (صامد) صار من مطعم (فاتن) ، وأصبحت زيارة مطعم (فاتن) وشراء الطعام من هناك أحد الأعمال والمهام المكلف بها رجال (صامد) ليل نهار لكن كأفراد ليبدو المشهد كإقبال كثيف على مطعمها وهكذا نجحت (فاتن) أن تصنع بمهارتها اللمعان اللازم للكيان الأول من كياناتنا اللامعة.

الكيان اللامع الثاني كان لي بإنشاء شركة للحوسبة وتقنيات البرمجة وتعيين أعوان لي حاولت قدر استطاعتي اختيارهم بعناية بمعاونة (باسل) ليعاونوني في تخطي الفجوة التقنية بين عالمي وعالمهم والفجوة والفارق التكنولوجي بين ما أعرفه والعالم المتقدم هنا بلاميتا ، حزنت كثيرًا لعدم نجاحي في منح اللمعان المطلوب لهذا الكيان ليبقى الكيان الخاص بي خافت البريق ولم يصل لدرجة اللمعان .

الأفكار والكلمات بإغلاق هذا الكيان واستبداله بكيان آخر أو الاكتفاء بكيانات (فاتن) و(أوَّاب) كانت تُطرح وتدور في الحوار بيننا من آن لآخر، لكن السيد (وسيم) كان حاسمًا في رأيه بالإصرار على إبقائه، وأن الأسهم القرمزية لن يبحثوا في الأمر بدقة ليروا درجة اللمعان لكل

كيان وإن كان حقيقيًا أو وهميًا فما يهمهم هو دفع الإتاوات ، وأن صنع بعض الإقبال الوهمي قد يمنح المكان لمعانًا زائفًا سيكون كافيًا لتضليلهم.

الكيان الثالث والخاص بـ(أوَّاب) كان المفاجأة ، لم أعرف الكثير عن (أوَّاب) فالحوارات التي دارت بيننا خلال سكننا معًا بالحارة الشعبية كانت قليلة ولم يخطر ببالي أو أتخيل بأنه بارع ويمتلك كل تلك المهارة والإبداع في التصميم وفنون الديكور ، تصميمات (أوَّاب) كانت مبهرة بحق وخاصةً ذلك التصميم المذهل الذي أعده لمطعم (فاتن) والذي جاء كضربة مزدوجة جلبت العيون والشهرة للمطعم ولمكتبه، وليدور الحديث بين الجالسين من رواد مطعم (فاتن) وهم يمضغون الطعام بشهية واستمتاع داخله عن من وضع هذا التصميم المذهل.

مكتب (أوَّاب) للتصميمات كان أكثر الكيانات لمعانًا بين كياناتنا الثلاثة بتصميماته التي نالت استحسان كل من رأها ، ولتبدأ حمى المقارنات وطلب المماثل أو الأفضل، وليجد (أوَّاب) نفسه وقد أصبح ذو شهرة كبيرة بين سكان مدينة الضباب الداكن.

الشهر الأول مضى بنا و(زياد) غارق في إحباط ظاهر في كل كلمة من كلماته حتى أنني شعرت بالتعاطف معه وهو يبحث لنفسه عن دور ويعرض خدماته لمن يريد ، أظن (باسل) قد أدرك هذا فبدأ يدعوه للبقاء معه بالمعمل الذي أعدوه له لإعداد وتنفيذ الشرائح المنصهرة.

استيقظت ذات صباح على جلبةٍ وصوتٍ لحديثٍ عالٍ على غير المعتاد، غادرت غرفتي لأرى ما الأمر، وجدت (زياد) واقف أمام السيد (صامد) و(وسيم) يطلب منهما بإصرار شديد بأن يحملوه للغابة لمقر الجدران ، لم أفهم السبب وراء طلبه هذا لكن روح الثقة التي سادت

بيننا وبين السيدين (صامد) و (وسيم) جعلتهما يقبلان بطلبه بشرط أن يذهب معه الجميع وسط حراسة رجاله.

*****

سحب أولئك الملاعين (أوجين) مني ليضعوها بغرفة أخرى ، حزني كان لا يوصف حين غابت عني وصرت لا أعلم عنها شيئًا، ماذا فعلوا بها؟ وأين وضعوها؟ ولماذا فعلوا ذلك؟.. لا أدري! الحراس حولي كانوا ملاعين أغبياء ، يتعاملون مع كل سؤال تعاملهم مع السِّباب بالأم والأب لأنال نصيبي الوافر من كرم أخلاقهم مع كل سؤال أسأله، ولأتذكر نصيحتي التي همست بها يومًا لـ(أوجين) ونحن نتسلق شجرة بأن "الصمت حياة".

البيت الريفي الذي كنا به كان شديد البساطة لمن يراه من الخارج لكن من يدخله سيعرف بأنه مقام فوق غرف دفينة كالسجون أسفل منه ، كانت تستخدم لخزن العلف والغلال والحطب سابقًا وطور أولئك الملاعين استخدامها ليأسرونا فيها. سعادتي بأن السهم الذي أصاب (أوجين) كان مخدرًا وليس قاتلًا لم تدم كثيرًا بعد أن أخذوها مني بعد إفاقتها دون أن يعيدوها لي مع بقائي بغرفة شديدة الظلام ، مكثت سواد الليل بتلك الغرفة المظلمة مع أسير صامت حاولت الحديث أكثر من مرة فلم يجيبني حتى غلبني النوم ، أيقظتني الخيوط الواهنة لضوء الفجر المتسللة عبر أحد الشقوق بصعوبة ، رمقت الأسير الصامت بوجهه المختفي وسط لحية كثيفة وشارب كث عديم التهذيب وشعر رأس كثيف ملبد حافل بكل أنواع القاذورات من

أعشاب وحصى وغبار ، أمّا أكثر ما أثار انتباهي فكان لون وشكل الثياب القذرة لهذا الأسير والتي شعرت بأنني قد رأيتها من قبل.

*****

دخلنا الشهر الثاني وخطتنا تسير بشكل جيد وتتقدم بخطى ثابتة من نجاح لنجاح ، تابعت عملي بالمعمل الذي أعدوه لي ولم يحاول أحد مضايقتي أو التطفل عليَّ بل كان تعاملهم معي بصورة بالغة الاحترام. نجاحي في صنع السبيكة الأولى و تجربتها أمامهم بنجاحٍ مع أصرار السيد (وسيم) على أن تكون التجربة حقيقية بلا خوف من خسائر الداجوفيت جعل الجميع يستبشرون ويزدادوا ثقة في خطتنا وأننا إنتقلنا من التفكير للتنفيذ ليتبقي بذل الجهود اللازمة لصناعة العدد المطلوب من السبائك المنصهرة .

لم أفهم ما قام به (زياد) بإصراره على أخذنا لموقع الجدران بالغابة ربّما لأني لست أرضيًا مثلهم ولا أعلم ذكرياتهم بهذا المكان. بدأ كلٌ من (زياد) و (أوَّاب) بالحفر ليخرج كلٌ منهم أشياءه من الحفرة التي حفرها ، لمح (أوَّاب) رجال (صامد) وهم يرمقونني أنا و(ساجد) بتمعن فقام بحركة شديدة الذكاء فترك حفرته وقام ليبدأ الحفر في مكان آخر نادى بعدها لـ(ساجد) و(فاتن) قائلًا:

- هيا تعالوا.. تابعوا الحفر هنا لتأخذوا أشياءكم.

تحرك لمكان آخر يبعد خطوات قليلة ليبدأ الحفر به وهو يناديني أنا و(وعد) لنتابع نحن أيضًا الحفر هناك لأخذ أشيائنا ، ما أن بدأت الحفر حتى تسمرت ذاهلًا وأنا أرى أمامي ما لا يمكنني نسيانه وهو المسافر الأيوني بذاته.

ظلّ رجال (صامد) يرمقوننا في ازدراء كحفنة من الحمقى لانستحق ذهابهم معنا وحراستهم لنا ، سحبت (وعد) لتقف أمامي كستار أمام أعينهم وكأنها تعاونني ، ثم دسست المسافر الأيوني بخفة في ثيابي وتابعت الحفر بعدها لأستخرج أشياء سخيفة بلا معنى ولا تستحق الدفن والتعامل معها ككنوز تستحق الإخفاء.

وقف (زياد) بعد عودتنا محتضنًا شيئًا بفخر ككنز ثمين قال عنه أنه حاسبه المحمول، لم أعرف كيف لشيء بهذا الحجم أن يكون حاسب ، كان عليَّ أن أتحدث كأرضي وأن أصدق بأن ما يحمله حاسب فعلًا ، مسكين (زياد) ورفاقه فلا شك أنهم لم يروا حواسب الشرائح الضوئية لدينا . مدَّ (زياد) يديه بالحاسب الذي كان يحتضنه بعد أن نفض عنه التراب قائلًا:

- لديّ مفاجأة ستذهلكم.

أصابني الذهول وهو يناول الحاسب القديم للسيد (صامد)، فهمت في الحال المشكلة التي بإنتظارنا عند رؤيتي لمقابس الطاقة ، سحبت (أوَّاب) بعيدًا لأسأله:

- بأي طاقة كان يعمل هذا الجهاز؟

أجابني بصوتٍ منخفض:

- بالكهرباء طبعًا.

لم أعرف ما هذه الكهرباء التي قالها لي بثقة لكن أقرب شيء لدينا لتلك المقابس الغريبة كان الجيكوفين ، ذلك النوع من أنواع الطاقة الذي تركنا استخدامه منذ عقود.

لزمت الصمت ولم أتدخل لإبداء الرأي أو اقتراح حلول بإعتباري أرضي مثلهم ولا أعرف أكثر مما يعرفه رفاقي الأرضيين لكنني أنهيت المشكلة في اليوم التالي بعد أن بحثت حتي توصلت لمحول الطاقة الملائم وأعطيته لـ(ساجد) ليحضره معه عند عودته من كيانه اللامع وكأنه هو من بحث عن الحل وأحضره معه باعتباره أكثر الأرضيين خبرة بالتقنيات. الجلسة لم تطل كثيرًا أمام حاسب (زياد) بعد إحضار محول الطاقة وضبط الإعدادات الملائمة له، ولتنطلق صيحات الفرحة من الجميع حين أضاءت شاشة الحاسب معلنة عودته للحياة من جديد لكن بضوء باهت خافت.

إعادة الحياة لحاسب (زياد) مكنته من أن يجد لنفسه دورًا، أصابني الذهول حين بدأ (زياد) في الحال بتصفح حاسبه وإخراج موسوعات مرئية في الطهي لطهاة أرضيين قدَّمها لـ(فاتن) بفخر ، ولنكتشف بعد بدء (فاتن) بتنفيذ تلك الوصفات كيف أن تلك الموسوعات كانت أكبر مفاجأة استطاعت القفز بكيان (فاتن) قفزة خارقة لتتجاوز بها اللمعان إلى التألق ، قائمة عامرة بالأصناف من المأكولات والمخبوزات والحلوى صارت تقدمها لرواد مطعمها لتتضاعف شهرة مطعمها ولتظهر طلبات الشراكة معها وإفتتاح فروع أخري جديدة لها بأماكن ومدن أخرى ولتتسع شهرتها فتتجاوز مدينة الضباب الداكن.

أخفيت المسافر الأيوني بمكان لا يعلمه أحد غيري ، لا أحد ممن حولي كان يعلم بأن هذا الجهاز الصغير الذي أخفيته معي هو من جلبهم من عالمهم لهنا وأنه كفيل بتغيير كل شيء ، لكن استخدام الجهاز كان معقدًا وليس بهذه السهولة بل ينبغي الحصول على

إحداثيات وأرقام كثيرة لم تكن معي أو متاحة أمامي الآن وأحتاج للمجهود والوقت لمعرفتها بما يحمله هذا الأمر من خطورة وما يتطلبه من دقة وعناية شديدة ، فمن أين لي أن أعرف بالكود الفضائي الخاص بكوكب الأرض الذي حضروا منه لأفكر في العكس وعودتهم إليه؟ وهل تم حضورهم برحلة واحدة أم رحلات ومحطات وسيطة كأحد الكواكب البعيدة التي لا يقطعها المسافر الأيوني في خطوة واحدة بل برحلة عديدة المحطات؟!

طرقات على باب المعمل دلف بعدها أحد الرجال ليخبرني بأن السيدين (صامد) و(وسيم) يريدونني الآن ، انصرف الرجل فأغلقت معملي وذهبت لأرى لماذا يطلباني، لكني ما أن تحركت خطوات حتى اكتشفت أن الطلب لم يكن خاص بي وحدي وأن الجميع ذاهبون إليه، بدأت أوتار القلق رنينها داخلي بالسؤال المحير : لماذا يريد السيدان لقاءنا جميعًا؟

*****

تمتم الحارس الواقف أمام (هجشة) قائلًا:

- فعلنا ما أمرتنا به ، أخرجنا الأسير الصامت والرجل الذي معه ووضعنا كاميرات خافية لمراقبتهما دون أن يعلما.

أردف (هجشة) سائلًا:

- والنتيجة؟

- لا شيء أكثر من حديث بينهما بلغة غريبة لم نفهم منها شيئًا.

- لغتهما الغريبة وغير المفهومة هذه هي أحد أكثر ما يريبني، ودليل إدانة دامغ ضد (ليزافيتا) إن اُستخدمت بإتقان في حبك وإحكام

قضية خيانة ضدها لتعرف الأفعى الرقطاء بأن (هجشة) ليس بالرجل الذي يسهل هزيمته.

تمتم الرجل قائلًا:

- آخر الأخبار التي وردتنا تشير بأن نجاح الأفعى قد صار وشيكًا.
- وهل رفعت درجة الاستعداد للحالة القصوى؟
- أخبرت الرجال بذلك لكنهم سئموا وأصابهم الملل من تكرار إخبارهم بنفس الرسالة دون أن يحدث شيء.
- أغبياء حمقى ؟! احضر لي اثنين منهم الآن.
- ماذا؟؟
- أريد اثنين منهم لأعاتبهما بنفسي الآن وأشرح لهما كيف أن ما فعلاه خطأ فادح لا يجب الوقوع بمثله ثانيةً ، فإن نسي أحدهما شيئًا ذكَّرهُ الآخر.

انصرف الرجل فغاب لدقائق دخل بعدها ومعه اثنين من رجال الحراسة، ابتسم (هجشة) وهو ينظر للرجلين قائلًا:

- ملاعين أولئك الذين يرهقوننا بالأخبار الكاذبة ، وأظنكم قد سئمتم مثلي.

تبادل الرجلان النظرات قبل أن يردف (هجشة) مضيفًا:

- الأغبياء لا يملون من تكرار ذات الكلمات بأن الخطر قادم واللدغة صارت وشيكة ليغرقوكم في عبء ما لهذه الكلمات من مسئولية وليقع على عاتقكم أنتم كل العمل .

بدأ العبوس والقلق يغادر وجه الرجلين و(هجشة) يردف:

- لكن اطمئنوا فأنا لا أنسى أبدًا تعب وإجادة العاملين معي ولابد من مكافأة المجيدين .

فتح (هجشة) درج مكتبه ليلتقط مسدساً أطلق منه رصاصة استقرت في منتصف جبهة أحد الواقفين أمامه فأسقطته على الأرض غارقًا في دمائه ، ألقى (هجشة) بعدها بالمسدس على مكتبه في كسل وهو يلتفت للآخر قائلًا:

- تقبل اعتذاري عن عدم دقة الأخبار المنقولة إليكم ، أردت إراحة صديقك وإنهاء تعبه من الأخبار غير الدقيقة ، إن شعرت بالتعب أنت أو أي من زملائك فلا تتأخر بإخباري من فضلك.

غادر الرجل مكتب (هجشة) في صمت ودخل آخران ليحملا الجثة وينظفا المكان ، سأل (هجشة) بعدها أحدهم قائلًا:

- اخبرني بآخر ما وصلت إليه الأفعى.

اعتدل الرجل وبدأ الحديث قائلًا:

- سرقت قلوب الجميع بجمالها من صغار الحراس وصولًا للسادة الكبار ، (برهان) عرض عليها الزواج وإغراقها في النعيم والأموال ، لكنها كانت داهية فأجابته بذكاء بأن طلبه أسعدها كثيراً لكن المكان الصحيح له هو بيتها ووسط أسرتها بمملكة الهنالويا وليس هنا بلاميتا وليظن الغبي بأنها تبادله العشق هي الأخري وأنها لا تتمنى لنفسها أفضل منه ، والسيد (تقي) الذي كان يرفض الحديث ويتمنى الموت صار لا يحادث أحدًا سواها ، كل الأمور توحي بأن الساعات القليلة القادمة ستكون حاسمة.

نظر (هجشة) لأحد الرجال سائلًا:

- وكيف أعددتم العدة لاستقبالها هنا؟

أجاب الرجل باضطراب قائلًا:

- أخبرناك بخشيتنا من ضيق المكان والذي قد لا يسع جميع القادمين للبحث عن مكان آخر لكنك رفضت وأخبرتنا بأن المكان الذي نحن فيه الآن هو أكثر الأماكن أمنًا بلاميتا.

تناول (هجشة) المسدس من على مكتبه وتلاعب به بين يديه قبل أن يعيده لدرج مكتبه وهو يرقب اضطراب الرجل الواقف قائلًا:

- أفرغ أصغر الغرف لتكون للسيد (تقي) والطبيب المرافق له، وضع الأفعى ورجالها مع الأسير الصامت والرجل الآخر ، ولتبقى (كوثر) وابنتها مع الباقين بالغرفة الأخرى الكبيرة .

اقتحم أحد الرجال الغرفة في اندفاع قائلًا:

- سيدي وصلتني رسالة حالًا بأن الأفعى قد لدغت لدغتها وأن السم قد بدأ يسري في العروق.

تهلل وجه (هجشة) وهو يتحرك ليقف بمنتصف الغرفة صائحًا:

- ابدأوا حالاً تنفيذ الخطة "عصف مهين" قبل أن يطير عقل الأسهم القرمزية وتثور ثائرتهم وتنقلب لاميتا رأسًا على عقب بعد علمهم بما حدث وما فعلناه بهم !

*****

(١٥)

تسارعت دقَّات قلبي كعداء يقطع الأمتار الأخيرة في سباق طويل، ولم أدرِ ماذا عليَّ أن أفعل وأنا أجد أمامي (رحيق) ابنة السيد (تقي) وجهاً لوجه ، مددت يدي أتحسس القناع الدقيق على وجهي فالفتاة تعرفني جيدًا ، هل سينجح القناع في خداعها أم ستعرفني بمجرد النظر إليَّ لتكتب نهايتي ونهاية الأرضيين معي؟ مرَّت الدقائق ثقيلة للغاية وأنا أحاول أن أتحرك لأكون دوماً خلف أحد الواقفين وأن يكون بيني وبين وجهها ما يعوق رؤيتها الكاملة لي. استدعانا (صامد) ليخبرنا بأن هذه الفتاة قد صارت وحيدة بلا أسرة طالبًا منَّا إبقاءها معنا لعلّها تجد في وجودها بيننا ما ينسيها وحدتها.

التفتت الفتاة لترمقنا واحدًا تلو الآخر وأنا في قمة توتري لكنها مرَّت بوجهي كأحد الوجوه دون كلمة وأنا أتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعني قبل أن أسمع سؤالها .. "أأنت (باسل)؟" ، تجاوزت الفتاة وجهي للوجه التالي ولم تقل شيئًا ، أحاطتها كلٌ من (وعد) و(فاتن) مردفين للسيد (صامد):

- لا تقلق فلن تشعر بوحدتها معنا .. سنجعلها ترغب في العودة للأرض معنا وعدم فراقنا.

أطلقت تنهيدة خافية ، يبدو أن الأمر قد مرَّ بسلام ، كان جيدًا أني لم أخلع القناع ولا شرائح تعديل الصوت منذ غادرت وكر الضباع وبيت الجدّ (سعدون) ، كم تشاجرت مع (وعد) لتفعل مثلي خاصةً بعد إقامة (ساجد) و(فاتن) بالبيت معنا فهم أيضًا لم يروا وجهي أو

وجه (وعد) الحقيقي حتى ألفنا نحن الأمر مع الوقت واعتدناه فلم يعد يمثل لنا أي ضيق.

حاولت الابتعاد عن (رحيق) وحمدت الله أنها لم تكن تعرف أختي (وعد). تركتها مع (فاتن) وناديت(وعد) فهمست لها بأن تلتزم الحذر في حديثها وألا تنسى وينزلق لسانها في أي حوارٍ يفهم منه بأنها ليست أرضية. خطتنا كانت تسير كما أُعدَّ لها بلا خروج عن التوقعات سوى زيارة رجال السهم القرمزي لـ(فاتن) بمقر كيانها اللامع ليخبروها بأن النجاح الذي حققته وتحققه قد زاد ويتطلب حماية أكبر لذا فسيتم رفع قيمة مبالغ الإتاوات الخاصة بها لتكون على ثقة دوماً بأنها في آمان وستنال الحماية الكافية ، لم يكن هذا السيناريو ضمن خطتنا لكن السيد (وسيم) توقعه بسهولة مع كثافة وزيادة الإقبال ، أخبر (فاتن) وقتها بما عليها أن تفعله وأن ترسم الضيق على وجهها وتحاول التفاوض معهم قدر أستطاعتها لتخفيض المبلغ ، ثم ترضخ أمام إصرارهم في النهاية كالمغلوب على أمره.

بخلاف رفع الإتاوات ظلت الأمور تسير طبقًا للخطة بلا جديد، نجحت بصنع وإعداد العدد المطلوب من السبائك المنصهرة ، أما (زياد) فإستبدل الإحباط الذي عاشه في الفترات الأولى بالفخر والنشوة بما حققه لـ(فاتن) من نجاح بفضل موسوعات الطهي التي أحضرها أمَّا (ساجد) فقد كان يرضي السيدين (صامد) و(وسيم) بالتواجد في كيانه اللامع كما طلب منه ، كان يقضي فترات تواجده هناك في التهام الكتب بنهم أوالنقاش مع المعاونين له في أمور علمية تقنية لكسب المزيد من الخبرة.

(أوَّاب) استطاع تكوين شبكة صداقات جيدة من خلال كيانه، لم أكن أعرف (أوَّاب) كـ(ساجد) لكنني اكتشفت بتعاملي معه كم هو شخص وَدُود للغاية ولص قلوب بارع يسرق بحديثه الهادئ المهذب وتحكمه بأعصابه وابتعاده عن الغضب كل القلوب ، لا أنسى كيف أنه كان صمام الأمان الذي أنهى الموقف المعقد بسلام بيننا وبين السيد (وسيم) وهو يسخر منا بفظاظة بعد أن أعطى لنفسه الحق في تقييم ذكائنا.

بدأ الحديث والحوار بيننا يتجه نحو السؤال الهام: متى سنفعلها؟.. كان (صامد) قد كلف بعض رجاله ليقوموا بالجزء الأول من الخطة بتوجيه ضربات متنوعة كعصابة صغيرة جديدة ، الأمر لم يثر تحفظ السهم القرمزي واعتبروه نوعاً من لهو الصغار وليبقي السؤال الأهم هو متى ستبدأ تلك العصابة الصغيرة بتوجيه ضرباتها للكيانات اللامعة؟ هذا ما كان يشغل تفكيري خلال الأيام الماضية. أخرجني من شرودي حوار دائر بصوتٍ عالٍ بالخارج ، خرجت لأجد (أوَّاب) قد عاد من كيانه اللامع بوجهٍ ذاهل وبجواره السيدان (صامد) و(وسيم) كعادتهما ليعرفا من أصحاب الكيانات اللامعة كيف سارت الأمور مع كل منهم وكيف كان يومه .

ابتسم (صامد) لـ(أوَّاب) قائلًا:

- كيف كان يومك يا (أوَّاب) ؟

تعلقت العيون بـ(أوَّاب) وهو يرفع عينيه لـ(صامد) قائلًا:

- السيد (برهان) يطلب لقائي.

*****

المفاجأة هبطت على (كمال) و(همَّاس) بالذهول ، (كمال) الذي كان ينتظر اللحظة التي يُفتح فيها الباب ليعيدوا له (أوجين) وجد باب الغرفة الظلماء يُفتح لتضاء الغرفة بأضواء شديدة التوهج ، أدخلوا بعدها ستة رجال وأنثى فهم في الحال بأن المساكين عائدون لتوَّهم من حفلة ترحيب من العيار الثقيل، العلامات البادية على وجوههم وأجسادهم أخبرته كيف كان الحراس الملاعين كرماء وبالغوا في الحفاوة ، الأنثى التي كانت بينهم لم تكن مجرد أنثى عادية بل كانت جميلة جمالًا غير عادي ، جمالاً يحاكي الأميرات حتى أنه التفت لـ(همَّاس) سائلًا:

- أتلك الفتاة الملقاة على الأرض هناك أنثى؟

أجابه (همَّاس) وهو ينظر إليها ثم إليه في عجب قائلًا:

- وهل تراها أخطبوط بحري مثلًا؟! طبعًا أنثى.

- إمّا أنها ليست أنثى أو أن من قضيت معهم ما مضي من عمري هم من لم يكونوا إناث!

رفع (همَّاس) عينيه ليرمقها من جديد مع كلمات (كمال) قائلًا:

- لقد مزق الملاعين ثيابها.

نهض (همَّاس) ليقف على قدميه وينتزع قميصه في الحال ويلقيه إليها قائلًا:

- ضعيه فوق الأجزاء الممزقة من ثيابك.

أمسكت (ليزافيتا) القميص بقرفٍ شديد وتشممته قبل تقذفه إليه قائلة:

- البقاء بثياب ممزقة أفضل لديّ من أن أضع شيئًا بهذه الرائحة فوق جسدي.

رمقها (همَّاس) بعجبٍ قبل أن يلتف لـ(كمال) وهو يقذف بالقميص نحوه صائحًا:

- اخلع قميصك وأعطه لها وارتدي أنت هذا.

أطلق (كمال) صوتًا نابيًا عاليًا وهو يزمجر قائلًا:

- تمارس الكرم من جيوب الآخرين وتريدني أنا أن أرتدي قميصك العفن هذا!

زمجر (همَّاس) قائلًا:

- لا تثرثر كثيرًا .. اخلع قميصك وناوله لها وابق بدون قميص إن أردت.

تشممت (ليزافيتا) قميص (كمال) قبل أن تضعه على الأجزاء الممزقة من ثوبها وتلتفت نحو (همَّاس) سائلة:

- ما هذه اللغة التي كنتما تتحدثان بها قبل قليل؟

أجابها (همَّاس):

- ولماذا تسألين؟

- ظننتكما أغراب في البداية لكنكما حين تحدثتما بلغة لاميتا بإتقان أدركت أنكما لستما أغراب ، فما هذه اللغة التي كنتما تتحدثان بها؟

أجابها (همَّاس):

- لسنا نحن الأغراب بل أنت ومن معك نطقكم للغة لاميتا يؤكد بأنكم أغراب ولستم من أهلها.

همهم أحد رجال فريق (ليزافيتا) الموجودون بالغرفة محاولًا الحديث من خلف الشريط اللاصق الموضوع على فمه لكنه لم يستطع ، تحرك (همَّاس) نحو الرجل ونزع الشريط اللاصق عن فمه،

لكن (كمال) صرخ وهو يقفز بسرعة ليعيد لصق الشريط على فم الرجل قائلًا:

- أجننت ؟ ماذا تفعل أيها الغبي؟ ألم يخبرنا الحارس الذي فك قيودنا قبل قليل بأننا إن ساعدناهم أو تعاونا معهم فسيعيدون تقييدنا وسينزلون بنا أشد العقاب؟! هل اشتقت للقيود وتريد العودة لها أم تريد لنفسك حفلة ترحيب كالتي عادوا منها؟!

أجابه (همَّاس) قائلًا:

- لم أفهم لماذا فكوا قيودنا قبل إحضارهم مباشرةً؟ ليس هذا أمر طبيعي وهناك سر وراء هذا !

- اترك الرجل وعد لمكانك يا عزيزي ولنعرف أولاً من أين خرجت إلينا حورية البحر هذه.

التفت (كمال) إلى (ليزافيتا) سائلًا:

- من أين أنتم؟ فأنت لستِ من لاميتا.

- أنا من مملكة الهنالويا.

تمتم (كمال) مقاطعًا وهو يطلق صفيره قائلًا:

- إن كان نساء الهنالويا هذه بمثل جمالك فسأذهب لأمكث ما تبقى لي من عمر هناك.

قاطعه (همَّاس) في ضيق قائلًا:

- ألم تخبرني قبل قليل بأنك قد وجدت قلبك مع (أوجين) ، وأن حياتك قد أصبح لها قيمة بعد ظهور (أوجين) بها!

- بالطبع يا صديقي .. فعندما تتحدث عن (أوجين) فأنت تتحدث عن قلبي الذي اكتشفت وجوده بظهورها ، لم أكن أعرف بأني عشت ما فات من عمري بلا قلب حتى التقيتها.

- حسنًا أيها العاشق الأوجيني الولهان.. كن مهذبًا وحاول البقاء وفيًا لحبك وقلبك.

التفت (همَّاس) لـ(ليزافيتا) سائلًا:

- نحن الاثنان فقدنا الذاكرة ولا نذكر أي شيء فهل يتسع صدرك لتثرثري معنا قليلًا وتحتملي جهلنا بما قد يبدو معلومًا للجميع.

همس له (كمال) ساخرًا:

- هل فقدت الذاكرة أيها الكاذب المخادع؟!

رمقه (همَّاس) بضيق قائلًا:

- كما فقدتها أنت عند لقائك بـ(أوجين).

عاد (همَّاس) بعينيه لينظر لـ(ليزافيتا) سائلًا:

- ما هذه الهنالويا ؟ ولماذا تركتِها وجئتِ لهنا ؟ وما الذي جعل الأوغاد الملاعين بالخارج يفعلون بكم هذا ؟

- الهنالويا كانت مجرد مجموعة جزر جميلة قبل أن تصبح مملكة الهنالويا موطن صفوة الأثرياء والعظماء في كل المجالات ، عظماء الطب والصيدلة والهندسة والفضاء والإلكترونيات وكل المجالات تقريبًا دون أن أنسى شيء ، العظماء لا يجدون لأنفسهم مكانًا أفضل من الهنالويا ليعيشوا به ، وليس متاحًا بالطبع لأي أحد دخولها أو العيش بها كما زعم صديقك أنه سيفعل منذ قليل فليس كل من ادخر بعض المال وظنّ أنه قد صار ثريًا يدخلها فالأثرياء الذين يعيشون هناك هم صفوة الأثرياء ، وهي ليست موطني الأصلي لكني جئتها وجلبت أسرتي لها نتيجة لعملي بها وهذا هو السبيل الآخر لدخول الهنالويا بأن تتعاقد معك أو تستجلبك إحدى المؤسسات أو الجهات بها وهو ما حدث معي لأصير أحد مواطنيها.

- وبماذا أغضبتم هؤلاء الملاعين ليفعلوا بكم هذا؟

- لا أريد الكذب عليك، لكن الأمر معقد فدع هذا السؤال من فضلك وانتقل لموضوع آخر.

- لقد فكوا قيودنا قبل دخولكم بقليل وهو أمر لم أفهم له سببًا بعد أن ظللنا مقيدين طوال الفترة الماضية فلماذا تم فك قيودنا قبل إدخالكم بدقائق.. هل تعرفين؟

- كيف سأعرف وأنا لا أعرف سبب احتجازكما هنا من البداية ولا تلك اللغة الغريبة التي تتحدثها أنت ورفيقك! إن أخبرتني فربَّما أفكر معكم ونجد الإجابة معاً.

- لا أريد الكذب عليكِ .. لكن الأمر كبير معقد ويصعب شرحه.

*****

توتَّرت الأجواء توترًا غير عاديًا عندما نطق (أوَّاب) بكلمته ليغمغم (وسيم) في الحال قائلًا:

- هل قلت بأن السيد (برهان) طلب لقائك؟

هزَّ (أوَّاب) رأسه بالموافقة مجيبًا:

- جاءني أحد رجاله اليوم ليخبرني بذلك.

- رائع ... الفرصة قد جاءتني لموضع قدمي لتطرق بابي.

- لم أفهم سيد (وسيم)! ماذا قصدت بما قلت؟

أجابه (صامد) قائلًا:

- ألم نخبركم بأن انتقامنا مكون من ضربتين ، واحدة صغيرة لـ(برهان)، والأخرى كبيرة للسهم القرمزي.

نظر الجميع لـ(صامد) وهو يتابع حديثه قائلًا:

- يبدو أن أوان الضربة الصغيرة قد آن .

هز (أوَّاب) رأسه سائلًا:

- عفوًا... لكنني لم أفهم ماعلاقة هذا بما حدث اليوم!

أجابه (وسيم) بابتسامة واثقة:

- ستقتل (برهان).

انتفض (أوَّاب) صائحًا:

- ماذا؟؟؟!!!

- كما سمعت فمن سيحقق انتقامي الأصغر هو أنت.

هزّ (أوَّاب) رأسه ويده بالنفي قائلًا:

- مستحيل بالطبع أن أفعل شيئاً كهذا.

- سيكون الأمر شديد البساطة ، مصمم مبدع موهوب لا بد أن يحمل معه دومًا قلم ، ضغطة صغيرة من قلم متطور سأعطية لك سيخرج سن هذا القلم لكن ليس للكتابة بل برصاصة دقيقة جدًا ستُنهي حياة (برهان) وانتقامنا الأصغر في ثواني وسيتكفل غاز الخمول ورجالنا بالباقي.

- أنا لن أقتل ... فليس (أوَّاب) من يفعل هذا.

- ستفعلها هذه المرة يا صديقي حتى تعود لعالمك وليأتي إعلان ندمك الشديد وتوبتك الصادقة من هناك بعد عودتك لعالمك .

- أخطأت فلست أنا من تريد ، جِد لنفسك من يقوم بهذا غيري.

- لا تهدر الوقت يا عزيزي واخبرني هل ستفعلها، أم تريد الخروج للغابة واللحاق بـ(همَّاس)؟

*****

نادى (هجشة) أحد معاونيه سائلًا:

- هل مزقها الأسيران بعد أن فككت قيودهما؟ وهل صورت كاميراتكم المشهد بكل ما حدث؟ أريد فيلمًا يكسر ويحطم أرقام المشاهدة عند بثه في الهنالويا.

- للأسف ... لم يحدث.

رمقه (هجشة) بغرابة سائلًا:

- ما هذا الذي لم يحدث؟!

- لم يحدث ما إنتظرنا منهم فعله وفككنا قيودهما لأجله.

- لا أصدق.. كيف هذا؟!!

- أأحضر لك تسجيل الكاميرات لتتأكد بنفسك إن لم تصدقني!

- أتعني بأن الأسيرين الغريبين بعد أن فككنا قيودهما وأدخلنا إليهم أنثى فاتنة مثيرة بجمال (ليزافيتا) ممزقة الثياب تركوها دون أن يفكرا بالتهامها؟!!

- هذا ما حدث ، بل أن أحدهما خلع قميصه وألقاه لها لتغطي الممزق من ثيابها.

- ذكرني أن أقتل هذين الغبيين قبل المغادرة ، تم تحويل نصف المبلغ لحسابي بالفعل بعد أن أخبرتهم بأن (تقي الدين) صار بين أيدينا وستحضر الحوامة التي سأغادر فيها أنا و(تقي الدين) عند شاطئ البحيرة فجرًا ، وخطة مغادرتكم لهذا المكان ستسير بهدوء شديد كما اتفقنا.

- وماذا سنفعل بالأفعى الرقطاء؟

- سألهو معها قليلًا فمازال لديّ بعض الوقت وأريد أن أمتع نفسي قليلًا قبل الرحيل، احضر لي كلابًا جائعة لأجعل من (ليزافيتا) عشاءً شهيًا للكلاب لن تنساه ، ولنترك للأفعى تذكارًا صغيراً منا يصعب نسيانه.

- الكلاب غبية وقد تهاجم الرجال وتتركها ، كما أن إحضار الكلاب يحتاج لوقت لا نملكه والأمر معقد وصعب للغاية بهذا التوقيت.

- كم وددت لو قام الأسيران اللعينان بما في رأسي لتقدم كاميراتنا لسكان الهنالويا هدية رائعة قد نفوز معها بجائزة أفضل ترفيه لهذا الأسبوع لكن لندع هذه المهة لرجالنا كمكافأة لهم.

- سيرفضون القيام بذلك لعلمهم بالتصوير.

- حسناً ... اختر لي اثنين أو ثلاثة من رجال لاميتا العاملين معنا وليرتدوا أقنعة إن كان لديهم مشاكل مع التصوير وليقوموا بما لم يقم به الوغدان الأسيران ، أريدها فضيحة تعيش بخزيها قادم عمرها.

- حسنًا سيدي.. سأفعل ذلك.

- انتظر فهناك أمر آخر أريده منك.

- بأمرك سيدي.

- احضر لي سائلًا حارق لأسكب منه بضع قطرات على وجهها أُنهي بها أسطورة جمالها ، سكان الهنالويا مملكة الجمال والثراء لن يقبلوا بالطبع لوجه مشوه بأن يعيش بينهم وسينهون إقامتها لترحل من هناك بعد أن تعرف بأنها قد ارتكبت أكبر أخطاء حياتها حين اختارت أن يكون (هجشة زعبوب) هو خصمها.

*****

صاح (أوَّاب) الذي لم يُعرف عنه الغضب أو فقد الأعصاب أو ارتفاع الصوت أثناء الحديث يوماً في وجه (وسيم) صارخًا:

- أخبرتك بأني لن أفعلها.

- بل ستفعلها.

- حسنًا يمكنك إلقائي بالغابة إن أردت، فلن أفعلها.

- الماضي قد انتهى والأمور تغيرت كثيراً الآن يا عزيزي فالخروج للغابة كان عقاب الأيام الماضية وليس الحالية.

- ليس (أوَّاب) من يقتل ، قدمت تنازلات بما يكفي من أجل خطتك اللعينة ، لكن تنازلاتي لن تصل أبدًا للقتل .. فهات ما عندك وافعل بي ما تريد فلن أتراجع.

- بمن تحب أن أبدأ؟

- لم أفهم! ماذا تقصد؟

- بمن تحب أن أبدأ ؟ فأنا لن أقتلك أنت بل سأبدأ بقتل رفاقك أمام عينيك واحدًا تلو الآخر لأري كم ستصمد .. فبمن أبدأ؟

صمت (أوَّاب) مذهولًا يفكر في هذا التحول الخطير في التهديد ، لكن (رحيق) هي من رفعت يدها بثبات لتقطع صمته هاتفة:

- أنا .. اعتبرني أرضية ولتبدأ بي !

وثب (أوَّاب) ليقف بينها وبينه وهو ويهتف بغضبٍ قائلًا:

- بل سيكون عليه أن يقتلني أنا أولًا قبل أن يمسّ شعرة منكِ.

*****

فُتِح باب الغرفة فجأة ليدخل ثلاثة رجال كانوا يعرفون طريقهم جيدًا، تجاوز الرجال كل الموجودين بالغرفة ليتجهوا نحو (ليزافيتا) مباشرةً ويحيطونها، همس (كمال) لـ(همَّاس) قائلًا:

- من تظن هؤلاء بوجوههم التي لا تبشر بالخير؟

أجابه (همَّاس) بصوتٍ خفيض قائلًا:

- أشم رائحة لا تعجبني .. فكن هادئًا ولا تتعجل الحراك حتى أخبرك .. فتوقيت الحراك هام جدًا.

ارتسمت ابتسامة على وجه (كمال) وهو يردف:

- لا تقل لي بأننا سنستخدم نفس كلمة السر.

أومأ (همَّاس) برأسه هامسًا:

- أجل.. هي ذاتها.

فك الرجال قيود (ليزافيتا) وبدأوا يتلاعبون بها ويدفعونها بينهم كاللعبة ، حاولت أن تصفع أحدهم لكنها كانت منهكة وكان الرجل قويًا فأمسك بذراعها وثناها خلف ظهرها لتصرخ ، فدفعها لزميله الذي أمسك بيديها وبدأ يدور بها بسرعةٍ جعلتها تشعر بالدوار وترتطم بالأشياء والأشخاص حولها في ترنح ، اقترب أحدهم ليقف خلفها ويمد يده ليفتح سحَّاب ثوبها ليبدأ بنزع ملابسها ، صرخة مدوية انطلقت لتهزّ المكان:

- اهرب يا (همَّاس)..

الصرخة كانت كلمة السر ليثب أَسَدُ الجِبَالِ لداخل المعركة التي لم تستغرق سوى دقائق قليلة انتهت بسقوط الرجال الثلاثة فاقدين الوعي ، تمطى بعدها (همَّاس) قائلًا:

- كنت بحاجة لبعض النشاط ، لكن لماذا لم تساعدني أيها الحقير؟

أجابه (كمال) ضاحكًا:

- إنهم ثلاثة فقط ، وهل يحتاج أَسَدُ الجِبَالِ للمساعدة مع ثلاثة!

فُتِح الباب في الحال ليندفع للغرفة عشرات الرجال وتدور معركة كبيرة بين (كمال) و(همَّاس) ورجال (هجشة) انتهت المعركة بسقوط (همَّاس) و(كمال) على الأرض فاقدين الوعي بعد أن أسقطوا بعض

رجال (هجشة) ، دخل بعدها (هجشة) ليجلس على كرسي وضعوه له بمنتصف الغرفة قائلًا:

- مرحبًا (ليزافيتا).. لا تعرفين كم اشتقت إليكِ يا فاتنة الغيث المطير.

رمقته (ليزافيتا) بنظرة ازدراء صامتة فأردف:

- لن أمكث معكِ كثيرًا للأسف فحوامتي ستغادر بعد ساعتين من الآن ، لكنني أحضرت لكِ هدية ستكون تذكارًا لاينسي لهذا اليوم.. تعلمين كم أحب توثيق اللحظات بالذكريات.

أشار بإصبعه ليقترب أحد الرجال حاملًا معه قنينة كبيرة ، أمسكها (هجشة) منه وهزها أمام عينيه قائلًا:

- سأصنع بقطرات قليلة من تلك القنينة تذكارًا لا يُنسى على وجهك لأجعل من هذا اليوم وهذه اللحظة تحديداً ذكرى لا تُنسى.

نهض (هجشة) ليفتح القنينة ويقترب من (ليزافيتا) مع تلك الرائحة الخبيثة النفاذة التي بدأت تفوح من القنينة وهو يحركها أمام عينيها قبل أن يغلقها ويمسك بوجه (ليزافيتا) بين يديه قائلًا:

- قولي بأنكِ قد ندمتِ أشد الندم ، وأن الزمن لو عاد بكِ لفكرتِ ألف مرة قبل أن يكون (هجشة زعبوب) هو خصمك.. قوليها وأنتِ تتوسلين لي، فقد تأخذني بعض الرأفة والشفقة بكِ فلا أحرق وجهك بل أكتفي بأحراق يديكِ أو قدميكِ.

قهقه (هجشة) وهو ينظر لأحد معاونيه قائلًا:

- شعرت بالملل وتشعر بأن الحديث ليس شيقًا، أليس كذلك؟.. اجذب لي أحد هذين الأسيرين الغبيين لأحرق وجهه أحدهما أمام عينيها فهذا سيزيد بلاشك من متعة المشاهدة وحرارة التشويق.

تحرك الرجل فأمسك بقدم (كمال) وسحبه تحت أقدام (هجشة) الذي التفت إليها سائلًا:

- والآن اخبريني يا فاتنتي.. بماذا تحبين أن نبدأ؟ بالوجه أم الكفين؟ أم تحبين أن...

لم يكمل (هجشة) كلماته بعد أن قطعتها تلك الوثبة الطائرة من (همَّاس) والتي أسقطت زجاجة الحارق المغلقة ليمسك بعنق (هجشة) فيعتصره مقيدًا حركته وهو يصيح:

- حاولت الحديث معي من قبل فلم أتكلم ويبدو أن وقت حديثنا قد حان لأخبرك بأنني مقاتل شرس من طراز فريد لا تعلمه أجيد الكثير من فنون القتال ، وحركة صغيرة مني ستنهي حياتك بكسر عنقك ، هيا مُرِ الرجال بأن يلقوا أسلحتهم ويفكوا قيود الأسرى.

قهقه (هجشة) وهو يردف قائلًا:

- بل أنت من لا تعرفني و لا تعرف بأن كسر عنقي أو موتي أيسر وأهون عليَّ من الهزيمة .

تعقد الموقف حين رفع رجال (هجشة) أسلحتهم بانتظار أن يصدر لهم الأمر بالإطلاق. فتح (كمال) عينيه ليرمق من حوله محاولًا فهم الوضع من حوله وهو يردف قائلًا:

- لا تفعلها يا (همَّاس).. ليَهْنَؤُا ببعضهم ولننجوا بأنفسنا.

نظر إليه (همَّاس) بضيق وهو يزيد من ضغط يديه ليعتصر عنق (هجشة) قائلًا:

- آخر ما كنت أتوقع سماعه منك.. لقد تغيرت!

- طبعاً تغيرت ولديّ الآن من أحيا لأجله.

دوى صوت طلقات غزير ليثير الفزع ويملأ المكان مع دخول عشرات الرجال المسلحين للغرفة يتقدمهم شاب هتف بالرجال صائحًا:

- ألقوا أسلحتكم حالاً ... لا نريد قتل أحدًا منكم.

تبادل كلٌ من (همَّاس) و(كمال) النظرات ورمقت (ليزافيتا) الرجل سائلة:

- من أنت؟

رمق الرجل رجاله وهم يقيدون الرجال وينتزعون أسلحتهم قائلًا:

- البتار (وهبي) يرسل إليكِ تحياته.

ثم التفت ناحية (هجشة) قائلًا:

- ويعتذر لك ياسيد (هجشة) ويخبرك بأن هذه ليست المهمة الأخيرة للأفعى الرقطاء ، وأنه كان عليك أن تعلم جيدًا بأن اللعب مع الأفاعي مميت.

*****

(١٦)

فتح (ساجد) حقيبته ليضع بها بعض الأوراق وهو يضغط رز الجرس علي مكتبه ، دلف للغرفة أحد الشباب في إحترام متسائلًا ، أشار (ساجد) له بيده إشارة بمعني "أريد قهوتي الآن" ، تحرك الفتى مغادرًا مع دخول سكرتيرته الحسناء لتضع البريد أمامه ، سألها (ساجد):

- ماذا فعلتم في مناقصة المنح التدريبية لشباب الجامعات؟
- ستبدأ في الثانية عشر ، (ريهام) اتصلت لتسأل عن هامش النزول بالسعر المسموح به إن تحولت لممارسة.
- من العضو المالي معها؟
- الأستاذ (رأفت).
- أخبريه بأني لن أقبل بأن ترسو على غيرنا ، ليفعل مايلزم لإنهاء الأمر.
- أين (حسام)؟ لماذا لم أره اليوم ؟
- غادر قبل وصولك بدقائق لفرعنا الجديد بالتجمع ليتابع آخر ما وصلت إليه الأمور هناك وما تم إنجازه مع "بيت الأناقة للتصميمات".
- أخبريه بأن يتابع باقي الأمور ولايشغل نفسه بهم كثيراً فالمهندس (أوَّاب) أخ وصديق عزيز وسينهي الأمور كما نريد تماماً بلا تأخير.
- لكنه أخبرني بأن المهندس (أوَّاب) سيتزوج قريباً ويخشى من حدوث تأخير مع انشغاله بالزواج.

- أعلم هذا وأنا أول المدعوُّون لزواجه ، ليدع القلق فيما يخص (أوَّاب) وليتابع باقي الأعمال.

غادرت السكرتيرة الحسناء الغرفة بعد أن وضعت ملف البريد أمامه ، فأمسك (ساجد) بالهاتف ليُجري مكالمته الصباحية مع والديه للإطمئنان عليهما ، المحادثة معهم كانت نسخة مكررة من مكالمة كل يوم بذات العتاب واللوم لأنهما لا يريدان الحضور للعيش معه بالعاصمة ليكونا أمامه دوماً بلا حاجة للسفر لهم كل بضعة أيام للاطمئنان عليهما ، ولتأتي ذات الردود بنفس الكلمات التي لا تتغير من والده "سأعيش هنا حتى أموت وأدفن هنا".

طرقات على الباب دلفت بعدها السكرتيرة للغرفة من جديد لتقول بوجهٍ جاد:

- المهندس (وائل) اتصل ليخبرني بأن لديه مشاكل مع المسئولين بشركة الإنشاءات التي تعاقدنا معها أول العام ويريد الحديث معك ليعرف ماذا يفعل معهم.

تمتم (ساجد) في ضيق:

- اخبريه بأن يبقي هناك فلدي إجتماع معهم بعد ساعتين من الآن ، واخبري السائق بأن يعد السيارة لي الآن ، واخبري المستشار مدير الشئون القانونية بأن يتأهب لمرافقتي لهناك.

غادر (ساجد) مكتبه وسط مرافقيه ، ابتسامة ارتسمت على وجهه وهو يلتفت ليرمق الضوء الأرجواني المتراقص على اللافتة فوق الباب باسم شركته " لاميتا للنظم والاستشارات التقنية ".

*****

وقف (هاني) أمام المرآة يضع اللمسات النهائية ليبدو بكامل أناقته وهو يلتفت إلى (وعد) سائلًا:

- ما رأيك.. أليست هذه البزَّة أفضل؟

أومأت برأسها بالموافقة وهي تقف إلى جواره أمام نفس المرآة لتضبط هندامها وأناقتها هي الأخرى قائلة:

- ألن تخبرني ما الذي جعل زيارة العزبة مبكرة هذا الشهر؟ كنا نقوم بها في نهاية الشهر فلماذا تم تقديمها هذه المرَّة؟

- إنها ليست الزيارة التقليدية التي تظنينها يا حبيبتي ، أخبرتك بأن (راجي) قد اتصل بي بالأمس ليخبرني بحضور ضيف هام طالباً حضوري وحضور جميع أفراد الكتيبة وأخبرني أن بالأمر مفاجأة. لم أرفض بالطبع فكيف أرفض وقتًا سأمضيه بجوار زوجتي الحبيبة ، لنذهب لأي مكان .. فكل الأماكن ستكون جميلة طالما أنكِ بجواري يا وعد السعادة الذي كان من نصيبي.

- وهل تأكدت بأنك مدعوٌ وليست الدعوة لكتيبة الانتقام فقط؟

- زواجي بكِ يا حياتي جعلني من أهل لاميتا ومن كتيبة الانتقام.

إحتضنته (وعد) في حب قائلة:

- سنوات عمري التي كانت تمضي بلا ثمن بجوار أخي المشغول بأبحاثه ومعمله جعلتني أظنّ بأنه لن يأتي اليوم الذي سأتزوج فيه وأنا لاأدري بأن الحياة كانت تدخر لي أفضل تعويض بأن يأتي زواجي منك.

- ألم تندمي على زواجك من أرضي؟ أو تتمني الزواج من لاميتي مثلك ؟

رمقته بعتابٍ قائلة:

- لا تكررها ثانيةً من فضلك فزواجي بك هو أجمل ما حدث لي في حياتي كلها.

- وزواجي بكِ جعلني أقسم بأن ذهاب (زياد) للاميتا هو أجمل وأروع شيء فعله بحياته.

- وهل سيحضر (زياد) الاجتماع؟

- سيحضر ومعه (إنجي) بالطبع ... فهي لا تتركه لحظة.

- ما زلت لم أفهم .. كيف لم يعارض والد (إنجي) أو يعترض على هذا الزواج؟!

- (زياد) كان يعرف خطواته جيدًا ، قدم هدايا ثمينة لبعض مُعِدي ومُقَدِّمي البرامج ليضع قدمًا على طرق العودة لشاشات التلفاز ويستعيد شهرته من جديد ، واشترى فيلا لا تبعد كثيرًا عن فيلا والد (إنجي) ، وقد اصطحبني معه يومًا في إصرار ليريني فيلا والد (إنجي) التي ظلّ يسأل نفسه أعوامًا كاملة هل سيأتي اليوم الذي يدخلها من بابها مع أهله لطلب يد (إنجي)؟ والطريف في الأمر أنني رأيت الكلب (ماكس) يتجول مع صاحبه لكننا كنا جلوس داخل سيارة (زياد) هذه المرة، لينفجر (زياد) في الضحك وهو يردد "فتمتع بالصبح ما دمت فيه...لا تخف أن يزول حتى يزولا".

*****

وضعت (فاتن) الأطباق على المائدة وارتفع صوتها بالنداء:

- هيا يا (باسل).. وضعت الإفطار على المائدة.

خرج (باسل) من غرفته يجرجر قدميه نحو المائدة وهو يتثاءب في كسل قائلاً:

- تستحقين جائزة نوفل في الإجرام على طهوك ووجباتك الشهية.

رمقته (فاتن) وهي ترفع حاجبيها في دهشة قائلة:

- أولًا اسمها نوبل وليس نوفل يا حبيبي.

مال ليقبّلها قبل أن يجلس قائلًا:

- معك تتغير كل الأمور بحياتي يا حبيبتي.. فيصبح نوبل نوفل، ويصبح القصر اللؤلؤي بيت اللؤلؤ ، ويصبح (باسل) الرشيق ذلك الدب البدين الذي أصبحته.

رمقته بعتاب قائلة:

- أتشير بكلامك هذا بأن طعامي هو السبب؟

- أنا لا أشير يا حبيبتي بل أؤكد ، ولا أدري ما الذي كان سيقوله لي السيد (تقي) لو كُتِب له أن يراني على هذه الحال.

- وهل تظنه سيتحدث فقط عن زيادة وزنك ونهمك وشراهتك في تناول الطعام ولن يتحدث عن كسلك وقلة ساعات عملك وقد صرت لا تذهب للمعمل سوى ساعة أو اثنين على الأكثر كل بضعة أيام ؟!

- لم أظن الحياة على الأرض ممتعة هكذا ، لقد جعلتني الحياة في العزبة هنا أدرك ضياع ما مضى من عمري في العلم وبيت السراديب مع الجدّ (سعدون).

ارتفع صوت بكاء طفل فهرولت (فاتن) بسرعة نحو إحدى الغرف وهي تصيح قائلة:

- لقد فعلها (عابد) واستيقظ.

- لاتقلقي .. صرخة صغيرة وسيعود للنوم ثانية ... عجيب أن أتحول من (باسل عدنان) لـ(أبو عابد)! حتي أنني كثيراً ما أظنهم ينادون شخصاً آخر حين يناديني أهل العزبة بـ(أبو عابد) ، ولم أسألك حتى الآن ما سر إختيارك لهذا الاسم؟

- سرقته من (أوَّاب) ، كان يريد أن يكون له ابن يسميه (عابد).. (عابد أوَّاب) فاستأذنته بأنني أريد هذا الاسم لابني فوافق ، تعرف بأن (أوَّاب) دَمِثُ الخُلُقِ ولا يغضب أحدًا.

- ألم يخبرك (راجي) شيئاً عن الضيف القادم والذي قال عنه بأن حضوره سيكون أحد أكبر المفاجآت؟

- سألته فأجابني بأن كيف ستكون المفاجأة مفاجأة إن أخبرني الآن.

*****

نادى (أوَّاب) مدير مكتبه ليخبره بأنه سيغيب لأيام ولا يريد لأي تأخير أو تقصير أن يحدث لأن الالتزام واحترام الوعود والمواعيد أحد أهم أضلاع منظومة النجاح ، فتح بعدها هاتفه لينظر لقائمة أعدها بما عليه القيام به قبل السفر للعزبة للقاء ذلك الضيف الهام القادم بعد أن أصر (راجي) على ضرورة حضورهم جميعًا ولم يقبل بأي اعتذار ، سيزور والده أولًا ثم أخته وزوجها ، ولا بد أن يتذكر إحضار تلك اللعبة الإلكترونية لابن أخته والتي طلبها منه في المرة السابقة، عليه كذلك زيارة المعلّم (صبحي) للاطمئنان عليه وعلى صحته فقد أخبره (خميس) في آخر مكالمة بأنه مريض وصحته ليست على ما يرام، سيحاول إنهاء كل هذه الأمور قبل السفر للعزبة فكلها أمور ضرورية لابد من القيام بها.

تعالى رنين هاتفه فأضاء وجهه بابتسامة عريضة حين رأى اسم المتصل:

- حبيبتي (رحيق).

- .....

- جمالك يبدأ باسمك ، مجرد نطق اسمك على لساني يشعرني بالسعادة ، اسمك جميل ككل شيء فيكِ.

- .....

- إنها الحقيقة بلا مجاملات وستسمعين هذا بنفسك من أبنائنا عندما يصبح لدينا (زاهد) و(مؤمنة).

- .....

- لم أهتم كثيرًا بمن القادم فسعادتي الحقيقية في هذا الإجتماع برؤيتك ولقائك أنتِ وليس ذاك الضيف الهام الذي طلب (راجي) حضوري لأجله.

- .....

- لم يقل أكثر من أنه ضيف هام وقادم للعزبة اليوم ولا بد من حضور جميع أفراد كتيبة الجدران المفقودة.

- .....

- ألقاكِ هناك حبيبتي.

*****

بالقاعة الرئيسية الكبيرة ببيت (راجي) كان الاجتماع المنتظر لأفراد الكتيبة بعد وصلات من الدعابات والعناق وهم يتساءلون في حيرة عن شخص القادم الذي جمعهم (راجي) لأجله ، دخل (راجي) إليهم مبتسمًا وهو يقول:

- مرحبًا بأسرتي من الأرضيين .. لا أعلم هل ستشعرون بالشوق لي إن غادرتكم وعدت إلى لاميتا؟

ضحكت (فاتن) قائلة:

- هل ستستطيع فراق وجباتي والابتعاد عن طعامي؟!

- أمر طبيعي أن أسمع هذا من (فاتن) صاحبة أحد أشهر المطاعم بمملكة لاميتا.

التفت الجميع لمصدر الصوت ليجدوا الصوت قادم من خلف تلك الستارة التي بدأت تنزاح تدريجيًا وشيئًا فشيئًا ليظهر من خلفها رجل أنيق جالس على مقعد ذهبي وهو يضع ساقًا فوق الأخرى.

تحرك (راجي) ليشير بيده نحوه قائلًا:

- ضيفنا اليوم هو السيد (شاهين) صاحب الفضل في وجودكم هنا وعودتكم لعالمكم.

- كيف تعرفنا جميعاً ونحن لم نرك من قبل هناك؟ وأين كنت قبل الآن؟

انهالت الأسئلة والغمغمات قبل أن يردف (راجي) قائلًا:

- الرجل ليس عدوًا لنا بل هو في الحقيقة صاحب فضل علينا ، وهناك حديث طويل خاص سيجمعه منفردًا بالسيد (باسل) لكنه حديث عتاب خاص بينهما .

تعلقت العيون بـ(شاهين) الذي بدأ حديثه قائلًا:

- عشت سنوات من عمري كتلميذ نجيب وابن للسيد (تقي) أنا و(باسل) عندما كانت (رحيق) التي تقف بينكم الآن تتحرك وتضحك وتمرح أمامنا كطفلة ببيت والدها ، تغير كل هذا بظهور (جسَّار) أو ذاك الرجل الذي فقد عقله وقابع ينظر ببلاهة لكل شيء بالخارج وهو يضحك للأشجار في عته. إن كنتم لا تعرفون عمن أتحدث فهو الرجل

الذي كنتم تنادونه في لاميتا بالسيد (وسيم) خبير شئون السهم القرمزي والذي خطف والدتي وهددني بقتلها لأقع بأكبر أخطاء حياتي على الإطلاق فأسرق له جهاز المسافر الأيوني ليجلب به مقاتلين مرتزقة للسهم القرمزي فتتوحش وتسود وتعلو مكانتها بين العصابات ويعلو هو أيضًا بينهم كقائد ، ولتتطور الأمور بعدها للأسوأ فيخطف السيد (تقي) ليخفيه ويخفي السر معه عن الجميع، وليخفيني أنا أيضًا عن الساحة تمامًا فأتحول من (شاهين) لـ(شلهوب)، ولأعيش أعوام كاملة كـ(شلهوب) بنار للندم مشتعلة لم تنطفأ داخلي على ما فعلته بالسيد (تقي).

صاح (ساجد) سائلًا:

- أتعني بأنك أنت اللعين الذي وضع الدفة بيد (وسيم) أو (جسَّار) ليتحكم بمقاليد الأمور؟!

أومأ (شاهين) برأسه بالموافقة قائلًا:

- للأسف نعم.

تمتم (راجي) قائلًا:

- دعوا (شاهين) يكمل حديثه للنهاية من فضلكم يا سادة.

- عزل (جسَّار) من السهم القرمزي وقتل ابنه في مؤامرة خسيسة جعله يجدني من جديد بعد سنوات من الغياب عشتها كـ(شلهوب) الذي لا يهتم لأمره أحد، ليظهر من جديد وينتزعني للمهمة الجديدة التي كان بطلها (راجي) هذه المرة.

ضحك (راجي) وهو يكمل قائلًا:

- جلست أيامًا مع السيد (شلهوب) يشرح لي كل شيء عن المسافر الأيوني وماذا سأفعل لأن التجربة هذه المرة ليست في الذهاب

لكوكب مينامون كالمرة السابقة بل لكوكب الأرض، لأفقد المسافر الأيوني بعد أن نشرت إعلانًا لطلب أفراد للأمن لأكوِّن منهم كتيبة الانتقام المطلوبة ، أوقعني اختفاء المسافر الأيوني في حيرة ما بعدها حيرة لأبحث عنه ولا أدري أين اختفى ، حتى سمعت بقصة الانفجار واختفاء الجدران ، زرت المكان وحين رويت الأمر لـ(شلهوب) فهم في الحال ما حدث.

صمت (راجي) ليتابع (شاهين) الحديث قائلًا:

- بدأت أعيد التفكير في الأمر بصورة أخرى، فقررت الاحتفاظ بـ(راجي) كأحد الكروت الرابحة بيدي، أخبرت السيد (جسَّار) بأن (راجي) لا شك قد مات بعد أخذه لدواء النهايات النظيفة أو مانع القيء والدوار كما خدعنا (راجي) وأخبرناه بذلك، لكنني كنت قد وضعت الترياق الذي سيوقف مفعول الدواء في حقيبة الأدوية معه وطلبت من (راجي) أن يأخذه كحافز للمناعة، ولم أخبره بالطبع بأن الخطة كانت بالتخلص منه في حالة عدم نجاحه.

ظهر الذهول على وجه (راجي) وهو يضرب كفًا بكف قائلًا:

- سنوات قضيتها بينكم ولم أعلم بهذا سوى الآن!!

- الفكرة المجنونة قفزت برأسي باستخدام الكارت الرابح (راجي)، فكنت أسجل كل الحوارات والنقاشات الدائرة بينكم بلغتكم وأرسلها لـ(راجي) ليترجمها لي فأفهم كل ما تقولونه وتخططون له ، حتى حين أحضرتم (باسل) و(وعد) وادعيتم بأنهم أرضيون مثلكم اكتشفت حقيقة الأمر لاحقًا وتمنيت لكم التوفيق بداخلي لأن نار الندم على ما فعلته بالسيد (تقي) لم تنطفأ.

رمقه (باسل) قائلًا:

- فعلت شيئًا جيدًا يا (شاهين) بعد أن دمرت حياة الكثيرين.

- لقد جئت لهنا لعدة أشياء من بينها طلب السماح منك بنفسي، لكن لندع هذا لعتابنا المنفرد لاحقًا.

استمعت لخطتكم وأدهشني وأثار الشكوك بداخلي ما قاله (باسل)، وتساءلت كيف لأرضي حتى وإن كان عالم كيمياء حقيقي أن يعرف بمعادننا هنا بالكوكب القرميدي ليقوم بأمر خطير كهذا ، انتهزت فرصة غياب (باسل) في زيارة للكيانات اللامعة وزرعت بنفسي كاميرا خافية بغرفته الخاصة لأعرف ما السر وراء هذا الرجل ، وتوالت المفاجآت لأعرف أن هذا الرجل ليس سوى صديق عمري (باسل) ، وأنه يرتدي قناعًا متقنًا جعلني لا أعرفه كما لم تعرفه (رحيق) ، ولتظهر المفاجأة الأخرى بأنه هو من يملك المسافر الأيوني الحقيقي الآن.

توقف الجميع عن الحديث وهم يرمقون (باسل) الذي أجابهم مبتسمًا:

- أنا لم أفعل أي شيء غير عادي.. فحين بدأ (أوَّاب) بالحفر في الغابة ثم نادى (ساجد) و(فاتن) ليتابعا الحفر ويأخذوا أشياءهم ، انتقل بعدها ليحفر حفرة أخرى وناداني أنا و(وعد) لنتابع الحفر ونأخذ أشياءنا ، بدأت الحفر كما طلب مني وليكون المسافر الأيوني هو أول شيء أجده بالحفرة أمامي فعرفته في الحال وأخفيته.

تبادل كلٌ من (أوَّاب) و(زياد) النظرات قبل أن يغمغم (زياد) لـ(أوَّاب) سائلًا:

- أكان ذلك الجهاز الصغير المكتوب عليه حروف غريبة هو المسافر الأيوني؟

أومأ (باسل) برأسه مؤيدًا بقوله:

- هو وليس سواه.

صاح (زياد) وهو ينظر لـ(باسل) سائلًا:

- ولماذا انتظرت كل هذا يا (باسل) لتعيدنا ولم تعدنا حال اكتشافه؟

- لأني لم أفعلها ! ... فلست أنا من أعادكم.

- لا تحاول الكذب وقد كُشفت الحقيقة.

- هو صادق.. وهو لم يفعل شيء بالفعل.

اتجهت الأنظار لـ(شاهين) من جديد مع عبارته الأخيرة سائلين:

- إن لم يفعلها هو فمن فعلها إذن؟

أجابهم (شاهين) وهو يتابع حديثه قائلًا:

- السيد (تقي الدين) حين علم بخيانتي وسرقة الجهاز أراد اللعب معهم بذكاء عالم فأبقى الجهاز كما هو وغيّر من برمجته ولم يطلعني أو يطلع أحدًا آخر على التغيير أو كيف نعيد الجهاز لوضعه الأصلي ، ومع تردي الأوضاع مع (جسَّار) و(صامد) أحضر لي (جسَّار) نسخة أخرى من الجهاز كان قد سرقها لعلّني أنجح في إعادة الجهاز لوضعه الطبيعي.

تمتمت (وعد) قائلة:

- ونجحت أنت بتعديل الجهاز فاستخدمته لعودتنا.

- ليس الأمر بهذه البساطة ، نجحت أولًا بالتحكم عن بعد في الجهاز حتى لا أكون أنا أول الضحايا إن حدث أي خطأ ، وبدأت بعدها بالتفكير في إنهاء مأساتكم بجعل الجهاز يعود بكم للأرض ولهذا حرصت على وضع الجهاز بمكانٍ خافٍ بغرفتكم وادعيت أمام (جسَّار) أنكم

جشعون وطلبت منه وضع أطنان الذهب جائزتكم بغرفتكم لتكون خير حافز لكم بكونها أمام أعينكم دائمًا وحتى تكون تعويضًا لكم إن كُلل الأمر بالنجاح وعدتم للأرض ، وفي اللحظة التي وجدته فيها يهدد (أوَّاب) بأنه سيبدأ بتصفيتكم وصرخت (رحيق) بأنها تريد أن تكون الأولى اتخذت أصابعي القرار قبل عقلي لتضغط برنامج الذهاب للأرض ، وليكون معكم (جسَّار) و(صامد) فيتذوقا ما أذاقوه لكم.

تمتم (أوَّاب) وهو يهز رأسه في أسى قائلًا:

- إن كنا قد عدنا سالمين .. فلا ينسيكم هذا بأننا قد فقدنا (همَّاس) و (كمال) في لاميتا.

- كنت أظن هذا مثلك حتى الشهر الماضي حين وجدت الأوساط العلمية لا حديث لها سوى عن الاكتشاف الجديد ولأن دماء رجل العلم ما زالت تجري بعروقي قررت قراءة المقال لأجد أكبر المفاجآت أمامي بأن من قام بهذا الاكتشاف هو السيد (تقي الدين ضياء) ذاته وليس أحدًا غيره ، تعبت كثيرًا حتى حصلت على موافقة سفر قصيرة لمملكة الهنالويا لأقابل السيد (تقي) وأشرح له كل شيء وأطلب عفوه حتى لو اختار قتلي بيديه كعقاب لي على ما فعلت ، نادى السيد (تقي الدين) ساعتها السيدة (ليزافيتا) ليعرفني بمن أنقذت حياته واستطاعت إحضاره لمملكة الهنالويا ، دعتني يومها تلك السيدة لتناول العشاء ببيتهم لأجد أروع المفاجآت بانتظاري وأن (ليزافيتا) هذه ليست سوى زوجة (همَّاس) الذي غادر القلعة المدفونة دفاعًا عن مبادئه ، وأن لديهما طفلة رائعة الحسن والجمال كوالدتها واسمها (حسناء).

انطلقت صرخات الفرح والتصفيق في المكان قبل أن يغمغم (زياد) في أسى قائلًا:

- لن أسامح نفسي أبدًا بأنني السبب في ضياع (كمال).

رمقه (شاهين) سائلًا:

- (كمال) هذا صديقكم وحضر إلى لاميتا معكم بالمسافر الأيوني أيضًا.. أليس كذلك؟

أومأ (زياد) برأسه بالموافقة قائلًا:

- أحد أفراد الكتيبة وفقدناه بالغابة قبل ذهابنا للقلعة المدفونة.

- لديّ لكم أخبار جيدة فقد أعطاني (همَّاس) عنوانًا بمملكة لاميتا ورجاني أن أذهب لهذا العنوان وأقابل رجلًا هناك يُدعى (كمال) وأوصل له السلام أولًا، طلب مني بعدها أن أخبره بأن يحاول الحفاظ على نفسه بأمان لأن (ليزافيتا) تبذل جهودها وتحاول مع رجال الغيث المطير لتجد طريقة لإحضاره ليقضي ما تبقى له من عمر بأمان في الهنالويا.

- وهل نجحت في العثور عليه ومقابلته؟

هزّ (شاهين) رأسه مبتسمًا وهو يجيب قائلًا:

- أجل.. ذهبت لهناك ولم أجده لكنني وجدت رجلًا أعطاني عنوانًا آخر قائلًا بأنني سأجد (كمال) هذا هناك.

- وهل وجدته في العنوان الجديد؟

- ولماذا ظننتم بأني سأصدق الرجل فيما قال وأذهب؟

أجابه (باسل) وهو يغمز بعينه قائلًا:

- دع هذا لهم فأنت صديق عمري وأعرفك جيداً ، فهمت من تلك الابتسامة التي تحاول إخفاءها بأنك قد ذهبت وقابلت الرجل.

هزَّ (شاهين) رأسه مؤيدًا وهو يردف:

- طار فرحًا بي حين علم بأنني قادم من الهنالويا من عند (همَّاس) خاصةً حين صحت له بكلمة السر التي بينهما "اهرب يا (همَّاس)"، سألني بعد أن علم أنني قادم من الهنالويا قائلًا : "اخبرني واصدقني القول.. هل نساء الهنالويا جميلات كـ(ليزافيتا) أم أنها استثناء؟ اخبرني بالله عليك فالأمر هام بالنسبة لي".

ضحك (زياد) وتبادلت كل من (فاتن) و (رحيق) و (وعد) النظرات قبل أن يردف (شاهين) مجيبًا:

- لم أجبه بالطبع حياءً من زوجته التي لكزته مزمجرة في غضب: "كماااااااااااال" ، واخترت تحويل دفة الحديث لموضوع آخر دون أن أجيب سؤاله.

تمتمت (فاتن) سائلة:

- وهل لديهما أطفال؟

- أظنها في شهورها الأخيرة ، سألتها بالطبع عن سبب اتشاحها بالسواد ، فعرفت بأن وفاة والدتها التي كانت مطلوبة من سلطات لاميتا هي السبب ، وأن هذا هو السبب وراء تركهما للمكان الخافي الذي أعطاني (همَّاس) عنوانه وكانا يسكنانه ، وأن الوفاة أعطتهما الحق في العودة لبيت وأملاك والدتها دون خوف من مضايقات سلطات لاميتا بعد أن غادرت السيدة (كوثر) والدتها الحياة بأسرها.

- وهل أخبرته عنا وعما حدث معنا؟

- أخبرته بكل شيء وبما عرفته من (همَّاس)، وهو يرسل لكم السلام جميعًا، وطلب مني أن أبلغ (أوَّاب) بأن يطمئن على دراجته البخارية وألاَّ يتركها للمعلّم (صبحي) ليبيعها أو يعطيها لـ(خميس).

نهض (شاهين) ليصافحهم جميعًا ويطلب العفو منهم على خطئه لكن (ساجد) احتضنه قائلًا:

- عن أي شيء تعتذر يا صديقي، لقد كان خطأ مبدعًا تغيرت معه حياتنا كلنا للأفضل...

قاطعه (زياد) سائلًا:

- وهل قررت بحضورك هنا أن تكون أرضيًا وتكمل حياتك معنا هنا؟

أجابه (شاهين) قائلًا:

- سأرحل بنهاية الأسبوع عائدًا للاميتا ثانيةً ، زيارتي هدفها الأساسي طلب الصفح منكم جميعًا ومن (باسل) على وجه الخصوص والعودة بـ(راجي) لأهله في لاميتا ثانيةً.

ابتسم (راجي) قائلًا:

- لم أكن أظن أبدًا أن أجد الأرضيين قوم ظرفاء ودودون هكذا، لكنه الشوق لأهلي وأسرتي.

- وهل ستأخذ (صامد) و(جسَّار) معك؟

- أمرهما متروك لكم.. إن شئتم أخذتهما وإن شئتم تركتهما هنا.

- (جسَّار) الذي فقد عقله ويجلس بأحد البيوت ليأكل ويشرب وينام ويضحك للحيوانات والأشجار.. إن أردت أخذه معك فخذه ، فلا حاجة لنا به ولا انتقام لنا معه ، ويمكننا ترك الأمر كله لـ(صامد) ليقرر ما يريد فما ينتظره في لاميتا إن عاد ليس بالقليل.

قالت (رحيق) وهي تنظر لـ(شاهين) سائلة:

- وهل تظن المسافر الأيوني الذي وجدناه مدفونًا بالغابة ما زال يعمل أم معك جهاز آخر من الأجهزة التي نجحت بتعديلها؟

أجابها (شاهين) مبتسمًا:

- لا هذا ولا ذاك فقد أهداني والدك عندما زرته نسخة معدلة من آخر إصدارات الجهاز بعد أن أضاف إليها المزيد من التطوير والتحسينات ولم يعد الجهاز بحاجة لارتداء سترات منع التبعثر ، كما أضاف له العديد من وسائل الأمان وقد حضرت بهذه النسخة المعدلة لهنا وسأعود بها ثانيةً أنا و (راجي) للاميتا من جديد.

قطَّبت (رحيق) حاجبيها وهي تفكر قبل أن تنظر لـ(أوَّاب) صارخة:

- أوقفوا هذا الزواج.

نظر لها (أوَّاب) في ذهول سائلًا:

- ماذاااااااااااااا؟؟!!

- كما سمعت يا (أوَّاب) فالجميلة التي يبدأ جمالها من اسمها لن تتزوج وحيدة كاليتامى وأبيها ما زال على قيد الحياة ... لا بد أن تعود معي لتطلب يدي من والدي هناك.

*****

تمت بحمد الله